مقدمة في اللسانيات

الدكتور عيسى برهومة

أستاذ اللسانيات المساعد
في الجامعة الهاشمية

٢٠٠٥

مقدمة في اللسانيَّات

مقدمة في اللسانيّات

إعـــداد

الدكتور عيسى برهومة

أستاذ اللسانيّات المساعد

قسم اللغة العربيّة

الجامعة الهاشميّة

المحتوى

الموضوع	الموضع
- مقدمة	٩
- **الفصل الأول**	١١
- نشأة اللغة الإنسانية	١٣
- تعريف اللغة	١٨
- بين علم اللغة وفقهها	٢١
- **الفصل الثاني : علم اللغة قديماً**	٢٥
- علم اللغة عند الإغريق	٢٧
- علم اللغة عند الرومان	٣٢
- الجهود اللغوية للعلماء العرب	٤٤
- **الفصل الثالث : نشأة اللسانيات**	٦٥
- علم اللغة في أوروبا في القرون الوسطى	٦٩
- علم اللغة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر	٧٥
- القرنان الثامن عشر والتاسع عشر	٧٨
- علم اللغة التاريخي والمقارن في القرن التاسع عشر	٨١
- حقبة علماء الدراسات المقارنة الأوائل	٨٢
- الأُسَر اللغوية	٨٦
- علم اللغة في القرن العشرين	٩٦

الموضوع	الموضع
- الفصل الرابع: مناهج البحث اللساني	٩٩
- المنهج المقارن	١٠١
- المنهج التاريخي	١٠٢
- المنهج الوصفي	١٠٤
- المنهج التقابلي	١٠٥
- المنهج المعياري	١٠٦
- الفصل الخامس: فروع اللسانيات ومصطلحاتها	١٠٩
- اللسانيات النفسية	١١٣
- اللسانيات الاجتماعية	١١٤
- اللسانيات الجغرافية	١١٦
- اللسانيات الإثنولوجية	١١٨
- اللسانيات الأنثروبولوجية	١١٨
- اللسانيات الحاسوبية	١١٩
- اللسانيات السياسية	١٢٩
- اللسانيات التربوية	١٢٩
- الفصل السادس: مستويات التحليل اللساني	١٣١
- المستوى الصوتي	١٣٣
- المستوى الصرفي	١٣٥
- المستوى النحوي	١٣٧

الموضوع	الموضع
- المستوى الدلالي	١٣٨
- علم اللغة العام وعلم اللغة الخاص	١٤٠
- **الفصل السابع: المدارس اللسانية**	١٤١
- المدرسة السويسرية (جنيف)	١٤٤
- علماء المدرسة السويسرية (جنيف)	١٥٢
- حلقة براغ اللسانية	١٥٤
- المدرسة الدنماركية (كوبنهاجن)	١٥٦
- نظرية الجلوسيمية	١٥٩
- المدرسة الإنجليزية	١٦١
- نظرية المعنى عند فيرث	١٦٥
- المدرسة الأمريكية	١٦٧
- بلومفيلد ونظريته اللغوية	١٧٠
- تشومسكي ونظريته اللغوية	١٨٤
- النظرية التوليدية التحويلية	١٩١

المقدمة

إذا كان الإنسان هو المبتدأ وهو المنتهى في مسيرة الحياة البشرية، فإن الوليد البشري إنما يكون في البداية "إنساناً بالقوة" إذ لا يستطيع أن يتحوَّل إلى "إنسان بالفعل" إلا بالقَدْر الذي تستثمر فيه الإمكانات الاتصالية لديه، هذا الاستثمار الذي لا يتأتى بدرجة عالية إلا من رافد اللغة. فالإنسان لا يحتفظ بتفكيره عادة في باطنه، بل إنه يستشعر الحاجة الأصيلة للتعبير عنه كتابةً أو كلاماً مع من حوله، وأداته الرئيسة في الحالين إنما هي اللغة. والتفكير والتعبير في حقيقة الأمر متلازمان، لا يستوفي أحدهما كفايته إلا مقترناً بالآخر، مستعينين باللغة، ولا تكون الصور الحسية أو الرموز في حالة التفكير، أو الإشارات والحركات التي تظهر على قَسَمات الوجه أو يتهدَّج بها الصوت – في حالة التعبير- إلا وسائل مضافة لا تُغْني عن اللغة إلا في حالات محددة لا تطّرد.

ويكاد ينعقد الاتفاق على أن اللغة كا نت القوة الأظهر في تأنيس الفرد، وتكييفه لمطالب مجتمعه، واستيعابه لخصائص أمته، وتمثُّله في سلوكه.

ولعل أمر اللغة كان شاغل الإنسان منذ هَجْعة التكوين، فأخذ باستشفاف أسرارها الكامنة، وراح يُسبغ على مجاهيلها بوارق تأويله وانطباعه، علّه يقبض على كنهها، ولكن ظل سحر اللغة يتفلت؛ لأن جزءاً من أماراتها وطفولتها غامض لم يتكشّف.

ولكن هذا المشهد المسْتَكِنّ في رحم اللغة لم يطفئ لدى الإنسان جذوة البحث والتفكير، ولم تتوقف مدارسة اللغة في زمن ما، بل ظل هذا الحبل موصولاً إلى العصر الحديث، الذي حدث فيه تحوّل في دراسة اللغة، فبعد أن كانت دراستها في القديم تتكئ على الانطباع الذاتي، غدت في العصر الحديث دراسة علمية تنتظمها قوانين وأسس، وتشعبت مناهجها وفروعها، وراحت تتواصل مع حقول المعرفة، حتى استوت على عُودها علماً منهجياً.

ولأنَّ سيماء المعرفة تراكمي، كان للدرس اللساني في تحققه الراهن امتداد لجهد السابقين الذين أودعوا اللغة البذور الأولى للعلم، وأقاموا لبنات التأسيس له.

وقد حرصت في هذا الكتاب على أن اصطحب القارئ/ ة في رحلة معرفية في عوالم اللسانيات، لعله يأخذ بطرف من هذا العلم الموار، المتشعب الجنبات، وجَهِدتُ أن أقدّم إطاراً لسانياً منهجياً، متوازناً بين المنجزات الحديثة، والمعطيات القديمة ولا سيما الجهود العربية.

وكنت فيما عرضت له من موضوعات مستقرئاً لا مستقصياً لما هو قارّ في اللسانيات، وجهدت أن ألمح إلى أظهر القضايا في هذا العلم، فعرضتُ لمسألة نشأة اللغة، وتعريف العلماء لها، وجهود القدماء في الدرس اللغوي، كالإغريق، والرومان، والعرب، وأشرت إلى تطور اللسانيات منذ العصور الوسطى إلى فواتح القرن العشرين، ثم أومأت إلى ما لابس هذا العلم من قضايا، وألمحت إلى جملة من المدارس اللسانية الحديثة ... وحاولتُ فيما تطرقت إليه أن أبسط القول بمهاد نظري ثم أردفه بالتطبيق لينجلي المشهد لدى القارئ/ ة.

وأملي أن تكون هذه الدراسة إطلالة على الدرس اللساني، وكشفاً لبعض أسراره.

الفصل الأول

- نشأة اللغة الإنسانية
- تعريف اللغة
- بين علم اللغة وفقهها

نشأة اللغة الإنسانية

اختلف العلماء أكثر ما اختلفوا في علم اللغة حول مسألة نشأة اللغة وتنوعت آراؤهم، وقد تعددت المذاهب حول هذا الموضوع، منها:

مذهب الوحي الإلهي(**التوقيف**) كما قال ابن فارس الذي أكد أن الله – سبحانه وتعالى– أوصى باللغة لآدم– عليه السلام– عندما علّمه الأسماء كلها، كما ورد في سورة البقرة: ﴿**وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلها**﴾ [آية٣١].

كما يستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة اليهودية والنصرانية، وقد تبنَّى هذا الرأي من العرب العالم اللغوي (ابن فارس) في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة)، أما (ابن جني) فقد فسّر قوله تعالى في الآية السابقة أن الله أقدَرَ آدمَ على وضع اللغة، كما يؤكد ابن حزم أن اللغة توقيفية؛ لأنه تقيَّد بظاهر النص، ويسير إخوان الصفا على النهج نفسه.

أما المذهب الثاني: الذي حظي باهتمام العلماء إلى عصرنا الحالي فهو المذهب الوضعي والاصطلاحي، وهذا المذهب ذكره ابن جني فقال: "إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة؛ وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعون لكل منها سمةً ولفظاً يدل عليه ويُغني عن إحضاره أمام البصر.

ومعنى هذا أن اللغة عند ابن جني ظاهرة اجتماعية إنسانية تنمو وتتطور لحضور الداعي كما يقول، ولو لم تكن كذلك لما استجابت لهذا الداعي، وتتم الاستجابة بالوضع.

والمبدأ العام في هذه الوجهة هو حصول رابطة عضوية بين حاجة الإنسان المتولِّدة في حياته البيولوجية والاجتماعية واستجابة اللغة لتلك الحاجة بالذات، وبذلك تتأسس القضية على ضرورة التوازن بين الحاجة وسد الحاجة في علاقة الإنسان باللغة عبر وجوده المتفاعل مع مقتضيات المحيط.

وقد رأى بعض من أيد هذا المذهب أن يكون المشرِّع للغة شخصاً واحداً معيناً هو الرئيس المدبِّر لسياسة الجماعة.

ويرى آخرون فرضية ثانية حول تشريع المواضعة، فيرون أن المشرّع ليس فرداً واحداً وإنما مجموعة من الأفراد يقومون مقام الجمهور بأكمله ويسميهم الفارابي (الجماعة المدبرين).

والفرضية الثالثة حول وضع اللغة تقول:إنّ اللغة لا تخضع للأبنية القومية السياسية وإنّما إلى الأبنية الفكرية، وعلى وجه التحديد فصحاء الأمة وبلغائها من رواة الخطب وحفظة الشعر ونقلة الأخبار، وهم الذين نعتهم الفارابي بحكماء الأمة ومدبري أمر لغتها، فيتفرَّد بذلك الفصيح بحق سياسة المؤسسة اللغوية الجماعية.

وليس لهذا المذهب مستند نقلي أو عقلي؛ لذا نجده في النهاية عاجزاً عن تفسير نشأة اللغة؛ لأن نشأتها يتوقف على وجود لغة صوتية في الأصل الأول.

المذهب الثالث: (مذهب المحاكاة)، وخلاصته أن الإنسان سمّى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها، وهذه الأصوات ناتجة عن تقليد مباشر لأصوات الطبيعة الصادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء، وقد عرض لهذا الرأي ابن جني بقوله: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة: كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار"، وقد ارتضى ابن جني هذا الرأي فقال معقباً عليه: (وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبَّل).

وما يؤيد هذا المذهب ما نجده من اشتراك في بعض الألفاظ في كثير من اللغات، فالكلمة التي تدل على الهمس في العربية (همس)، وفي العبرية (صفصف)، وفي التركية (سُوسْمَك)، فالعامل المشترك من هذه الكلمات هو صوت الصفير وهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة.

وبناءً على ذلك يرى بعض العلماء أن مناسبة اللفظة للمعنى مناسبة حتمية، بمعنى أنّ اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب، لكن هذا المذهب لا يبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي لا نرى فيها محاكاة الأصوات المسميّات مثل أسماء المعاني كالعدل، والمروءة، والكرم، والحب، وتسمى هذه النظرية بنظرية (البو-واو).

(رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة.)

أما الذي أعطى قضية المحاكاة بعدها اللساني وركز لها القواعد التأسيسيّة على مستويي التنظير والممارسة فهو ابن جني الذي اكتمل معه علم أصول النحو، فكان في تحليله لموضوع المحاكاة واعياً بأنه انتهى إلى تحديد طريقة هي خلاصة تفكيره، فالمنطق هو فكرة (المضاهاة) ثم تتركز تحليلاً بما يسميه إمساس الألفاظ أشباه المعاني أو سوق الحروف على سمت المعنى المقصود مشتقاً منه فكرة المساوقة، ويعني مساوقة الصيغ للمعاني ومقيماً مبدأ التعديل والاحتذاء، ثم مستطرداً إلى فكرة تقارب الحروف بتقارب المعاني، وبذلك تكون المحاكاة عند ابن جني محاكاة صوتية بالمرتبة الأولى وبنائية بالمرتبة الثانية، من ذلك المصادر الرباعية المضعّفة التي تأتي للتكرير مثل: قلقل، زلزل، ومحاكاة تعاملية، بالمرتبة الثالثة مثل كلمة صرَّ الجندب لما استأنس في صوته من استطالة.

(عبد السلام المسدّي: التفكير اللساني في الحضارة العربية)

وقد كان ماكس ميلر من كبار علماء اللغة في القرن التاسع عشر من أشدّ المعارضين لهذه النظرية، فهو يرى أن الأصوات الطبيعية محدودة القدْر في التعبير عن المعاني والدلالات المجردة الساميّة التي تعامل معها الإنسان، بعد ذلك أن هذا النوع من الكلمات أو الأصوات ذات الجَرْس المعبّر تختلف من لغة، بل تختلف في اللغات ذات الأصل الواحد. (حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة)

المذهب الرابع: (نظرية التنفيس عن النفس)، كانت هذه النظرية تتحدث عن التنفيس عن النفس، وتتلخص في أنّ مرحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه.

وتمتاز هذه النظرية عن سابقتها بأنها تعزو نشأة اللغة الإنسانية إلى أمر ذاتي، أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني وبالحاجة إلى التعبير عما يجيش في صدر الإنسان من انفعالات وأحاسيس، أما السابقة فترجع نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها.

ويدين أصحاب هذه النظرية إلى ما نادى به دارون في نظريته المشهورة الخاصة بتطور الكائنات الحية، فقد ربط بين نشأة اللغة، وتلك الأصوات الغريزية من تأوهات وآهات وأصوات الدهشة والتعجب، وجعلها الأساس الذي استمدّت منه اللغة الإنسانية نشأتها. (حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة)

وقد عجزت هذه النظرية عن تفسير نشأة اللغة، فكانت ناقصة وغامضة، فهي لا تبين نشأة الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالية، ولأنها لا تشرح لنا السرّ في أن تلك الأصوات الساذجة الانفعالية تحوّلت إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية.

(رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث)

المذهب الخامس: ويتضمن هذا المذهب أن اللغة في نشأتها قامت على أساس نظرية التطور اللغوي، وقد تأثر واضعو هذه النظرية بنظرية التطور العام التي دفعت مركبها نحو المرسى(دارون).

وهم يزعمون أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فطرية متعددة متمشية مع مراحل نموه العقلي، وهذه المراحل هي:

مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان في العصور الأولى حين كانت أعضاء النطق لديه غير ناضجة وميوله ورغباته غير محددة، كما يحدث عند الأطفال في أول محاولة للنطق، ومرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بالإشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات مساعدة فطرية في الإبانة عن الأغراض، وقد ساعد على تطور الأصوات وتكيفها نمو أعضاء النطق من جهة ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان من جهة أخرى، وتناظر هذه المرحلة، مرحلة نمو الطفل اللغوي، ثم مرحلة المقاطع ثم مرحلة الكلمات من المقاطع، وهذه المراحل

مجتمعة تؤول إلى مرحلة الوضع والاصطلاح، وهذه آخر مرحلة من مراحل النمو اللغوي عند الطفل عندما يذهب إلى المدرسة.

(رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث)

أما الفرضية الأخيرة التي نعرض لها على وجه التمثيل لا الحصر، فهي التي تفترض أن قاعدة الهرم الاجتماعي هي التي تأخذ دور التشريع اللغوي، إذ يصبح المجتمع صميم المؤسسة اللغوية، فهو المشرّع لهذا وهو المنفّذ لما شرّع لنفسه منها، وهذه الفرضية سمة الحداثة لما تأسست عليه من مؤشرات لسانية اجتماعية.

ويبقى أمر نشأة اللغة من القضايا التي تنتمي إلى الغيبيات اللغوية التي لم ينته البحث فيها إلى مستند علمي؛ لذا أصدرت الجمعية اللغوية الفرنسية قراراً بأن يتوقف الحديث عن نشأة اللغة؛ لأن ذلك لن يُفْضي إلى حقائق تصمد أمام قواعد العلم وأصوله، وأي دراسة تتناول هذه القضية لن تنتهي إلى نتائج مطمئنة، بل لا طائل من ورائها.

تعريف اللغة

تعددت تعريفات اللغة عند القدماء والمحدثين، وذلك عائد إلى اختلاف أهل اللغة حول كُنْه اللغة ذاتها، مما أدى إلى تركيز كل مجموعة على النواحي المهمة من وجهة نظرها، وحاولت إبرازها من خلال التعريف.

ومن أهم التعريفات عند القدماء التي تعبر عن الفطرة اللغوية السليمة المرهفة والدقيقة، تعريف ابن جني اللغة بقوله: "وحدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

وقد أثّر هذا التعريف في اللغويين العرب والغرب قديمهم وحديثهم، ونال إعجابهم لأنه جمع الأركان التي تؤثر في اللغة، وهي الطبيعة الصوتية، والطبيعة الاجتماعية.

محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث

وإن كان أُخذ على تعريف ابن جني أنه يصلح تعريفاً للكلام وليس للغة؛ لأن الكلام يحمل بعداً تطبيقياً وصوتياً، واللغة تبقى النظام الجامع لهذه المستويات المتحوِّلة عن هذا النظام.

ويمكن تعريف اللغة تعريفات عدّة، منها: "أنها نظام اتصال بين طرفين" أو أن اللغة "نظام لتبادل المشاعر والأفكار بين الناس" أو أن اللغة "وسيلة للتعبير عن الحاجات والآراء والحقائق بين الناس" أو أن اللغة "نظام اعتباطي لرمز صوتي يستخدم لتبادل الأفكار والمشاعر بين أعضاء جماعة لغوية متجانسة.

فإذا ما نظرنا إلى التعريفات الثلاثة الأولى وجدنا أنها قريبة من تعريف ابن جني للغة، أما التعريف الرابع فقد زاد على التعريف مسألة الاعتباطية في اللغة، وهذه الزيادة ليست جديدة على ابن جني فقد أفاض في الحديث عنها في كتابه عندما تحدث عن نشأة اللغة، وسبب تكوُّن الكلمات، وكيفية المواضعة على هذه الألفاظ.

(محمد علي الخولي:مدخل إلى علم اللغة)

ومن العلماء الذين عرّفوا اللغة، العالم اللغوي السويسري دي سوسير الذي عرّفها أنها: " نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته".

وفي هذا التعريف توضيح لآلية التلقي والتعلم اللغوي، فأكد دي سوسير أن التواصل اللغوي يقوم على ركائز، هي: المرسل والرسالة والمادة المرسلة، نحو (العلامات الصوتية) المنقولة عبر الهواء الحامل للرسالة التي تؤول في النهاية إلى المتلقي، مما يحقق التواصل اللغوي الذي يؤدي إلى اكتساب اللغة بالسماع.

كما عرّف (روي، سي، هجمان) اللغة بقوله: "اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما.

وبذلك نتبين أن الملامح المميزة للغة هي أنها طبيعة صوتية تتأثر بالطبيعة الاجتماعية، مما يجعلها متغيرة وذات نسق معين تكتسب اكتساباً.

(محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث)

وعرَّف سابير اللغة فقال: "اللغة طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجاً إراديّاً.

نلاحظ من خلال التعريف السابق أنه يضم عيوباً كثيرة، منها أن الرموز لها خصوصيات تنفي عنها الاعتباطية، واللغة اعتباطية بالدرجة الأولى، ومن عيوبه أيضاً أن هناك كثيراً مما تنقله اللغة لا يدخل في إطار أي من فكرة أو انفعال أو رغبة، كما توجد نظم كثيرة من الرموز المنتجة إرادياً لا نعدها لغات إلا بالمعنى المجازي لكلمة لغة مثل: (لغة الجسد وحركات العيون)، ثم كيف توصف اللغة بالإنسانية البحتة بانتفاء الغريزية منها.

وعرَّفها روبنز بقوله: "اللغة نظام من الرموز يتأسس معظمها على العرف البحت أو الاعتباطية" غير أنه أكد تأكيداً خاصاً مرونة تلك الرموز وقابليتها للتغير والتكيف.

كما عرّفها تشومسكي أنها: "مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل، كل جملة محدودة من حيث الطول، وتتركب من مجموعة محدودة من العناصر" وهذا التعريف

حطم الأركان الأساسية عند معظم اللغويين من حيث إن اللغة نظام مصمم للاتصال، وبهذا يفصل بين اللغة ووظيفتها ويركز على الخصائص البنيوية البحتة للغة، وعلى فكرة أن هذه الخصائص يمكن أن تبحث بطريقة واضحة وضوح الرياضيات، لأنه كان يركز على فطرية اللغة.

وظيفة اللغة

إن وظيفة اللغة لا تُستكنه إلا بالإحاطة بتعريفاتها المختلفة ومن خلال التعريفات التي وضعها العلماء، يتضح أن للغة وظائف عدّة، منها:

١. أن اللغة تنقل الأفكار والمعلومات والحقائق والعلوم من عصر إلى آخر، فلولا اللغة لما كان هناك تعليم ولما كانت هناك علوم.
٢. باللغة تنتقل المشاعر والأحاسيس، فلولا اللغة لما تواصل الإنسان عاطفياً.
٣. اللغة تؤدي وظيفة التواصل المختلف عاطفياً كان أم علميا.

بين علم اللغة وفقهها

كثير من يظن أن علم اللغة هو نفسه فقه اللغة، وهذا الظن يحمل طابعاً وراثياً لما وجدناه في أعطاف الكتب القديمة من تضاؤل الفَرْق بين العلمين المذكورين، فقد ورد في لسان العرب في سياق تعريفه للفقه قوله: "الفقه: العلم بالشيء والفهم له، والفقه في الأصل العلم، يُقال "أوتي فلان فقها في الدين أي فهماً فيه"، ولم تذكر المعاجم الأخرى غير هذا المعنى للفظة " فقه"،وهذا يعني أن اللغويين القدامى لم يفرّقوا بين لفظة (فقه) اللغة و(علم) اللغة لأن اللفظتين – في مفهومهم – تعني شيئاً واحداً، مما دعا الباحثين إلى التمسك بهذا الرأي ، وبالتالي انقسم الباحثون المحدثون إلى قسمين:

الأول: أيّد فكرة اتحاد المعنيين مستندين على ما ورد في كتب علمائنا.

الثاني: أيد فكرة اختلاف المعنيين مستندين على ترجمة المصطلحين من الإفرنجية إلى العربية، حيث فرّق علماء اللغة الغربيون بين علم اللغة وأسموه (Linguistics) وفقه اللغة (Philology) التي تعني حب اللغة والتعمق فيها .

يقول الدكتور رمضان عبد التواب:" تطلق كلمة فقه اللغة عندنا الآن على العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها، ومعرفة سر تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة، ودراسة تاريخها من جانب ووصفه من جانب آخر" ثم يضيف قائلاً :"أما علم اللغة (Linguistics) ، ويطلق عليه أحياناً علم اللغة العام (General Linguistics) فقد دخل بعض الجامعات العربية حديثاً ، وتعالج فيه عادة قضايا اللغة مجردة من الارتباط بأي لغة من اللغات.

(رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة)

هل يرتبط علم اللغة بلغة بعينها ؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من العودة إلى فقه اللغة لمعرفة علاقتها باللغة؛ ليتسنى لنا بيان ارتباط علم اللغة باللغة.

إن موضوع فقه اللغة هو اللغة المعينة بمفهومها العام، عربية أو لاتينية أو فارسية بوصفها وسيلة إلى غايات قد تكون اجتماعية أو تاريخية، وقد توسَّعت موضوعات فقه اللغة لتضم تحقيق النصوص القديمة ودراستها والتدليل على صحتها.

أما علم اللغة فموضوعه اللغة (أي لغة) ودراستها "لذاتها ومن أجل ذاتها" كما يقول سوسير في كتابه "محاضرات في علم اللغة العام" واضعاً في الاعتبار كل النتائج التي تَحصّل عليها فقهاء اللغة من صوتيين وصرفيين ونحويين ومعجميين وبلاغيين وغيرهم، وقد وضع هذا العلم نصب عينيه دراسة اللغات الطبيعية البشرية من حيث طبيعتها وخصائصها ووظائفها، ووسائل التواصل غير اللغوية من إشارات ورموز (علم السيمياء) كما يهتم باللغات غير المكتوبة التي ينقصها التاريخ المتكامل ولا سيما اللغات الهندية والأوروبية، مما ساعد على نشوء الدراسات اللغوية المقارنة.

(هادي نهر/ الأساس في فقه اللغة العربية وأروماتها)

وقد وجد بعض الدارسين أن الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة لا يتوقف على الموضوع حسب، بل يتعدى ذلك إلى فروق أخرى كالتاريخ والميدان واختلافهما من حيث المنهج والوسائل كما يقول الدكتور حسن ظاظا في كتاب (اللسان والإنسان): "على الرغم من التقاء فقه اللغة بعلم اللغة في كونه وصفاً لظاهرة لغوية وتفسيراً لها، ومحاولة للكشف عنها وعن كنهها، مستعيناً بالنتائج المستنبطة، والاكتشافات الكثيرة والتفاسير القيّمة المستقيمة التي يمده بها علم اللغة، إلا أن دائرته أضيق وأعمق، أضيق لاقتصارها على وحدة بذاتها من لغات البشر، وأعمق لأنه يوليها عناية خاصة من مميزاتها وتاريخها".

ولتحديد مفهوم علم اللغة نقول إن علم اللغة لا يدرس اللغة للكشف عن الكيفية التي يجب أن يكون عليها الكلام، وعن الكيفية التي يحسن بها الكلام، وخلاصة القول هي أنّ اللسانيات أو علم اللغة تختلف عن علوم اللغة المختلفة في كثير من الخصائص، إذ يرى جون ليونز أن أهم هذه الخصائص هي:

١. أن اللسانيات تتصف بالاستقلالية، وهذا مظهر من مظاهر علميتها، على حين أن النحو التقليدي كان يتصف بالفلسفة والمنطق.

٢. تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة، على حين أن علوم اللغة التقليدية فعلت العكس.
٣. تُعْنَى اللسانيات باللهجات ولا تفضل الفصحى على غيرها، على النحو الذي كان سائداً من قبل.
٤. تسعى اللسانيات إلى بناء نظرية لسانية لها صفة العموم، إذ يمكن على أساسها دراسة جميع اللغات اللسانية ووصفها.
٥. لا تقيم اللسانيات وزناً للفروق بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة؛ لأنها جميعاً جيدة وجديرة بالدرس دون تمييز أو انحياز مسبق.
٦. تدرس اللسانيات اللغة ككل وعلى صعيد واحد ضمن تسلسل متدرج من الأصوات إلى الدلالة مروراً بالجوانب الصرفية والنحوية .

ويرى سوسير أن اللسانيات تؤدِّي ثلاث مهمات :

١. تقديم الوصف التاريخي لمجموع اللغات، وهذا يعني سرد تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغات الأم.
٢. البحث عن القوى الموجودة في اللغات كافة وبطريقة شمولية متواصلة، ثم استخلاص القوانين العامة التي يمكن أن ترد إليها كل ظواهر التاريخ الخاصة.
٣. التحديد والاعتراف بنفسها.

نستخلص مما سبق أن أهم ما جعل اللسانيات علماً هو إخضاع الظواهر اللغوية لمناهج البحث العلمي، خلافاً لما كان عليه الحال من قبل إذ كانت علوم اللغة في أوروبة تتصف بالذاتية والتخمين والتأمل العقلي البعيد عن الموضوعية.

الفصل الثاني

علم اللغة قديماً

- علم اللغة عند الإغريق
- علم اللغة عند الرومان
- الجهود اللغوية للعلماء العرب

علم اللغة عند الإغريق

يرجع النظر في اللغة إلى وقت أخذت فيه الجماعات اللغوية بالكلام، ثم دقّ نسبياً بعد نشأة الكتابة، وكانت تصورات البشر عن اللغة تتفق وطبيعة معتقداتهم ونظرتهم إلى الحياة، وهذا ما ينطبق على فلاسفة اليونان الذين كانت نظرتهم إلى اللغة نظرة ميتافيزيقية.

إن البداية الحقيقية للاهتمام باللغة ومشاكلها يبدأ مع فلاسفة اليونان القدماء والنحاة السنسكريتيين، مما يبرز الدور الذي أداه الإغريق في سيرورة اللغة وعلمها.

نشأة اللغة عند الإغريق

تعد المناقشات التي أثارها الفلاسفة الإغريق ذات أهمية خاصة، لأنها مهدت الطريق لمناقشات أخرى تالية، فقد تساءلوا عدة تساؤلات منها:

- ماهي اللغة؟
- ماهو أصلها؟
- ماهي الكلمة؟
- هل اللغة شيء فوق الطبيعة تلقاها الإنسان من ربه؟
- هل هناك علاقة فطرية بين الدال والمدلول ؟
- هل اللغة تتوقف على العرف والاتفاق بين المتكلمين على أنهم سوف يستعملون رمزاً لغوياً معيناً في مقابل قيمة دلالية معينة شائعة ومتماثلة- قليلا أو كثيراً – بين أطراف التفاهم ؟

وقد تساءلوا عدة تساؤلات أخرى كثيرة توضّح الجانب الذي يوحي بأنهم أهل فلسفة أكثر من أنهم أهل دين .

وهناك عدة آراء كانت تدور بين الفلاسفة منهم حول الإجابة عن هذه الأسئلة التي تدل بشكل أو بآخر إلى نظرة اليونان الميتافيزيقية إلى اللغة.

محمود السعران / علم اللغة)

الاهتمام الأول الذي حققه اليونان للغة

يبدأ الإنجاز الأول الذي حققه اليونان للغة عندما استنبطوا نظاماً أبجدياً لكتابة اللغة اليونانية، وهذا النظام كان قد نشأ بشكل مستقل عن صورة معدلة للكتابة الفينيقية، وقد دونت هذه الأبجدية في الألف الأولى قبل الميلاد.

وما يهمنا بالأبجدية اليونانية أنها أصبحت بمثابة الأب في طرق الكتابة الأكثر انتشاراً في لغات العالم ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنها كانت أبجدية فونيمية (وإن لم تكن فونيمية بشكل كامل). (هـ. روبنز / موجز تاريخ علم اللغة)

النحو اليوناني

لم يدرس قدماء اليونان سوى لغتهم، ولكنهم سلَّموا بأن بنية لغتهم تُجسِّم الصورة العامة للتفكير الإنساني، أو ربما تُجسِّم الصورة العامة للنظام الكوني بأسره.

وكانت ملاحظاتهم النحوية محدودة بمحيط لغتهم ومقررة بصورة فلسفية ، وهذه الملاحظات تبلغ كمالها في نحو ديونيزيوس تراكس – في القرن الثاني قبل الميلاد–، وفي نحو أبولونيوس ديسكولوس– في القرن الثاني بعد الميلاد – .

والصفة الغالبة على النحو اليوناني هي الكشف عن قواعد تميز صواب الكلام من خطئه، ثم فرض هذه القواعد،والنحو اليوناني بهذا الاعتبار هو نحو تعليمي.

وهكذا فليست الملاحظات الموضوعية الخالصة هي الغالبة إذاً، بل الرغبة في التوفيق بكل وسيلة ممكنة بين اللغة والمنطق، ووضع كلمات اللغة وتعبيراتها في قوالب تيّسر تعلمها، فالنحو الإغريقي منطقي تربوي.

والحق هو أننا نرى أن نحويي الإغريق قد قاموا كذلك ببعض الملاحظات اللغوية التفصيلية فيما يتعلق ببعض الصور القديمة من الإغريقية وبعض لهجاتها.

فالإلياذة والأوديسا كانتا مكتوبتين بلغة يونانية قديمة غير معروفة وقت كبار النحاة، وكان عليهم أن يدرسوا تلك اللغة القديمة، وأن يقابلوا بين نسخها المختلفة لتقويم نصها، وكان من أشهر الباحثين في هذا الميدان أريستارخوس.

ولما بعد العهد بلغة كبار الأدباء الأثينيين من القرن الرابع اتخذت لغتهم موضوعاً خاصاً للدراسة، فقد كان المثل الأعلى للغة هو الكتابة، وقد جمع بعض متأخري النحاة معلومات قيمة عن الملاحظات اللغوية التفصيلية في هذا الشأن.

وقد كان لمدرسة الإسكندرية القديمة فضلها في حفظ الآثار الأدبية اليونانية القديمة النّحو بوجه خاص.

ففي الإسكندرية التي أصبحت مركز الثقافة اليونانية كثرث الشروح – في القرن الثالث قبل الميلاد – على أشعار هوميروس وأشعار من سواه من الشعراء.

واهتم لغويو مدرسة الإسكندرية كذلك بدراسة مفردات النصوص، ومن ذلك جمع الألفاظ الصعبة أو الكلمات الشعرية أو الكلمات التي تنتمي إلى لهجات خاصة.

(محمود السعران/ علم اللغة)

وأبرز العلماء والفلاسفة الذين تحدثوا في اللغة

سقراط: رغم أن معرفتنا بسقراط لم تكن مباشرة لأنه لم يترك لنا أي كتابات كتبها بنفسه، إلا أن المناقشات ووجهات نظره التي وردت في بعض كتابات زينون، وفي محاورات أفلاطون الأكثر شهرة كان يوجد بها مناقشات للغة وتحليل لها، وكانت من هذه المحاورات محاورة كراتيلوس التي خصصت للمسائل اللغوية التي كان سقراط هو المتحدث الوحيد فيها. (ر.هـ. روبنز/ موجز تاريخ علم اللغة)

أفلاطون: نسب إليه جزئياً بدء الدراسات القوعدية في بلاد اليونان ، وهو ما فعله الكاتب المتأخر ديوجينس لايرتيوس الذي يقول:إن أفلاطون هو أول من بحث إمكانيات القواعد.

أرسطو: كما هو الحال مع أفلاطون ، فإنه يجب أن نجمع أفكار أرسطو اللغوية من أقواله المتناثرة ، ويمكننا النظر إلى ماقام به أرسطو على أنه تطوير للافتراضات التي توصل إليها أفلاطون. (ر.هـ. روبنز/ موجز تاريخ علم اللغة)

زينون (مؤسس المدرسة الرواقية): يَرُدّ فلاسفة المدرسة كل شيء الى المنطق، ويَرَوْن أن النحو ينبغي أن يطابق المنطق، وفي رأيهم أن هناك توافقاً بين علامة الجمع وفكرة

التعدد، وهؤلاء هم أصحاب القياس، وقد رد عليهم أولئك الذين يدخلون في حسابهم ما يشاهدون في اللغة من شذوذ؛ فقالوا :قد تدل الكلمة الجمع على المفرد، والتقسيم النحوي إلى مذكر ومؤنث ومحايد لا يطابق التقسيم على أساس الجنس في الواقع الطبيعي، واستنتجوا من ذلك أنه ليس هناك تطابق لازم بين اللغة والواقع.

(محمود السعران/ علم اللغة)

أهم الملاحظات اللافتة في النحو اليوناني:

١) أن الوصف الدقيق الذي انتبهوا إليه لم يتم بين يوم وليلة، وإنما استغرق قروناً حتى تم وضعه.

٢) أنه بُنِيَ على بعض الفروض الوهمية، وعلى بعض المقدمات الخاطئة (عند التصنيف).

٣) أن الآراء النحوية معيارية أكثر منها وصفية.

وربما كان هذا مثيراً للعجب، لأن النحو اليوناني عند اللغويين يعد ذا قيمة كبيرة، والسبب الوحيد الذي أدى إلى تخلف النحو اليوناني وعدم إحكام قواعده هو:

أن النحاة الإغريق كانوا مرتبطين بأسس ومبادئ منطقية وفلسفية كثيراً ما اعترضت طريقهم، نحو الملاحظة العلمية، وقادتهم إلى استعمال المنهج الاستدلالي لا الاستقرائي.

(ماريوباي/ أسس علم اللغة)

المادة الصوتية عند الإغريق

نجد المادة الصوتية المأثورة عند الإغريق في محاورات أفلاطون، وفي الشعر والخطابة عند أرسطو، ونلحظ أكثرها في كتابات نحوييهم مثل ديونيزيوس ثراكس، وغيره .

وتقوم هذه الآراء الصوتية لقدماء اليونان على ملاحظة الآثار السمعية التي يتركها الصوت في الأذن. (محمود السعران/ علم اللغة)

وأبرز الملاحظات على الآراء الصوتية عندهم:

١) لم يفطنوا إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسين، وهما: الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة، وإنما صنفوا جانباً من أصوات لغتهم وهي الأصوات المغلقة، على أساس شدة النَّفَس، وهكذا أصبحت الأصوات التي يصدق عليها أنها

مهموسة؛ مقابلة في تصنيفهم للأصوات الانفجارية المهموسة بدلاً من أن تكون لما يصدق عليها أنها مجهورة، واعتبروا الأصوات التي نسميها مجهورة متوسطة بين المهموسة وبين الانفجارية النَّفَسية.

٢) صنفوا الأصوات إلى صامتة وصائتة؛ وسموا الصامتة بـ Sumphena، وسموا الصائتة بـ phoneente .

٣) صنفوا أصوات لغتهم حسب موضع النطق-أي حسب مخارج الحروف-؛ ولكنه يقوم على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات التي تنقصه الدقة الواجبة في هذا المجال.

٤) صنفوا أصوات لغتهم حسب طريقة النطق.

(محمود السعران/ علم اللغة)

رغم وجود الكثير من الأخطاء النحوية الكبيرة عند الإغريق، إلا أننا لا ننكر الدور الكبير الذي قاموا به في مجال اللغة، فقد أدْلَوا بأفكار كثيرة حول اللغة وطبيعتها كان من شأنها أن تساعد في سيرورة هذا العلم.

هذا بالإضافة إلى وضعهم للأبجدية التي تعد بمثابة المُرْتَكَز لكثير من أبجديات لغات العالم.

علم اللغة عند الرومان (اللاتين)

إذا كان لا بدأن نقرر فضلا خاصا للرومان في تاريخ علم اللغة فما ذلك لطرافة إنتاجهم، بل لأنهم نقلوا إلينا أبحاث غيرهم.

تعلم الرومان اللغة اليونانية وكرروا التعليم الإغريقي، وتناقلوه ولم يضيفوا شيئا يذكر في بحث أصوات اللغة. وقد ظل علماؤهم في القواعد الأساس الذي قام عليه التعليم الغربي الموروث من أمثال: Varron (القرن الأول ق.م) صاحب كتاب (في اللغة اللاتينية).

وQuintilin (القرن الأول الميلادي) الذي ضم كتابه (في فن الخطابة) موجزاً لقواعد اللغة، وAeliusDonatus مؤلف كتاب (الأجزاء الثمانية في فن الخطابة أو الفن الأدنى) وهو مرجع قواعد اللغات الأوروبية جميعا عبر القرون، وغيرهم من العلماء .

وهذه الكتب التي في قواعد اللغة انبثقت جميعا عن الكتب الإغريقية في القواعد، ويشير المؤلف Marobe إلى أن (الطبيعة قد أوجدت أوثق الصلات بين الإغريق واللاتين، حتى إذا وقف أحدهم على أسرار إحداهما كان على علم باللغتين).

فلا فرق بين اللغتين سوى أن اللاتينية لاتحوي أداة للتعريف ولا للمثنى، وأن اللغويين اللاتين طيلة ألفي عام تقريبا يحاولون إخضاع ظواهر اللغة اللاتينية إلى القواعد الإغريقية .

وصف اللغات عند الرومان

لم يُعْنَ الرومان مطلقا باللغات الحية شأنهم شأن الإغريق في ذلك، قد لجأت الحضارة الرومانية أكثر من الحضارة الإغريقية إلى استخدام المترجمين، وأن القيصر قد اصطنع هؤلاء التراجمة في بلاد غاليا وكان يصرفهم في حديثه السري.

وكان اتصال الرومان بالثقافة المادية والعقلية لليونان لفترة طويلة من خلال المستعمرات اليونانية أن أخذوا عنهم الكتابة، وكان لإنجازات اليونان الفكرية والفنية الرفيعة أن انعكس ذلك على اللغة اللاتينية فأصبحت لغة الإدارة والأعمال والقانون والتعليم والرقي الاجتماعي، وحلّت اللاتينية محل اللغات السابقة لمعظم الأقاليم الغربية، وأصبحت مع التطور اللغوي هي اللغات الرومانية الحديثة وهي لغات أوروبا المعاصرة.

وإذا أردنا البحث عن العلاقة بين الحكم الروماني والحضارة اليونانية نجدها في تعبير فرجيل حيث يقول: (دع الآخرين (اليونان) يتفوقوا في الفنون إن رغبوا بينما تحافظ روما على سلام العالم). وقد كان الأدب اليوناني يترجم إلى اللاتينية بشكل منتظم، وتخلى الشعر اللاتيني عن كثير من أوزانه الأصلية، وأصبح يؤلف خلال المرحلة الكلاسيكية وما بعدها في أوزان تم تعلُّمها من الشعراء اليونانيين، وهذا ظهر في شعر فرجيل سداسي التفعيلة وفي مراثي أوفيد العصماء.

ونظرا لاتساع الإمبراطورية الرومانية اتصل متحدثو اللاتينية مع متحدثي اللغات الأخرى، فكثر الطلب على تعلُّم اللاتينية وتعليمها، وأصبحت الحاجة للترجمة والمترجمين مُلِحَّة، وكانت أول ترجمة للعهد القديم للغة اليونانية (الترجمة السبعية)، وكان الرومان ينظرون للتعدد اللغوي بوصفه مأثرة عظيمة، ويحدثنا أولوس جليوس عن ميثرداتس العظيم ملك بونتوس بأنه كان قادرا على الحديث مع أي واحد من رعاياه الذين ينتمون إلى أكثر من عشرين جماعة لغوية مختلفة.

وكان الانهيار النهائي للأقاليم الغربية بما فيها إيطاليا وانتهاء مرحلة السلام الإمبراطوري، وشهدت هذه القرون حدثين لهما أهمية في حياة العالم المتحضر وهما:

أولا: انتشار المسيحية ومدّ نفوذها على طول الإمبراطورية وعرضها بعد أن كانت عقيدة لطائفة صغيرة من اليهود، وسيطرت على الفكر الأوروبي وعلى كل فروع العلم لـ١٠٠٠ سنة تالية، ولم تصدها الانشقاقات المذهبية أو الهرطقات.

ثانيا: انشطار العالم الروماني لشطرين: شطر شرقي، وشطر غربي، ففي عصر ديوكلتيان توقفت روما عن كونها العاصمة الإدارية، وفي عصر قسطنطين قام بنقل حكومته لمدينة جديدة وهي القسطنطينية، ثم مع نهاية القرن الرابع انقسمت الإمبراطورية إلى دولة شرقية وأخرى غربية حكم كل منها إمبراطورها الخاص .

الجهود اللغوية للرومان

بعد الحديث عن تاريخ موجز للإمبراطورية الرومانية وعن اتصالها بالحضارة اليونانية والاستفادة من تفوقها الثقافي والأدبي، نلمح إلى أبرز ما أنجزوه في مجال الدرس اللغوي وعلم اللغة على الخصوص .

يذكر محمد حبلّص: (أما عن الرومان وهم أحفاد الإغريق فلم يُرْصَد لهم جهد مبتكر سواء في نظرتهم لطبيعة اللغة أم رأيهم في قضاياها العامة أم تحليلهم لبنيتها، ولم يكونوا أكثر من حلقة وصل نقلت الرؤية والتناول الإغريقي لمن جاء بعدهم).

ولتناول البحث اللغوي عند الرومان نعرض لأشهر علمائهم ممن برزوا في البحث اللغوي وأظهر دراساتهم اللغوية:

- **فارو** (Varro) :

هو أول كاتب لاتيني جادّ اهتم بالموضوعات اللغوية (١١٦-٢٧ق.م)، وأسهب في شرح آرائه اللغوية في خمسة وعشرين مجلدا لم يبق منها سوى خمسة مجلدات من كتابه DE LINGUA LATINA، وقد حظي كتابه باهتمام معاصريه، وأهم مميزات مؤلفاته اللغوية عرضه المطول، ووجِّه إليه النقد بأن أسلوبه غير جذاب، إلا أنه كان أكثر أصالة في المسائل اللغوية من كل العلماء اللاتين، وأبدع في تصويره لمشكلة التشبيه أو القياس، والخروج على القياس، وتحليله للغة اللاتينية، وتصور اللغة بأنها تنمو من مجموعة أصلية من كلمات أساسية مفروضة على أشياء لكي تشير إليها، وأن هذه الكلمات تعمل بشكل

إنتاجي بوصفها مصدراً لعدد كبير من كلمات أخرى، وذلك عن طريق تغيرات في الحروف أو في الشكل الصوتي، وميَّز بين التشكيل الاشتقاقي والتشكيل الصرفي، وهو نوع من التمييز لم يكن معروفا من قبل، وله ملاحظة دقيقة فيما نسميه اليوم بالوظيفية البنيوية لآلية التصريف يقول: "ألسنا نرى في البيوت التي يتعدد فيها الخدم أن العبيد الجدد يحسنون استعمال حالات الإضافة والجر في مناداة رفاقهم حالما يطلعون على أسمائهم في حالة الفاعل والمفعول به".

وأبرز ما قدمه هذا العالم تقسيمه الدراسة اللغوية إلى: الاتيمولوجيا، والصرف، والنحو؛ ففي اللغة ثروة مفرداتية ناشئة عن أنواع من الاشتقاق هي التي جعلت الزخم الكبير من الألفاظ وتغير الصيغ عبر التاريخ إلى الاقتراض اللغوي، أما موقفه من ظاهرتي الشذوذ والاطّراد فهو وجوب التسليم بهما معا في اللغة، ذلك أن اللغة تنحو منحى براغماتيا، فما هو معلوم للإنسان يكون له أكثر من حضور، وما يفقد أهميته يكون على عكس ذلك، ففي اللغة اللاتينية يميزون بين جنسي الحصان والفرس، فلكل منهما صيغة، ورأى فارو أن تنامي المفردات عن طريق التغيرات التي تحدث لصيغ الكلمات الأولية بسبب اعتبارين هما: الاتيمولوجيا التاريخية، والتشكيل التزامني للاشتقاقات والتصريفات، وقام فارو بتصنيف مقترح للكلمات اللاتينية المتصرفة، وهو ما يظهر كيفية فهمه للمصادر اليونانية، وكيفية استفادته منهم دون أن ينقل عن عمد نتائجهم، وقد ميز بين الحالة والزمن للكلمات المتصرفة في اللغات الكلاسيكية، وأقام نظاما رباعيا لأنواع متباينة تصريفيا، وهي:

١- أقسام ذات تصريف حالة الأسماء (بما فيها الصفات).

٢- أقسام ذات تصريف زمن الأفعال.

٣- أقسام ذات تصريف حالة وزمن الفعل التام.

٤- أقسام ذات تصريف حالة وزمن الظروف.

وهذه الأقسام قسمت تقسيما فئويا آخر على أساس وظائفها النحوية والدلالية وهي: الأسماء تسمى والأفعال تقوم بالإفادة والظروف تعزز (أي تركيب مع الأفعال وتكون تابعة لها) والفعل التام تقوم بالربط وتثبيت عبارة بأخرى. ويتفق فارو في معالجته للزمن مع المذهب الرواقي الذي يتم فيه التمييز بين وظيفتين دلالتين لصيغ تصريفات الزمن، وهما: دلالة الزمن، ودلالة الحدث، ففي تحليله للأزمنة الإخبارية الستة فإن صيغ المبني للمعلوم والمبني للمجهول، وانقسام الجهة إلى تام وغير تام هي الصيغ الأكثر أهمية بالنسبة له، فهو قد وضع صيغ الزمن التام في مكان المضارع التام المناظر لمكان صيغ الزمن التام في اليونانية. وصنّف فارو الكلمات اللاتينية لكن تصنيفه لم يُعْتَدّ به، فما وجد في التراث اللاتيني تصنيف برشيان للكلمات، أما علماء القواعد اللاتين في العصور المتأخرة فكانوا أقرب إلى التصنيف المطروح في (التخني)، وقد بقي عدد أقسام الكلمات عندهم ثمانية.

وكان لمعرفة فارو باللغتين اليونانية واللاتينية أن انتبه إلى التباين بين نظام الحالة الخماسي في اليونانية ونظام الحالة السداسي في اللاتينية، وغير ذلك من الإسهامات المبكرة له في اللغة وتاريخ الدرس اللغوي ،فنحن نجده أكثر الكُتَّاب الرومان استقلالية وأصالة في الكتابة عن الموضوعات اللغوية. ونشير إلى أن الاسم الموصول في اليونانية كان مماثلا لأداة التعريف واسم الموصول في اللاتينية (من ، ما) يشبه من الناحية الصرفية اسم الاستفهام (من ، ما) وكلاهما قد صنفا معا سواء مع الاسم أو مع الضمير.

ونظر علماء النحو اللاتين إلى أداة التعجب باعتبارها قسما مستقلا من الكلمات بدلا من جعلها قسما فرعيا من الظروف كما فعل (التخني) وأبولينوس، وأول كاتب عرف بمعالجته لها بهذا الشكل كان رميوس بليمون عالم القواعد والأدب في القرن الأول الميلادي وعَدَّها كلمة ليس لها معنى محدد ولكنها تعبِّر عن الانفعال، وقد شدد برشيان على استقلالها النحوي في تركيب الجملة.

• **كونتليان:**

هو ناقد أدبي وعالم التربية وتلميذ بليمون، كتب عن التعليم بشكل مكثف وفي كتابه Institutio Oratoria شرح آراءه، فتناول القواعد باعتبارها أمرا تمهيديا لفهم الأدب فهما دقيقا في التعليم العقلاني، وناقش نظام تحليل نظام الحالة في اللاتينية وهو المضارع المسيطر دائما على عقول العلماء اللاتين الذين درسوا اليونانية.

ومن خلال مؤلفات فارو وكونتليان في أثناء العصر الكلاسيكي لروما نجد اهتمامهم الشديد بالنظرية والمناقشات والمقولات اللغوية اليونانية في تطبيقهم على اللغة اللاتينية.

• **برشيـــــان:**

قام بتأليف مصنف يتكون من ثمانية عشر كتابا يصل إلى ألف صفحة واسمه Insitutiones Grammaticae وهذا الكتاب يدرس قواعد اللاتينية، وكانت هذه القواعد وصفية تعليمية، وأصبحت أساس التعليم كله في العصور القديمة والوسطى وفي قسم من التعليم التقليدي في العصر الحديث، وقد عد دناتوس مع برشيان من الأكثر إلماما بهذه القواعد باذلين أقصى جهودهم لتطبيق مصطلحات ومقولات علماء قواعد اليونان على اللغة اللاتينية، وكان هذا في بداية القرن السادس.

وهدفهم نقل النظام القواعدي التخني وكتابات أبولينوس إلى اللاتينية بقدر ما استطاعوا.

وكان إعجاب برشيان بالعلم اللغوي اليوناني واعتماده على أبولينوس وابنه أمراً واضحاً في فقراته التمهيدية وعبر مؤلفه من القواعد الذي عالجه بشكل نظامي، وقام بوصف لغة الأدب الكلاسيكي.

وأبرز إنجازاته في مجال الصوتيات، فقد عولجت بفضله مجالات جديدة من قضايا اللغة أهمها: نشوء دراسات متخصصة متعددة للأصوات (وكان هذا القطاع من النحو يسمى الصوت أو علم الإملاء) وفسر ظاهرة المقطع. أمافي مجال الصرف والنحو فصنف الكلمات تبعاً لأقسام الكلم، وبدأت بفضله المحاولات الأولى في دراسة بنية الجملة.

وقد عرّف الكلمة والجملة بمصطلحات التخني بوصفهما الوحدات الصغرى لتركيب الكلمة، وقد أنكر أي أهمية لغوية للتقسيمات الأقل من الكلمة (ما يسمى اليوم بالتحليل المورفيمي).

ويعرض **برشيان** النظام الكلاسيكي لأقسام الكلمة الثمانية المعروض في التخني وعند أبولنيوس مع تجاهل أداة التعريف والاعتراف المستقل بصيغ التعجب، وقد عرف كل قسم من أقسام الكلمات وهذه الأقسام هي:

- Nomen (الاسم ويضم كلمات تصنف الآن باعتبارها صفات): خاصية الاسم أن يدل على جوهر وكيفية، وهو يعين صفة عامة أو خاصة لكل شخص أو شيء.
- Verbum (الفعل): هي أن يدل على حدث أو مطاوعة وله زمن وصيغة، ولكنه ليس فيه تصريف للحالة .
- Participium (الفعل التام): قسم من الكلمات يعزى دائما للأفعال ويشترك مع فئتي الأفعال والأسماء في (الزمن والحالة).
- Pronomen (الضمير): ما يمكن استبداله باسم العلم، وتحديده للشخص وربطه بأسماء الأعلام، وأن الخاصية المحددة له أن يدل على جوهر دون كيفية.
- Adverbium (الظرف): يستعمل في تركيب مع الفعل يكون فيه تابعا نحويا ودلاليا.
- Praepositio (حرف الجر): يستعمل بوصفه كلمة مستقلة قبل كلمات مصرفة الحالة، وأن يستعمل مركبا قبل كلمات مصرفة الحالة وغير مصرفة الحالة معا.
- Interiectio (تعجب): قسم من الكلمات مستقل نحويا عن الأفعال ويدل على شعور أو حالة عقلية.

- Coniunctio (الرابطة): وهي أن تربط نحويا بين عضوين أو أكثر من أي قسم آخر من الكلمات، وتدل على علاقة بين هذه الأعضاء.

ثم إن برشيان نظم الوصف الصرفي لصيغ الأسماء والأفعال وصيغ الكلمات المتصرفة الأخرى عن طريق تحديد الصيغ الأصلية أو الأساسية، وهي في الأسماء صيغة المفرد المرفوع وفي الأفعال صيغة المضارع الإخباري المبني للمعلوم. والحرف عنده كما عند بقية العلماء الغربيين يعني معا وحدة الكتابة الصغرى والوحدة الفنولوجية الصغرى.

ووضع برشيان الحالات الست للأسماء اللاتينية ليس على أساس صيغ الحالات المختلفة فعليا لأي اسم أو لأي تصريف واحد للأسماء، ولكن على أساس الوظائف الدلالية والنحوية المرتبطة بشكل نظامي بالاختلافات في الشكل الصرفي عند نقطة معينة في الجداول التصريفية لنوع الاسم ككل، وعلاقات الكثير بالواحد الموجودة في اللغة اللاتينية.

وقد تبنى برشيان وصف صرف الأفعال في اللغة اللاتينية مميزا بين الفعل المضارع والماضي والمستقبل، مع تقسيم دلالي رباعي للفعل الماضي إلى غير التام والتام البسيط والأسبق، مسلما باندماج معاني التام والبسيط في صيغ الزمن التام في اللاتينية.

وصنف الأفعال في الوصف النحوي للاتينية على أساس المخطط نفسه الذي وضعه علماء القواعد اليونانيون للغة اليونانية، وتنقسم الأفعال على أساسه إلى مبني للمعلوم (متعد) ومبني للمجهول، ومحايد (لازم) مع إشارة وافية للأفعال مجهولة الصيغة معلومة المعنى، المبنية للمجهول في صيغتها الصرفية ولكنها مبنية للمعلوم أو لازمة في المعنى والنحو، ودون أزمنة مقابلة مبنية للمجهول.

ولم يكن عند برشيان إلا القليل ليقوله عن التحليل النظامي للتراكيب النحوية للغة اللاتينية – مثل أبولنيوس قدوته- كان قويا في تقديم الأمثلة التفصيلية، ولكنه كان ضعيفا على مستوى النحو النظري نفسه.

وكان الصرف عند برشيان صرفا مفصلا بشكل نظامي ومحددا بدقة في معظم الأحوال، أما معالجته للنحو فتُعد أدنى من ذلك بكثير.

- **بريسكيان:**

كان النحو عنده امتدادا للدراسات النحوية عند اليونان، فأحسن نقل منهج الأنواع والأجناس الموضوعة للغة اليونانية إلى اللاتينية مع تغييرات قليلة جدا .

وإن بحثه الطويل (كتابه):قوانين النحو institutions grammatical يمتلئ بتفسيرات وشروح تمثِّل أقواله النحوية مستخلصة غالبا من الأعمال النثرية والشعرية للأدب اللاتيني في العصر الكلاسيكي، أو من النموذج الذي حدده علماء اللاتينية المعاصرون له والذي نجده في مثل إنجيل فولجاتا وهو الترجمة اللاتينية للإنجيل.

وهناك بعض العلماء نخصهم بالذكر كان لهم إنجازات في قضايا النحو اللاتيني، وهم:

ريموس باليمون اليوناني الأصل، وأشهر النحاة أيضا: دوناتوس ظهر في القرن الرابع وهو مؤلف فن النحو، وبرشيان في القرن السادس مؤلف المنظومات النحوية الذي طور أفكار أبولينوس، ومارس تأثيرا كبيرا على التصورات النحوية لمعاصريه.

- **ماركوس فيريوس فلاكوس:**

عاش في القرن الأول الميلادي، وهو أول مؤلف تصل إلينا أخباره في القواميس اللاتينية، فقد بدأ متأخرا جدا عن التأليف في المعاجم اليونانية، ثم تولّى بعد مدة ليست بالقصيرة التأليف في المعاجم التي كان هدفها شرح الكلمات الصعبة في هذه اللغة.

ونشير إلى أن القواميس اللاتينية تأثرت في طريقة ترتيبها للمادة اللغوية بالقواميس اليونانية، والقواميس اليونانية لاتعد الأساس للقواميس اللاتينية حسب، بل لكل القواميس في اللغات الأوربية الحديثة كالفرنسية والألمانية والإيطالية.

أما في مجال الترجمة اللغوية عند اللاتين:

فاهتموا بالكتاب المقدَّس، فكان عليه مدار كل الاهتمامات، وترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية من طرف علماء يهود، ثم أمست الحاجة ضرورية لترجمة الأدب الإغريقي الذي نقل إلى اللاتينية بشكل منظم ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد، بل اضطر الشعراء في تلك المرحلة إلى اقتباس النظام العروضي من اللغة اليونانية ونقله إلى اللاتينية مكيفين إياه مع طبيعة هذه اللغة في نظمها.

ونلاحظ أن كلا من اليونانيين والرومان قد كتبوا قواعد لغتهم على أساس معياري؛ أي ما ينبغي أن يكون عليه الكلام لا على أساس وصفي أي ما هو كائن فعلا، وقد خرج الدرس اللغوي عندهم عن دائرة البحث الفلسفي والمنطقي، وفطن بعض علمائهم إلى وجود مستويات لغوية للكلام، فيقول كونتليان: (إن القدرة على التحدث باللغة اللاتينية شيء، والقدرة على التحدث بها مع مراعاة الأصول شيء آخر).

ويؤلف برويس النحوي في القرن الثالث الميلادي كتابا يسجل فيه ثلاثمائة كلمة يخطئ الناس في نطقها، وتظهر القيمة العلمية لعمله في إدراكه وجود لهجات تختلف عن اللغة الفصحى.

يذكر محمود حجازي أن انتشار اللاتينية كان مع اتساع الدولة الرومانية منذ ٢٦٦ق.م وهي اللغة السائدة في أكثر أنحاء ايطاليا، وعرفت اللاتينية آنذاك مستويين لغويين، واتضحت خصائصهما بمضي الوقت وهما: اللاتينية الفصحى (الكلاسيكية) واللاتينية الشعبية، فاهتم الأدباء والخطباء بالاستخدام الفصيح للاتينية، أما الفلاحون والمواطنون البسطاء فتعاملوا مع اللاتينية الشعبية في حياتهم اليومية فنشأت الثنائية اللغوية، وزادت الفروق بين المستويين بمحاولة المثقفين تجنب تلك الألفاظ الشعبية، ثم كان اختلاف لهجات الجماعات التي هاجرت إلى المناطق المفتوحة وتأثير اللغات الأقدم سببا في نشوء لهجات لاتينية شعبية جديدة، فتأثرت اللاتينية الفصيحة باللاتينية الشعبية.

وفي العصر الفضي (نهايات القرن الأول الميلادي) نلاحظ انحدارا في القيم الأدبية واستهلاكا للموضوعات القديمة، وفي الغرب اللاتيني كما هو في الشرق اليوناني كان عصر الشروح والتلخيصات والمعاجم، وعلماء القواعد اللاتين الذين وجهوا اهتمامهم إلى لغة الأدب الكلاسيكي.

الجهود اللغوية للرومان

خلف الرومان ذلك التقليد الراسخ الذي يدفع دائما اللغويين إلى استقصاء نشأة اللغات، وكان Varron في كتابه (اللغة اللاتينية) يقاوم بروح حديثة هذا الإصرار في البحث عن الأصول الأولى ويؤكد (أن استنباط الاشتقاقات الصحيحة ....هو الذي يسدي أكبر خدمة للعلم).

وانحدرت إلينا من روما نظرية مادية طبيعية معاكسة للنظريات اللاهوتية في موضوع نشأة اللغة هي نظرية الشاعر lucrece، وخلدت بسبب صياغتها الرائعة والنفوذ الفلسفي العظيم لمؤلفها، وكان كلما أراد أحد المفكرين الأحرار خلال ألفي سنة أن يقاوم نظرية الخلق الإلهي للغة أو أشكالها المفروضة من عقيدة دينية استشهد بذلك الشاعر الكبير، وتلك ضمانة يصعب الحط من قيمتها.

وصنف العلماء اللغات إلى ثلاثة أنواع وهي: اللغات العازلة: وتتألف الكلمة فيها من جذر جامد، مثال ذلك عليها: اللغات الصينية والفيتنامية. واللغات اللاصقة: وفيها تحتوي الكلمات على لواحق بالإضافة إلى الجذر مع وضوح تقسيم الكلمة إلى جذر ولواحق، مثال ذلك عليها: اللغة التركية. واللغات المتصرفة: وفيها تشتمل الكلمة الواحدة على عدد من (وحدات المعاني)، إلا أننا لا نستطيع أن ننسب لوحدات المعاني هذه أجزاء مميزة في الكلمة ككل، وهكذا نجد أن كلمة (سُحُب) تدل على جمع مؤنث في العربية، بالرغم من تعذر فصل الجزء الذي يدل على الجمع عن الجذر المفرد، مثال على ذلك: السنسكريتية واليونانية الكلاسيكية واللاتينية.

ويرى أوغست أن اللغات التصريفية هي الأسمى، وصنفها إلى نوعين: تركيبية وتحليلية.

والهدف من الأصناف الثلاثة هو استعمالها (نماذج مثالية) للغات، مع الاعتراف بأن اللغات الحقيقية تتوزع ضمن حدود هذا التقسيم .

مراجع الدراسة في موضوع علم اللغة عند الرومان:

- جفري سامبسون: المدارس اللسانية، التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ .
- جورج مونين: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين/ ترجمة بدر الدين القاسم، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م،سوريا -دمشق .
- ر.هـ روبنز: موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت،عالم المعرفة،ط١، ١٩٩٧.
- سامي عياد حنا، شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية/ ط١، ١٩٩١م.
- ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح، ووفاء فايد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.
- كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م.
- محمد يوسف حبلص: من أسس علم اللغة، دار الثقافة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ .
- محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٩٥م.
- محمود جاد الرب: علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، (د.ت)، مكتبة الآداب، القاهرة.

الجهود اللغوية للعلماء العرب

تركزت جهود العلماء حول خصوصية اللغة ونشأتها، فكثرت الجهود والكتب التي ألفت في ذلك سواء من المحدثين أو القدماء. لكن سنركز في حديثنا على شيء من جهود القدماء، وذِكْر أبرز الموضوعات التي تطرقوا لها في أصل اللغة، وموقع جهود اللغويين العرب القدماء بين جهود اللغويين المحدثين.

في البدء نشير إلى تعريف ابن جني للغة ونظرة بعض المحدثين لهذا التعريف واستفادتهم منه في علم اللغة الحديث، ذكر في (باب القول على اللغة وما هي: أما حدها فإنها أصوات يُعَبِّر بها كل قوم عن أغراضهم" نال هذا التعريف شهرة واسعة في كتب علم اللغة الحديث، وعدّه الكثير من المعاصرين أفضل ما وصل إلينا من تعريفات اللغة كما ذهب محمود فهمي حجازي "هذا التعريف دقيق ويتفق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكد من جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، وبيّن أن وظيفتها الاجتماعية هي التعبير ونقل الأفكار في إطار البيئة اللغوية، ويذكر كذلك أنها تؤدي وظيفتها في مجتمع بعينه فلكل قوم لغتهم" .

وقدَّم عبده الراجحي شرحاً علمياً دقيقاً لهذا التعريف، مع ربطه بما في الدرس الحديث، وذلك في كتابه (فقه اللغة في الكتب العربية) فقال: "مع أن ابن جني هو أول من عرَّف اللغة فيما نطق، فإن تعريفه بها يثير دهشة الباحثين البعيدين عن تطور الحياة العلمية العربية؛ لأنه يقترب اقترابا شديداً من كثير من التعريفات المحدثين، ولأنه يشمل معظم جوانب التعريف التي عرضها علم اللغة في العصر الحديث" ويشتمل تعريف ابن جني على أربعة جوانب كما ذكرها عبده الراجحي، هي:

١. أن اللغة أصوات.
٢. أن اللغة تعبير.
٣. أن اللغة تعبير كل قوم عن أغراضهم.
٤. أنها تعبير عن" أغراض"، وقدَّم الراجحي تفصيل هذه الجوانب التي تبين موقع علم اللغة عند العرب القدماء من علم اللغة الحديث، وشدة تقارب هذا التعريف من

تعريفات المحدثين، فذكر عن الجانب الأول "أما أن اللغة أصوات فلا نكاد نعرف مثل هذا التحديد لها إلا في العصر الحديث، ويكاد الباحثون المحدثون يجمعون على أن اللغة أصوات على اختلاف بينهم في التعبير عن هذه الكلمة، ومن المثير حقاً أن ابن جني قصر اللغة على أصوات وإخراج الكتابة من هذا التعريف وهو دليل واضح على أن علماء العربية لم يكونوا يدرسون اللغة باعتبارها لغة "مكتوبة" شأن علماء فقه اللغة"، وإنما كانوا يدرسونها باعتبارها لغة "منطوقة" قائمة على "الأصوات" شأن أصحاب "علم اللغة"، أما الجانب الثاني فهو يشير إلى وظيفة اللغة وهي التي ذكرها ابن جني أنها يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، أي أن وظيفة اللغة عنده دائماً هي "التعبير"، وتختلف اتجاهات اللغويين المحدثين بين كلمتين يطلقوهما على وظيفة اللغة وهما "التوصيل" "والتعبير"، والكلمة الغالبة في كتب اللغويين هي أن اللغة هي أداة التواصل داخل المجتمع، بل إن الماركسيين يقصرون وظيفة اللغة على "الاتصال" على النحو الذي قرره لينين من أن اللغة هي أهم وسيلة في الاتصال الإنساني.

وتحدّث الراجحي عن الجانب الثالث" قائلاً: إن اللغة أصوات يعبر" كل قوم" واستعمال لفظة "القوم" هنا مقصود بلا شك وهو ما نريد أن نلفت إليه هنا، فكلمة القوم أراد بها ابن جني "المجتمع" وبخاصة أن لفظة المجتمع لم تكن مستعملة في هذا المعنى الذي نعنيه الآن، وإنما كان العرب يستعملون "القوم" للدلالة على المجتمع كما نفهمه في العصر الحديث، والذي أخذه العلماء المحدثون من إشارة ابن جني في هذا المقام أن علماء العربية فهموا قانوناً أساسيا من قوانين حياة اللغة، ونعني به أن اللغة لا تكون إلا داخل مجتمع، ومن ثم يمكن فهمها باعتبارها "ظاهرة اجتماعية" مع ما يمكن أن يترتب على ذلك من منهج للدرس،" والجانب الرابع الذي يشير إلى التعبير عن أغراض، أي أن اللغة ليست مجرد أصوات إنسانية وليست مجرد تعبير عن أي شيء، وإنما هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وكلمة الأغراض هذه يمكننا أن نفهم منها التفكير بلغة العصر الحديث، غير أن ابن جني أكثر توفيقاً في استخدام لفظة" الأغراض من استخدام العلماء

المحدثين لفظة "التفكير"؛ لأنها أكثر اتساعاً وشمولاً من لفظة التفكير المادة القاطعة "التي قد تقتصر في معناها على الصورة الفعلية أو على" العمليات "الذهنية".

وعندما نتحدث عن جهود القدامى يكثر ذكر المصطلحات، ولعل أقدم المصطلحات ظهوراً مصطلح العربية "علم العربية" ثم مصطلح "النحو" ويلي ذلك مصطلح "اللغة" أو متن اللغة"، أما مصطلحات" علم اللسان" وعلم اللغة" فلم تظهر في كتب التراث اللغوي بصورة مطّردة، إلا أننا ستناول كل مصطلح من هذه المصطلحات؛ لنتعرف إلى مفهومه في التراث اللغوي عند العرب.

١- **العربية وعلم العربية**: يُعَدّ كتاب سيبويه من أقدم الكتب التي استخدمت هذا المصطلح، فقد جاء في أول كتابه - وهو أول كتاب وصل إلينا في دراسة اللغة العربية وتحليلها- قوله (هذا باب علم ما الكلم في العربية)، وإذا ما علمنا أن كتاب سيبويه يحتوي على قواعد نحوية ودراسات في الأصوات والصرف والدلالة أدركنا أن مصطلح العربية عند سيبويه يشتمل دراسة هذه الجوانب جميعاً .

إلا أن بعض الرواة والمؤرخين من أصحاب كُتُب الطبقات واللغويين والنحاة يشيرون أحيانا بمصطلح العربية أو علم العربية إلى عمل أبي الأسود الدؤلي، ويشيرون أيضا به إلى تقدم البصرة وسَبْقها على باقي الأمصار العربية والإسلامية في وضع قواعد اللغة العربية، فابن سلاَّم الجمحي يقول عن أبي الأسود الدؤلي كان أول من استن العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووسّع قياسها، إلا أن عمل أبي الأسود الدؤلي لم يتجاوز وضع حركات الإعراب عن طريق الملاحظة، ويستخدم ابن النديم مصطلح (علم العربية) ليشير به أيضا إلى سَبْق البصرة.

ولعل من الصعب تحديد بدقة متى ظهر مصطلح العربية، لكن المرجّح أنه كان سابقاً في الظهور على مصطلح علم العربية، وأغلب الظن أن مصطلح العربية ظهر مع ما ظهر من مصطلحات لغوية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري للدلالة على عمل أبي الأسود الدؤلي وطبقته من قرَّاء القرآن الكريم الذين اشتغلوا بدرس اللغة العربية وتحليل بعض جوانبها، ثم استقر هذا المصطلح مع ظهور طبقة من علماء العربية

مثل أبي عبدالله بن أبي إسحق الحضرمي، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وبلغ قمة النضج للدراسة العلمية على يد الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه الذي يعد كتابه عملاً علمياً لأنه يقوم على مادة لغوية، وتحليل واستقراء لهذه المادة، بالإضافة إلى وضع مصطلحات ومفاهيم في التحليل اللغوي في إطار من أصول ومبادئ نظرية واضحة، كما اتسمت هذه الدراسة بالشمول، فدرست اللغة العربية صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً، وأغلب الظن أن مصطلح "علم العربية" ظهر بعد ذلك في القرن الثاني للهجرة. ويبقى علينا أن نلاحظ أن علماء العربية القدماء لم يدرسوا اللغة العربية وفق الترتيب صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً، ويدل ذلك واضحاً في كتاب سيبويه الذي وضع الدراسة الصوتية في مقدمة الدارسة الصرفية وأخرهما إلى نهاية الكتاب، وقدّم الدراسة النحوية عليها، وبث الجوانب الدلالية في ثنايا الدرس النحوي والصرفي، ولكن ذلك لا يقلل من علمية الدراسة التي قام بها، وإن اختلف المنهج والتحليل عن النظرية اللغوية الحديثة والمعاصرة.

٢- "النحو"

أما مصطلح "النحو" فلا نجد له ذِكْراً إلا في كتب الطبقات النحويين واللغويين، حيث يروي المؤرخون روايات عدة عن ظهور هذا المصطلح، فقالوا: إن أول من استخدم هذا المصطلح علي بن أبي طالب حين وضع بعض المصطلحات أو الأبواب النحوية، مثل: الاسم، والفعل، والحرف وعلّمهما لأبي الأسود الدؤلي، ثم قال له: "انحو هذا النحو" ومن ثم استخدم هذا المصطلح للدلالة على هذا اللون من الدراسة، في حين نسبت روايات أخرى هذا القول لأبي الأسود الدؤلي عندما وضع بعض وجوه العربية، وقال لبعض تلاميذه "هذا نحو هذا النحو".

هذه الروايات قد لا تكون صحيحة من ناحية، لكنها من ناحية أخرى تبين لنا كيف كان علماء العربية القدماء يضعون المصطلحات العلمية بعامة، والمصطلحات اللغوية خاصة، فمصطلح النحو مأخوذ بلا شك من الفعل نحا ينحو بمعنى القصد أو الطريق،

فالنحو بالمعنى الاصطلاحي هو انتحاء سمت كلام العرب في تصريفه وإعرابه؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها، ومصطلح النحو ظهر بعد مصطلح العربية أو علم العربية، وذلك عندما ظهرت فئة من المعلمين الذين أخذوا يعلمون الناس قواعد العربية لكي تستقيم ألسنتهم بعد تفشي اللحن فيهم، ومن ثم كان سيبويه يرى في عمله وعمل أساتذته من علماء العربية أمرا يختلف عن عمل هؤلاء النحويين أو المعلمين، وكل هذا يدل على أن مصطلح النحو عندما ظهر كان يشير إلى القواعد التعليمية التي يتعلمها الناس لكي يلحقوا بالعرب الخلّص في إجادتهم للغة العربية، واكتسب مصطلح النحو دلالة عامة في القرنين الثاني والثالث بحيث أخذ يدل على ما كان يدل عليه مصطلح العربية أو علم العربية "اللغة أو علم اللغة" وهي المصطلحات الأكثر أهمية.

٣- اللغة:

ويتصل هذا المصطلح أكثر ما يتصل بجمع المادة اللغوية المتمثلة في المفردات والتراكيب عن العرب الخلّص أصحاب السليقة العربية، أو كما يقولون علماء اللغة الآن "أبناء اللغة".

والعمل اللغوي لم يكن مقصوراً على رواية اللغة حسب، وإنما مع تطور العلوم اللغوية العربية أخذ هؤلاء رواد اللغة يشتغلون بتأليف بعض الرسائل اللغوية الصغيرة التي تروي المفردات بطريقة منظمة فوضعوا رسائل موضوعات مختلفة، فكانت النواة الأولى للمعاجم العربية التي أخذت الصورة الأكثر تنظيما على يد الخليل بن أحمد حين أسَّس لأول معجم (كتاب العين)، ومعنى هذا أن مصطلح اللغة كان يدل بالإضافة إلى رواية المفردات والتراكيب على تأليف الرسائل اللغوية وعمل المعاجم جمع اللغة وروايتها سماعاً، ثم تحليل هذه المادة اللغوية، واستنباط القواعد منها، أو كما أشار السيوطي التصرف في المادة اللغوية، وكان يتحقق أحياناً في عالم واحد يقوم بالعمليتين معاً، وهكذا كان معظم علماء العربية القدماء مثل الخليل الذي يمثل ذلك أحدث تمثيل، فهو لغوي ونحوي في آن واحد، ولعل علماء العربية القدماء عندما استخدموا مصطلح العربية أو

(علم العربية) كانوا يقصدون إلى شيء من هذا الامتزاج والتداخل، إذ غالباً ما كان هؤلاء العلماء رواة اللغة يسمعونها من أبناء العربية الخلّص في البوادي، ثم يقومون بعد ذلك بتحليل هذه المادة اللغوية المسموعة، ويستنبطون منها القواعد والقوانين، غير أن هذا التداخل ما لبث أن انفصل فاشتغل بعض العلماء بجمع اللغة وروايتها، واشتهر الآخر بالدرس والتحليل واستنباط القواعد، ويدل هذا على أن أصحاب كتب طبقات النحويين واللغويين كانوا يفرقون بصورة واضحة في ترجمتهم لعلماء العربية القدماء بين من يشتغل بالنحو وحده، ومن يشتغل بجمع اللغة وروايتها فحسب، ومن يجمع بين الأمرين. ومعنى هذا أن مصطلح اللغة كان يدل على نوع من الدارسة المنظمة ولا سيما ما يتصل بعمل المعاجم وتأليف الرسائل اللغوية، وبصورة عامة كان يدل على دراسة المفردات، ومعرفة الدلالات، وتنظيم ذلك في صورة كتب أو معاجم، وهو بهذا يختلف عن مصطلح العربية والنحو، إلا أن العلماء ومصنفي العلوم في القرون المتأخرة كانوا يستعملون مصطلحاً آخر للدلالة على ما كان علماء العربية القدماء يستخدمون فيه مصطلح "اللغة"، وهذا المصطلح الجديد هو علم اللغة كما ذكره طاش كبرى زاده" وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وصفاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها بتلك الدلالات بالوضع الشخصي، وعما حصل من التراكيب كل جوهر وصفاته الجزئية على وجه جزئي، وعن معانيها الموضوعية لها بالوضع الشخصي.

أما عن اللسان وهو من المصطلحات النادرة الاستخدام في الدلالة على دراسة اللغة في التراث اللغوي العربي، إذ لا نجده يتردد بصورة لافتة في كتب علماء اللغة القدماء ومؤلفاتهم، ولعل أقدم من استخدم هذا المصطلح أبو نصر الفارابي الفيلسوف في كتابه "إحصاء العلوم" وهو كتاب في فلسفة العلوم وتصنيف موضوعاتها، واشتمل كتابه على خمسة أجزاء، الجزء الأول:علم اللسان وأجزاؤه، والجزء الثاني: علم المنطق وأجزاؤه، والجزء الثالث في علوم التعاليم، وهي: العدد والهندسة، وعلم المناظير، وعلم النجوم التعليمي الموسيقي، وعلم الأثقال، وعلم الخيل، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه. وفي العلم الإلهي وأجزائه، والخامس في العلم المدني وأجزائه، وفي علم الفقه

وعلم الكلام، ووضع الفارابي "علم اللسان" في مقدمة العلوم كأنما هذا العلم عنده هو مفتاح العلوم الأخرى ومصرِّفها، وكلمة اللسان من أقدم الكلمات التي استخدمت في اللغات الإنسانية في الدلالة على اللغة التي تتكلم بها جماعة بشرية معينة، وبهذه الدلالة استعملها القرآن الكريم "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" ونجد في اللغة الأوروبية الحديثة كلمة (Language) في الإنجليزية وكلمة (language) وهما من أصل يوناني ولاتيني بمعنى اللسان، وما يقصده الفارابي بمصطلح علم اللسان أن ضربين: الأول ألفاظ الدالة عند أمة ما وعلم ما يدل عليه شيء منها، والثاني علم قوانين تلك الألفاظ أي أن علم اللسان تتفرع عنده إلى فرعين هما علم اللسان التطبيقي وعلم اللسان النظري.

أما فروع علم اللسان عنده فهي سبعة فروع بعضها عام يشمل كل اللغات وبعضها خاص بلغة معينة، وهي:

١- **علم الألفاظ المفردة**: أطلق علماء العربية القدماء على هذا العلم مصطلحات عدة مثل: اللغة، وعلم اللغة، "ومتن اللغة"، وهو من العلوم الخاصة بكل لغة يتصل بجمع مفرداتها ورواياتها ومعرفة أنواع هذه المفردات الأصيل منها والغريب والدخيل.

٢- **علم الألفاظ المركبة**: يتميز بالخصوصية، فهو علم خاص بكل لغة يهتم برواية النصوص التي كان شعراؤها وخطباؤها نطقوا بها.

٣- **علم قونين الألفاظ المفردة**: يتميز هذان العِلْمان بالشمولية، ويسمى في اللسانيات الحديثة بعلم الأصوات وعلم الصرف، وقد قسمه الفارابي إلى هذين المستويين باعتبار أن علم قوانين الألفاظ المفردة يبحث أولا في الحروف وعددها وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالصوت، أما المستوى الصرفي أو الموفولوجي فيبحث في الحروف التي لا تتدل في بنية اللفظ عند التثنية، والجمع والتذكير وغيرها من الأمور، كالاشتقاق، والمصادر، وغيرها.

٤- **علم قوانين الألفاظ عندما تتركب**، وهذا العلم يتميز أيضا بالشمولية، ويختص بدراسة التراكيب أو ما يسمى حديثاً باللسانيات، ويقسمه الفارابي إلى جزأين: الأول يختص بفحص حركات الإعراب ودراسة التغيرات التي تطرأ على الكلمات عندما تدخل في تركيب ما، والثاني يبحث في أحوال التراكيب والترتيب نفسه، وهو يقصد بهذا دراسة نظام الكلمات، ويدرس هذا العلم أيضا أمورا أخرى، مثل: التعريف والتنكير، وغير ذلك من الجوانب التي تتصل بالنحو.

٥- **علم قوانين الكتابة**: ويختص بدراسة الحروف التي تكتب في السطور والتي لا تكتب، وطرق التعبير في الصوت المنطوق، وغير ذلك.

٦- **علم قوانين تصحيح القراءة**: وهو علم لا ينفصل عن العلم السابق بل يرتبط به من ناحية الموضوع خاصة، فهذا العلم يدرس إلى جانب مواضع الحروف في السطور نقط الإعجام والعلامات، والفصل والوصل التي من خلالها يميز بين المقاطع الصغرى والكبرى والوسطى.

٧- **علم الأشعا**: ويهتم هذا العلم بالشعر خاصة، فيقول بدراسة المسائل الشعرية البسيطة والمركبة وحصرها وتصنيفها وغير ذلك.

من خلال ما سبق نتبين أن مفهوم علم اللسان يوسع من دائرة هذا العلم بحيث يشمل على علوم خاصة وعلوم أخرى عامة "تدرس اللغة من حيث ظاهرة إنسانية، كما اتصل في هذا العلم جوانب تعليمية تطبيقية تنتمي إلى فرع مستقل في اللسانيات التطبيقية، ولعل هذه الإطلالة السريعة على التراث اللغوي عند العرب تشير إلى العديد من المصطلحات التي تدل على طرق ومناهج متعددة في دراسة اللغة العربية وهي النحو واللغة، في حين قدم لنا التراث الفلسفي أو المفهوم العلمي لدراسة اللغة عامة (ظاهرة إنسانية) واللغة العربية خاصة، كما يتمثل في مصطلح علم اللسان.

وحين نشير إلى دور اللغويين الأوائل في كيفية معالجة اللغة، فلا بد أن نتطرق لتعريف مفهوم السليقة ومفهوم اللغة الذي ربط به العلماء ظهور اللغة الأولى، وقالوا بها

في بحوثهم اللغوية من خلفيات فكرية سليمة، ولئن كانت أعمال اللغويين الأوائل قد شغلتهم عن الاهتمام بصياغة أسس تنظيرية للغة، ولئن كانت لا تهتم بكيفية تنظيم الفكر اللغوي وبلجوئه إلى البرهان والاستدلال فهي تتضمن الطرائق التي توصلوا إليها والمناهج التي التزموا بها، ومن الضروري أن نستشف المبادئ من خطة عملهم الميدانية، وأن نقف على مكوناتها، وأن نهتم بقضية المفاهيم المسيِّرة لخطتهم، والمبادئ المبثوثة في أبحاثهم التي تبلّرت في أفكارهم ونظرياتهم.

ومن هذه المفاهيم: السليقة واللحن

مفهوم السليقة: تعددت اللهجات العربية واختلفت قبل أن يتفق العلماء على أسس وقواعد شبه ثابتة، وقبل أن نتقيد بها وصلت اللغة العربية مع الأدب الجاهلي مُسْتَمِدة قوامها من لغات ولهجات عديدة وحضارات كثيرة، وقد استطاعت بوساطة الشعر الجاهلي أن تصف الحياة والبيئة، وأن تفصح عن خلجات النفوس ولواعج الصدور، ومن المشكوك فيه أن قبائل البادية جميعها كانت تتعامل بلهجة واحدة أو تتكلم الفصحى الموحدة في حياتها اليومية، بدليل أن يتناول القدامى اللسان العربي علماء على أنه مجموعة من اللهجات، فنادوا بالسليقة وربطوها بالعنصر والجنس والعرق، ولعل الصراع بين العرب والأعاجم وتصادم شعبين والتقاء حضارتين، كانت وراء فكرة القداسة التي أسبغها اللغويون القدامى على السليقة العربية، ونادوا بقدسيتها بحيث لا تكون لغة المعلم مطابقة كل المطابقة للغة العربي المتعلم، ولا تشكل كما يقولون صورة طبق الأصل عنها، واللغة تستمر لدى الفرد في صورة تختلف عن لغة آبائه بصورة تختلف بعض الشيء عن مجتمع آخر يجاور مجتمعه، ويرجع هذا الاختلاف إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية يضيف فيها الفرد ما يشاء وفقاً للقوانين القارة في الجماعة اللغوية.

مفهوم اللحن: نزول القرآن الكريم حرص العرب عليه، وحاولوا تبين لغته، والعمل على حفظها، وشاع اللحن في العصور الإسلامية الأولى، حين انتشرت اللغة العربية، وامتزج العرب بغيرهم من الأمم والشعوب، ونطق الأعاجم بالعربية، فأخذت الألسن تفسد وانتشر اللحن، مما دفع اللغويين الأوائل إلى الاهتمام بمختلف علوم اللغة

حفاظاً على كلام الله سالماً، فكان العلماء الأوائل وراء ضبط اللغة وتهذيب القول، وكانت مهام قواعدهم تنحصر في الخطأ وتجنب آفة اللحن وعدم المساس بسلامة التعبير ووضوحه، فأراد اللغويون الأوائل أن يحصروا في دراساتهم أساليب العرب في كلامهم، وأن يستنبطوا قواعد اللغة من القرآن الكريم، وكان لعلماء اللغة في مطلع عصور التدوين العلوم الإسلامية والعربية آثار عديدة ومؤلفات كثيرة كان هدفها منع تفشي اللحن فيها ولا سيما في الفترة الأولى، وكان الوازع الديني الأساس لوضع قواعد لغوية مختلفة منها معجمية ومنها صرفية ونحوية وبلاغية، ومما قدمه هؤلاء الأوائل نستخلص منه طريقتهم في معالجة شؤون اللغة، وصوغه بصورة تعكس ما جاء في إنتاجهم:

الحقيقة الأولى: أن القواعد مشتقة من لغة نموذجية معينة انصرف القوم عن اللغة التي يتعامل بها الناس في حياتهم اليومية، وركزوا على جهودهم للتعليم والتهذيب على محتوى القرآن وعلى شكله، وعدّوه المصدر الأوحد، فأخذ اللغويون القواعد منه واستلُّوها استلالاً من لغته النموذجية.

الحقيقة الثانية: أن القواعد هي استنتاجات عامة عن لغة القرآن النموذجية؛ اللغة النموذجية السابقة على القواعد، ومنها تستمد هذه الأخيرة وجودها ومقدمتها، وبالتالي قواعدها ونواميسها.

الحقيقة الثالثة: إن القواعد في وجدان اللغويين الأوائل علم استخراج المقاييس واستنباطها من كلام الله للتواصل إلى أحكام الأجزاء التي تجتمع في القواعد كانت قواعدهم إلى الملاحظات أقرب، وكانت تسير في طريقها الصحيح من حيث طبيعتها، أو تقوم على أساس متين من استقراء أساليب القرآن، وكانت ملاحظاتها مقرونة بالاستشهادات المماثلة في أذهانهم من كلام الله، ولم تكن أحكامهم لتفارق واقع الفرقان وهو أساس وجودها.

الحقيقة الرابعة: إن قواعد الأوائل أو بالأحرى ملاحظاتهم انبعثت من طريقة الاستقراء وجمع الأوائل الأمثال المتشابهة بالملاحظة، واستقراء الحالات التي تبددت فيها الظاهرتان المتماثلتان، فإذا تبين لهم بأنه في كل حالة تعدد تظهر الأخرى حكموا على

اللاحقة منها أنها مماثلة للأولى ونتيجة لها، واستعانوا بطريقة التجاور في التلازم في الوقوع لجمع الأمثال المتشابهة.

أما المستويات الدراسية عند العرب فقد تزامنت مع قيام الحركة العلمية في القرن الثاني الهجري، ونشأت الدارسة اللغوية العربية في رحاب التحوُّل الفكري والحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في البيئة العربية انطلاقاً من الشعور بمعجزة البناء اللغوي على المستويين التركيبي والدلالي. ووجّه العرب اهتمامهم أولا إلى العلوم الشرعية الإسلامية، وحين فرغوا منها اتجهوا إلى العلوم الأخرى، ومن أهم المستويات اللسانية التي تناولها اللغويون العرب بالدارسة.

١- المستوى الصوتي.

٢- المستوى النحوي.

٣- المستوى المعجمي.

٤- المستوى الدلالي.

أولاً: المستوى الصوتي:

ومن أظهر الموضوعات الصوتية التي ركز عليها ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب":

١- عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.

٢- بيان الصفات العامة للأصوات وتفسيرها باعتبارات مختلفة.

٣- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال والإدغام أو النقل أو الحرف.

٤- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة.

وباختصار فإن أهم النتائج التي توصلوا إليها في المستوى الصوتي وكانت الأساس الأول للمحدثين هي:

١- وضع الحركة الصوتية للغة العربية، وترتيب أصواتها بحسب المخرج ابتداء من أقصى الحلق حتى الشفتين.

٢- تسمية أعضاء النطق بأسمائها رئة، حلق، حنجرة، ....

٣- تقسيم الحلق إلى: أقصى، وسط، أدنى، وتقسيم الأصوات إلى شديدة ورخوة باعتبار مجرى الهواء، ووضع قائمة بأصوات كل نوع.

٤- تقسيم الأصوات إلى مُطْبَقة مُفَخَّمة.

٥- تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة باعتبار وجود رنين يسحب نطق الأصوات.

٦- تقسيم الأصوات إلى صحيحة ومعتلة.

٧- قسَّموا حروف العلة (أ ، و، ي) إلى قصيرة وطويلة.

٨- تحدثوا عن الائتلاف بين الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية.

٢- المستوى النحوي والصرفي: ويغلب أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع النحو بعد أن أخذه عن علي بن أبي طالب، وعرف القدماء النحو أنه العلم الذي تعرف به أواخر أصول االكلم إعرابا و وبناء، فقصر النحاة بحثهم على الحرف الأخير من الكلمة، فغاية النحو الإعراب وتفصيل أحكامه، حتى سمّاه بعضهم علم الإعراب، وهذا هو التعريف السائد عند بعض المحدثين.

أما الصرف فهو تغير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي، والمقصود ببنية الكلمة هيئتها أو صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها.

بدأ علماء العربية في جمع ألفاظها قبل أن يضعوا قواعدها، ويرجع المؤرخون هذا إلى أن البحث النحوي بالمعنى الفني لكلمة (نحو) قد بدأ متأخرا عن جمع اللغة، لأن تقعيد القواعد ما هو إلا فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل ومحاولة تصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها.

وهناك مدارس نحوية وجدت وعرفها العرب منها المدرسة الكوفية والبصرية التي أقروا بأسبقيتها لأي مدارس أخرى، وهناك من أدرج مدرسة ثالثة وهي مدرسة بغداد ومن المحدثين من ذكر مدرسة رابعة بالأندلس مثل طه الراوي، فقد ذكر مدرستين في مصر والمغرب، لكن مهما اختلفت المدارس وتشعبت النظريات وتضاربت الآراء فإن النحو العربي ظل محافظاً على أصوله العامة وأهدافه المحددة.

ثالثاً: المستوى المعجمي

بدأت حركة تأليف المعاجم انطلاقاً من رسائل الموضوعات، وهذه الرسائل الصغيرة كانت نواة المعاجم الكبيرة وذلك في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني، وتبلّر المعجم على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكانت جهود القدماء تَنْصَبّ في تقسيم المعاجم على ثلاثة أنواع بالنسبة إلى النظام المتبع.

١- نوع رتّب الكلمات على حسب مخارج الأصوات وطريقة التقاليب، مثل: العين للخليل، وتهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده.

٢- نوع رتّب الكلمات ترتيباً ألفبائياً حسب الأصل الأول والأخير للكلمة، مثل: الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور.

٣- نوع رتّب الكلمات بحسب الموضوعات، مثل: الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده.

رابعاً: المستوى الدلالي

وهذا النوع من الدراسة الدلالية أول فروع علم اللغة التي عرفها العرب عندما جاءهم الإسلام والقرآن يتحداهم ببيانه وإعجازه، فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز، وتلا هذه الدراسة تتبع اللغة لتوضيح معانيه لأنه تنزَّل بلغة قومهم. وإن البحث في دلالة الكلمات كان من أهم ما لفت نظر اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، ومن أشهر الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة:

١- تسجيل معاني الغريب في القرآن ومجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، وإنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وبعد ذلك تعددت الاهتمامات، وكثرت عند العرب فقطعت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية ومنها:

١. محاولة ابن فارس الرائدة في معجمه المقاييس– ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.
٢. محاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة – التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية.
٣. محاولة ابن جني ربط تقليبات المادة الممكنة بمعنى واحد.

اهتمامات الأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة باللغة

عقد الأصوليون أبوابا للدلالات في كتبهم، وتناولوا موضوعات عديدة، مثل: تقسيم اللفظ من حيث الظهور، ودلالة الألفاظ، ودلالة المنطوق والمفهوم، والعموم والخصوص، وظهرت دراسات أشارت للمعنى، مثل: مؤلفات الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم.

ولعل من أهم الموضوعات التي تدل عليها مصطلح "علم اللغة" عند القدماء والمحدثين ما يلي:

١. العلاقة بين اللفظ والمعنى "مدلولات جواهر المفردات".
٢. الأصوات أو الحروف التي تتألف منها المفردات وهيأتها الجزئية.
٣. الصيغ الصرفية تركيب كل جوهر وهيأتها الجزئية على وجه جزئي .
٤. الدلالة الوضعية للمفردات (معانيها الموضوعية لها بالوضع الشخصي).

والهدف من وراء هذا العلم الكشف عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية، والوقوف على ما يفهم من كلام العرب، فهو علم معياري أي يبحث عن جوانب الصواب والخطأ في استعمال المفردات من حيث الدلالة والبنية لا علم وصفي يصف المادة اللغوية في ذاتها دون البحث عن الصواب والخطأ في الاستعمال. وهذا هو الواقع حيث مثّلت جهود اللغويين القدماء في التراث العربي علماً. وكانت مصطلحات اللغة أو علم اللغة

أو علم اللغات تدل في التراث العربي على دراسة عدد من الموصوعات ومعرفتها التي اشتملت ما يلي:

١- جمع المادة اللغوية المتمثلة أساسا في المفردات وترتيبها وروايتها.

٢- عمل المعاجم وبعض الرسائل اللغوية التي تتدخل بتنظيم هذه المفردات.

٣- دراسة بعض الجوانب الصوتية والصرفيةوالاشتقاقية.

٤- معرفة المصطلحات العربية القديمة والفروق اللغوية بينها.

ونقصر الحديث على جانب من جوانب جهود علماء العربية في اللغة يتمثل في اللغة عند العرب "فكان اسم" فقه اللغة" قديما عند العرب، وإن لم يكن شاملاً لكل فروعه التي نهتم بها الآن، ولأبي منصور الثعالبي كتاب أسماه "فقه اللغة وسر العربية"، وفي تسمية هذا الكتاب شيء من التجوُّز؛ إذ ليس فيه مسائل فقه اللغة التي تحدثنا عنها فيما مضى سوى باب "سر العربية" في آخره، وما عداه عبارة عن معجز للغة العربية رتبه حسب الموضوعات كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الغريب المصنف في اللغة، وابن سيده الأندلسي في معجمه "المخصص".

وهناك كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ضمنه كثيرا من مسائل فقه اللغة، ونشأتها، وخصائص اللسان العربي، واختلال لغات العرب ولغات العامة من العرب والقياس والاشتقاق في اللغة العربية، وآثار الإسلام في اللغة العربية، والمترادف وحروف الهجاء العربية، وحروف المعاني وأسماء الأشخاص، وتطرق ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة إلى نظرية الأصول والنحت، ولم تقتصر جهود علماء العربية في فقه اللغة على ما ألفه الثعالبي وابن فارس، فألف ابن جني كتابه "الخصائص" وضمَّنه كثيراً من البحوث اللغوية القيمة، نحو بحثه في أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتعليل اللغة، والقياس، والاشتقاق، وغير ذلك.

أما عن النظرية اللغوية عند العرب – وفقاً لرؤية منظور عبد السلام المسدي- فكانت قضية مردها قدرة أمة من الأمم على تجاوز ضبط لغتها وتصنيفها لإدراك رتبة التفكير المجرد في شأن الكلام باعتباره ظاهرة بشرية كونية تقتضي الفحص العقلاني بغية

الكشف عن نواميسها الموّحدة، وأدركت الحضارة العربية ذلك، فقام أعلامها في اللغة العربية باستنباط منظومتها الكلية، وحددوا فروع دراستها بتصنيف علوم اللغة، وتبويب محاور كل منها، فكانت تلك هي الخطوة الأولى في النظرية اللغوية، ثم أخذوا يحددون محاور هذه النظرية، فجمعوا النحو والصرف والأصوات والبلاغة والعروض، وتطرقوا أيضا إلى التفكير في الكلام من حيث هو كلام أي في الظاهرة اللغوية، وما تركوه يكشف لنا بجلاء أنهم ترقَّوْا في بحوثهم اللغوية.

واللغة مفهوم يعكس الأنظمة المجردة التي تصاغ على منوالها العبارة إلى مستوى الكلام أي الحدث اللساني المطلق من حيث هو ظاهرة بشرية عامة.

وقد أفرز التفكير العربي نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية، ولعل ذلك ما كان إلا محصولاً طبيعياً لعوامل تاريخية تذهب جميعاً في ميزة الحضارة العربية التي اتسمت بالمقوم اللفظي، حتى كاد التاريخ يتطابق وتاريخ سلطان اللفظ في أمته، ولم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتها النوعية، وهذا ما استقر لدى المفكرين من مطلع نهضتهم. وفي هذا الحديث يقرر القاضي عبد الجبار أمراً حول معجزات الرسل وكيفية تصديقها، فقال: كل معجزة أظهرها على الأغلب وضوحه لأهل زمانه وانكشاف لهم، ومثال بسيط على ذلك أن قوم موسى كانوا يتعاطون السحر فلما ورد عليهم ما ورد من انقلاب العصا حية آمنوا لظهور الأمر، فوجه الحكمة كما ذكره القاضي ظاهر؛ لأن هلو أظهر على كل أحد منهم في زمانه ما يخرج عن طريقه القوم لكثر الشبه وقل التصديق، وإذا ظهر مالا يخرج عن طريقتهم قويت البصائر وانكشف وجه التعذر فيكثر التصديق ويقل الشبه، وعلى هذا الوجه أجرى تعالى عادة الرسول في أن خصه بالقرآن الذي هو مشابه لصناعتهم وطريقتهم، غير خارج عن الأمر الذي يشتد به اهتماماتهم، ويقوى له افتخراهم وتظهر فضائلهم، ومما سنهم لكي تقل الشبه للعارف المقدم فيعرف اضطرار المباينة والاتباع، فيعرفون بعجز الرؤساء منهم مع توفر الدواعي مثل ما يعرف ذو البصيرة منهم وتقوى، وداعيهم إلى النظر حالاً بعد حال من حيث لا يغيب عن الأسماع على طول الدهر، ولدخوله في جمله الباب الذي يقع منهم التنافس، وللأن وجه

الإعجاز فيه لا يتغير كما أن شريعته لا تزول على الأوقات، ثم يعلق الدكتور عبد السلام المسدي بالقول إنه لا يمكن أن نغفل في هذا المقام ما أكده علم الكلام من انكباب على فحص الظاهرة اللغوية، ورغم السيّاق العقائدي الذي اصطبغ به النظر في الكلام، بل رغم المنظور الجدلي اذي أحدثه تنازع الفرق وخصام المذاهب، فإن منافذ البحث فيه قد أفضت إلى تصورات لسانية على غاية من الدقة، وكان للثقافة الأجنبية صعيعها في المجال بعد أن استقرت ركائز الإسلام، وقد ترجمت كتب الأمم السابقة وفيها كتب الفلسفة والمنطق والرياضيات، فظهرت موجة من الاضطراب الفكري بين الآراء والمذاهب، فكان لابد من مواجهة هذه الاضطرابات وحماية العقيدة الإسلامية ومحاربة نطاق هذا العلم، وتنوعت موضوعاته، وتعددت طرقه ومناهجه، وقام الجدل والنقاش بالسياحة، وكان يواكب هذه الموجة الفكرية على اختلاف العصور فريق من العلماء المتميزين اشتركوا جميعاً في الجدال وأنشأوا المقالات، وأثاروا المسائل، و منهم من جنح التأليف والتصنيف، وسجلوا آراءهم وآراء معارضيهم وتكوّن من هذا وذلك ثروة فكرية عريضة وتراث إسلامي واسع يعد من أنفس ما في التراث العربي.

فالعرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج فهمهم الديني في صلب هذه المميزات قد دعوا إلى تفكير اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها، فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي للغة، بل قادهم إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تلتفت إليه البشرية إلا مؤخراً بفضل ازدهار علم اللسان منذ مطلع القرن العشرين.

إن العرب اهتدوا إلى أخص خصائص الكلام بعدما تجمعت لديهم مصادر المنهج العقلاني وطرق البحث الأصولي فذلك أمر طبيعي .

وفي النهاية نذكر أن الذي عاق الدراسات عن استيعاب النظرية اللغوية في التراث العربي فضلاً عن جدة مقولة الشمول في اللسانيات وحداثتها إنما هو الاختصاص،

فالذين تناولوا دارسة الفلسفة الإسلامية أو خصوا بعض الفلاسفة بالدرس المستقل لا يكادون يخصون آراءهم في اللغة بالجمع والتحليل، حتى إن التصانيف التي تركز الحديث حول "تاريخ الفكر العربي" لم تشتمل ولو على الإشارة إلى الفكر اللغوي باعتباره دعامة من دعائم التفكير الحضاري جملة، كما أن المختصين في اللغة قلما يستنطقون غير التراث اللغوي ذاته في نحوه وصرفة وبلاغته وعلم المعاجم فلا يكادون يتطرقون إلى التراث الفلسفي أو علم اللغة عند العرب.

ونتبين مما عُرِض أن لعلم اللغة جذوراً ضاربة في الحضارة العربية، فقد وردت في أعطاف أمّات كتبهم مصطلحات تدل على معرفة فطرية باللغة وعلومها، فممّا ورد على سبيل المثال: مصطلح (العربية) أو (علم العربية) ومصطلحات (النحو) و(علم اللغة) و(اللغة) و(علم اللسان)، وكلها تشير إلى لون من الدراسة اللغوية، يتصل بعضها بقواعد اللغة أو المفردات وتصنيفها في معاجم عامة أو رسائل لغوية خاصة، وقد يتصل بعضها بجوانب الدراسة اللغوية كلها أي بالأصوات والصرف والنحو والدلالة.

ولعل أقدم المصطلحات التي اهتم بها العلماء على اختلاف العصور، هو مصطلح (النحو) ومما يدل على ذلك اهتمام العالم اللغوي (بانيني) به، أما عند العرب فنجد أن هذا العلم حاز على اهتمام علماء العربية؛ لما له من أثر في الحفاظ على الكتاب الكريم.

ومما يؤخذ على تقسيم علم اللغة إلى مراحل أساسية هي مرحلة العصور القديمة والوسيطة والحديثة، وبهذا استثنى جهود العرب وأقصاها عن مشهد الدرس اللغوي، في الوقت الذي مرّ فيه علم اللغة على الحضارة العربية، فاكتسى ببعض صفاته المميزة له.

فلا يمكن تناسي أن بعض ملامح النهضة اللاتينية قامت أساساً على مستخلصات الحضارة العربية، بعد أن أقبلت على ترجمة أمّات الكتب في التراث العربي، ومن ضمن هذا التراث الذي تميز به العرب، التراث اللغوي الغني بالمصطلحات الشاملة لعلم اللغة بفروعه، وقد أدى نسيان تراث العرب في اللغويات العامة إلى حصول قطع في تسلسل التفكير اللساني عبر الحضارات الإنسانية.

ولتدارك هذا الانقطاع في تسلل الفكر اللساني نقول: "إن كان العرب من أوائل واضعي المصطلحات التي يشتمل عليها علم اللغة ربما دون معرفة منهم بمعنى هذا العلم الاصطلاحي، وقد كان علم النحو هو أول ما ظهر في هذا الحقل المعرفي، لكن من الصعب أن نحدد بدقة متى ظهر هذا المصطلح أو مصطلح (العربية الذي سبق بلا شك مصطلح (علم اللغة).

أما مصطلح (اللغة) أو (علم اللغة) فيتصل أكثر ما يتصل بجمع المادة اللغوية المتمثلة بالمفردات والتراكيب عند العرب الخلّص أصحاب السليقة العربية، أو كما يقول علماء اللغة (أبناء اللغة)، ويدل على ذلك ما رواه السيوطي في الفرق بين عمل اللغوي وعمل النحوي بالمعنى الذي استقر عليه مصطلح (النحو) في القرنين الثاني والثالث ، يقول: "اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، أما النحوي فشأنه أن يتصرَّف بما ينقله عن اللغوي ويقيس عليه".

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن اللغويين كانوا يعتمدون في جمعهم للمادة اللغوية على السماع من العرب الخلّص أي على اللغة المنطوقة عند العرب وسبقها على اللغة المكتوبة، وهو غير ما سار عليه تطور الفكر اللغوي الغربي الذي بدأ بالنصوص المكتوبة وانتهى إلى اللغة المنطوقة أو المسموعة.

لكن هذا العمل كله كان في ظل الامتزاج بين علم اللغة والنحو، وهذا الامتزاج لبث أن انفصل بما يشبه التخصص، فاشتغل بعض العلماء بجمع اللغة وروايتها واشتهروا بذلك، في حين اشتغل بعضهم بالدرس والتحليل واستنباط القواعد على نحو ما أشار السيوطي.

ومن الإنصاف أن نقول إن العرب عرفوا أبواب علم اللغة وطرقها بوجه أو بآخر، فقد ذكروا النحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان، وهذه العلوم تقابل علم اللغة بالمعنى الذي ارتضاه كثير من الدارسين المحدثين.

وخلاصة القول إن علماء العربية قد تناولوا في بحوثهم فروع المعرفة التي نعدها اليوم مستويات متعددة لعلم واحد، وليس ما تقدم يعني أن العرب والغرب على اتفاق تام، فهناك اختلافات عديدة، منها:

١. نظرة علماء العربية إلى العلاقة بين فروع علم اللغة أو المستويات اللغوية.
٢. اختلافهم في البحث وطرائق التفكير .

مراجع الدراسة:

- حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة.
- رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة.
- ريمون طحان ودينز طحان: فنون التقعيد وعلوم الألسنية.
- الطيب بكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث.
- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية.
- كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد.
- كمال الحاج: في فلسفة اللغة.
- محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة.
- محمود ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة.
- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة.
- إضافة إلى المصادر والمراجع التي وردت في متن المادة.

الفصل الثالث

نشأة اللسانيات

- علم اللغة في أوروبا في القرون الوسطى
- علم اللغة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر
- القرنان الثامن عشر والتاسع عشر
- الأُسَر اللغوية
- علم اللغة التاريخي والمقارن في القرن التاسع عشر
- حقبة علماء الدراسات المقارنة الأوائل
- علم اللغة في القرن العشرين

نشأة علم اللغة (اللسانيات)

كان القدماء على وعي باللغة ومشكلاتها، وقد بدا ذلك جليّاً في الكتب المقدسة كما ورد في الفصل الخاص ببرج بابل الوارد في سفر التكوين، إذ تخيل الكاتب المجهول أن البشرية كانت في وقت من أوقات سعادتها القديمة تتفاهم بلغة واحدة وكلام واحد.

ومن الأمثلة القديمة على الاهتمامات اللغوية البدائية، استخدام المترجمين في بلاط الفراعنة والنقوش القديمة المكتوبة بلغتين أو ثلاث تدل على وجود أكثر من لغة، أما الاهتمام الحقيقي باللغة ومشكلاتها فقد بدأ مع الفلاسفة اليونان القدماء والنحاة السنسكريتيين إذ بدأوا الحديث عن أمر ميتافيزيقي(غيبي) هو أصل اللغة ونشأتها، ثم تشاغلوا عن هذا الأمر الماورائي بمحاولة تقنين اللغة فكانت البداية مع بانيني (Panini) حين وضع النحو السنسكريتي (٣٠٠ ق.م)، وما لبث اليونان أن شقُّوا طريقهم مستقلين عن الهنود، وتوصلوا إلى وضع نظام نحوي يناسب لغتهم وغيرها من اللغات الشبيهة بها في التركيب.

وقد كانت هذه بداية النحو العالمي الذي استمر مسيطراً على الحقل اللغوي حتى القرن الثامن عشر وما بعده، ومن الجدير بالذكر أن الوصف الدقيق لم يأتِ بين ليلة وضحاها، وإنما استغرق قروناً حتى تم وضعه.

وكثيراً ما اتّهم النحو القديم بالمعيارية، فقد كانوا يتعاملون مع المثال، لا مع المشهد اللغوي القائم، ولم يعرفوا أن أوضاع اللغة تتغير دون أن تجاريها القواعد النحوية والنظم الكتابية، مما أدى في النهاية إلى تحكيم بقايا من مرحلة قديمة منتهية من مراحل اللغة.

وخلال هذه الفترة والفترات اللاحقة لها حتى فجر النهضة كانت اللغات في استعمال كتابي وكلامي ثابت.

ولعل الوعي اللغوي بمعناه الحديث المؤسَّس على الملاحظة والتركيب والتعميم، لم يكن معهوداً في تلك الحقبة التاريخية.

وما بين عامي ٤٠٠ و ١٠٠٠م كان هناك قدْر قليل دال على وعي لغوي استدلَّ عليه المحدثون من خلال بعض الترجمات للكتب المقدسة، وفوق هذا كله فإن هناك قليلاً من الشواهد في عصر ما قبل النهضة تدل على الاهتداء إلى تصنيف اللغات واكتشاف قراباتها والعلائق بينها، وكان اليونان لا يعرفون إلا لغتهم، وكانوا يحكمون على المتكلمين بغير لغتهم بصفات محتقرة، كالعجمة أو البربرية أو التخليط، هذا بشأن الدراسات المعيارية، أما علماء اللغة الوصفيون فقد كان وصفهم أفضل قليلاً بالنظر إلى دراستهم الوصفية للغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية التي كانت دقيقة إلى حد كبير.

(ماريوباي، أسس علم اللغة: ترجمة أحمد مختار عمر)

وبذلك تكون القواعد هي الأساس لثقافة القرون الوسطى بوصفها فناً عقلياً بذاته، وكانت هذه الدراسات تابعة للاهوت أي دراسة الدين المسيحي والتعاليم المسيحية.

ولكنّ ذروة الاهتمام اللغوي كان يكمن في الجزء الثاني من العصور الوسطى وحتى نهاية العصر، وكان هذا هو عصر الفلسفة السكولاستية الذي كان للدراسات اللغوية فيه مكانة عالية فتوافر فيه مقدار كبير جداً من المؤلفات اللغوية، لكن هذه المؤلفات في أغلبها تعليمية تهدف إلى تعليم اللاتينية، ثم ما لبث أن ظهر وصف لغوي للغات أخرى يخدم أهداف القراءة والكتابة والأدب الشعبي، فكان من الأمثلة الأكثر لفتاً للأنظار في هذا العصر كتاب: (First grammatical) لعالم آيسلندي غير معروف، أظهر فيه أصالة واستقلالية في التفكير، وقد كان الكتاب معنيًّا بإصلاح الإملاء وتحسين استعمال أبجدية مشتقة من الأبجديات اللاتينية لكتابة اللغة الآيسلندية كما كانت أيامه، ومن خلال معالجته للمشكلات الإملائية أظهر إدراكاً للمبادىء المتضمنة في التحليل الفونولوجي وتطبيقاته، كما ظهرت لديه إشارات حول كيفية نطق اللغة.

(ر. هـ روبنز، موجز تاريخ علم اللغة: ترجمة أحمد عوض)

علم اللغة في أوروبا في القرون الوسطى

شهد عصر النهضة نقلة نوعية في مختلف المجالات عن العصور التي سبقته، حيث تميز الفكر بنوع من التحرر والانطلاق من القيود والأنظمة كافة التي كانت في العصور الوسطى.

وقد ظهرت مجموعة من العوامل التي أسهمت في اتساع أفق الدراسات اللغوية، حيث مكنت علماء اللغة من الاطلاع على لغات مختلفة غير اللغة اللاتينية واليونانية مما أدى إلى تطور علم اللغة بشكل ملحوظ، ومن أبرز هذه العوامل:

١) حركة الإحياء للتراث اليوناني والروماني.
٢) الحركات الوطنية.
٣) رحلات الكشوف الجغرافية التي وصلت الأوروبيين بلغات كثيرة.
٤) حركة التبشير المسيحي التي صحبت الكشوف الجغرافية، وما تبعهما من ترجمة للكتب المسيحية المقدسة للغات المختلفة.
٥) ازدياد حركة النشاط التجارية الذي أعقبه التقدم والرخاء.
٦) الاستفادة من الشروح العربية للفلسفة اليونانية، وتحليلات العرب للمنطق الأرسطي. "واستعمار العالم الجديد، ورحلات الاكتشاف حول الأرض، وإقامة المحطات التجارية والمستوطنات البعيدة عن الوطن، وإرسال البعثات التبشيرية، كل هذا قام بدوره في تنبيه العلماء إلى ثروة التنوع اللغوي في العالم".

إن هذه العوامل مجتمعة أسهمت وبشكل فاعل في الاطلاع على لغات جديدة غربية شرقية، أفريقية وهندية أمريكية، مما جعل العلماء قادرين على المقارنة بين اللغات المختلفة، ومحاولة لتوضيح الأسر اللغوية فيما يلي تلك الفترة.

وبالرغم من ذلك فإن المناقشات والخلافات اللغوية كان يشوهها – في الغالب – جهل العلماء بالحقائق المتعلقة بتصنيف اللغات وقراباتها اللغوية، حيث إن هذا العصر ما هو إلا نقطة بداية لتلك الدراسات.

وكان أبرز حدث أسهم في تطور تلك الدراسات هو اكتشاف اللغة السنسكريتية "على يد" وليام جونز" الإنجليزي (١٧٨٦) Sir William Jones وعلاقتها باللغة اللاتينية واليونانية، ومن هنا بدأ الحديث عن مجموعة اللغات التي أسموها عائلة اللغات الهندو- أوروبية".

وتأثر هذا العصر ودراساته بالنظرة الفلسفية والمنطق، وبالمذهبين الإمبريقي (التجريبي) والعقلي خاصة، حيث كان لهما تأثير في معالجة المسائل اللغوية بصورة منطقية ولعل أبرز ظاهرة ناتجة عن ذلك، تلك المحاولات الحثيثة لإيجاد نحو عالمي ينطبق على كل اللغات.

وكان الإسهام الأساسي الذي قدمته العصور الوسطى لعلم اللغة هو محاولة تقديم نحو عالمي صالح للتطبيق – مع إدخال تعديلات مناسبة – على اللغات. وقد كان هذا من أحد الوجوه – إحياء الفكرة قديمة سيطرت على عقول الأوائل وهي اعتبار لغاتهم فقط هي اللغات الوحيدة التي تستحق الدراسة والتوسع لتصبح لغات عالمية، والذين دعوا إلى منطقية اللغة يرون ضرورة تطابق النماذج النحوية مع متطلبات المنطق، والمنطق واحد؛ إذن، من الممكن بناء نظرية نحوية جامعة، فبدأ البحث نحو النحو المعياري الذي شهد بداياته القرن الثامن عشر على أساس نظري.

وكان "كلوديو لوماني Cloudio Lolomei الإيطالي، من القرن السادس عشر أول نحوي وجَّه اهتمامه إلى اتساق القوانين التي تحكم تغير الأصوات اللغوية" والهدف الأساسي من إيجاد هذا النحو العالمي وبالتالي اللغة العالمية تسهيل عملية الاتصال بين البشر.

"وهدف وجود اللغة الفلسفية أو العالمية، تسهيل الاتصال المتبادل بين الناس على أسس فلسفية منطقية، وتقل بهذا البلبلة الناشئة من استعمال اللغات الطبيعية.. ومن أشهر من دعا لذلك الإنجليزي "جورج والجارنو" (١٦٢٦ – ١٦٨٧)، وأهم الكتب في هذه النظرية ما يسمى بنحو "بورت رويال" تحت عنوان (النحو العالمي والعقل) حيث

ظهر عام (١٦٦٢) مرتبطاً بتصور أفكاره بالمنطق، وهو يهدف للدراسة من الكلام، وقد أثر هذا النحو في المؤلفات النحوية التي بعده في فرنسا وألمانيا." .(محمود السعران، علم اللغة)

وهناك دوافع أخرى، دفعت العلماء للبحث عن لغة عالمية منها:

"والدوافع لكون لغة عالمية من هذا النوع أمراً ممكن الإجراء قد انبثق من عدد من المصادر، وهي الإيمان العظيم بسلطان العقل الإنساني، وتصنيفات العلوم الإمبريقية التي كانت تتسع بسرعة في ذلك الوقت، والتقدير الكبير لقدرة نظام الرموز الرياضية، وإساءة فهم طبيعة كتابة الرموز الصينية التي عرفت في أوروبا في نهاية القرن السادس عشر". (روبنز، موجز تاريخ علم اللغة)

وقد ظهرت محاولات لأشخاص ابتدعوا رموزاً للغات عالمية وذلك في القرن السابع عشر، ومن بين هؤلاء:

١) "مرسن" : M.Mersenne: حيث اقترح ابتداع لغة يمكن عن طريقها أن يعبر عن أفكار الناس كلها بالكلمات نفسها باختصار ووضوح.

٢) إنجازات "جورج والجارنو" G.Dalgarno، و"بيشوب جون ولكنز" B.J.Wilkins وكانت أعماله هي الأشهر.

وقد ابتكر "رموزاً حقيقية" تعطي دلالة واضحة بذاتها.

ومن التأثيرات لفكرة النحو العالمي في القرون اللاحقة ما ذكره محمود جاد الرب: "كان للنحو العالمي وفلسفته العقلية تأثير كبير على مجموعة من المدارس النحوية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وتأثيره في إدراك اللغة رومانتيكيا في العصر الحديث، هذا بالإضافة إلى أنه يعد أساساً تاريخيا لمجموعة كبيرة من نظريات علم اللغة الحديث، وقد استفاد "تشومسكي" منه في صياغة نظريته النحوية". (محمود جاد الرب، علم اللغة)

وقد حققت تلك الفترة إنجازات ملموسة على صعيد الدراسات اللغوية بالرغم من وجود اضطرابات في المنهج وخطأ في المقدمات وفيما يلي ذكر لأبرز تلك الإنجازات :

١) بدأ الاهتمام بإعادة دراسة النصوص اليونانية القديمة واللاتينية الكلاسيكية، وجعلها أساساً هاماً من أسس التعليم في أوروبا.

٢) إعادة اكتشاف لغات أخرى غير الأوروبية (كالعبرية والعربية).

٣) ظهور أول نحو للفرنسية، "أول قواعد خاصة بالفرنسية ظهرت في بداية القرن السادس عشر، وفي الفترة نفسها نشرت قواعد اللغة البولندية السلوفانية القديمة للكنيسة، وظهرت أول قواعد مطبوعة للغة الإنجليزية في عام ١٥٨٦م".

"وفي أوروبا ظهرت قواعد للغة الباسك في عام ١٥٨٧م وشهد القرن السابع عشر قواعد منشورة لليابانية والفارسية". (روبنز، موجز تاريخ علم اللغة)

٤) ظهور قواميس عديدة للغات الفرنسية والإسبانية والإيطالية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

٥) ظهور الاتجاه التجريبي في الدراسات اللغوية.

"ومن سمات الدراسات التجريبية القول بأن لكل لغة خصائصها التي تغير من خصائص غيرها من اللغات الأخرى".

٦) زاد الاهتمام بكتابة أبجدية اللغات القومية ونطق الأصوات.

٧) شهد القرن السادس عشر والسابع عشر عناية كبيرة باللغات الدرافيرية (لغات جنوب الهند).

وقد كان "توماس ستيفنس" الإنجليزي اليسوعي Thomas Stephens (١٥٧٩ – ١٦١٩) قد كتب نحوا للهجة الكونكانية Konkani، ولاحظ أن بنية اللغات الهندية الكثرية ذات صلة باليونانية واللاتينية ... وقد شارك الإيطاليون والهولنديون والدنماركيون والإنجليز بدراسات في لغات الهند الجنوبية، وتقدمت هذه الدراسات في القرنين السابع والثامن عشر ...

أما اللغات السنسكريتية في شمال الهند فامتدت إليها أعمال البعثات التبشيرية في القرن السابع والثامن عشر وشملت (نيبال ، والتبت، وبورما، والصين)".

٨) في القرن السادس عشر بدأت الدراسات الوصفية البدائية لبعض اللغات الأمريكية، والفلبينية .. وفي نهاية القرن الثامن عشر تم التعرف على وجود ما يقرب من (٢٠٠) لغة.

٩) "شهد القرن الثامن عشر تأملاً مكثفاً في أصل اللغة، وتميز هذا القرن بالبحث في اللغة عن البنى المنطقية والجامعة، وقد شكلت نهاية هذا القرن بداية للدراسات المقارنة على يد" س. "جيارماني" S.Gyarmathi وبشكل عام لم يتحقق الإحكام المنجي للفحص الفيلولوجي للنصوص إلا بحلول القرن الثامن عشر" (ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني)

ويذكر "روبنز" في كتابه (موجز تاريخ علم اللغة): أن "قرب نهاية القرن الثامن عشر تعمق المنهج التاريخي للغات واغتنى بأفكار جديدة، وقد ارتبطت الدراسة التاريخية بالمقارنة التنميطية ...".

وفي نهاية هذه الفترة تحولت الدراسات اللغة تحولاً جذرياً بفضل اكتشاف اللغة السنسكريتية نحو الدراسات المقارنة.

مراجع للاستزادة

١). هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ترجمة: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة، ط(١)، الكويت، ١٩٩٧م.

٢) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط (٢) القاهرة، ١٩٨٣م.

٣) محمود السعران: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكرة، ط (٢)، القاهرة، ١٩٩٧م.

٤) محمود جاد الرب: علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، ط (١)، ١٩٨٥م.

٥) ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح، ووفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط(٢)، ٢٠٠٠م.

علم اللغة من عصر النهضة إلى نهاية القرن الثامن عشر

تغلغلت تقاليد الماضي في التراث النحوي للقرنين السابع عشر والثامن عشر، فظلت فكرة منطقية اللغة – على سبيل المثال – لزمن طويل هي الدعامة النظرية الأساسية للنحو، ولا سيما بين النحاة الفرنسيين (الذين حظوا بسمعة طيبة بين معاصريهم). وقد مثلتهم في الغالب عن جدارة الأعمال التي أنجزت في مركز الدراسات النحوية في بورت رويال. وكان هذا المركز هو الذي نشر عام ١٦٦٠ الكتاب الشهير: النحو العام والعقل Grammar Generale et Raisonnee (للمؤلفين: لانسيو Cl. Lancelo و أ. أرنولد A. Arnould). وقد عبر هذا الكتاب عن القاعدة الأساسية لعلماء بورت رويال تعبيراً صريحاً: فهم يرون أن النماذج النحوية ينبغي عليها أن تتطابق بقدر المستطاع مع متطلبات المنطق، ولما كان المنطق منطقاً واحداً، وجامعاً ومشتركاً بين البشر، كان من الممكن بناء نظرية نحوية جامعة، تناسب جوهر اللغات في العام، وكان لهذه الفكرة أصداء كثيرة، فمنذ ذلك الحين انطلق بحق التراث الراسخ للنحو المعياري في أوروبا كلها تقريباً.

وقد ظهر في بعض المراكز الأوروبية – حتى قبيل نهاية عصر النهضة – اهتمام بدراسة النصوص المكتوبة بغير اللاتينية أو اليونانية، بل ببعض اللغات الهندية الأوروبية الأخرى (ومع قرب نهاية القرن الثامن عشر ازداد هذا الاهتمام زيادة كبيرة).

وعلى أي حال فإن الفحص الفيلولوجي للنصوص لم يتحقق له الإحكام المنهجي إلا بحلول القرن الثامن عشر (بدأ تطبيق المنهج نفسه أيضاً تطبيقاً ناجحاً في مجالات أخرى، مثل: تاريخ الأدب، ودراسة العادات القومية).

وفي القرن الثامن عشر بدأ النحو المعياري بداية حاسمة على أساس نظري استمد جذوره من فكرة الانحطاط اللغوي، فقد نظر إلى النحاة على أنهم هم المسؤولون عما وقع للاتينية من فساد على مر الزمن، إذ كانت غفلتهم سبباً أتاح لغير المثقفين أن ينجحوا في إفساد اللغة (وإلا فإن اللغة لو تركت على حالها لما وقع فيها التغيير).

وقد أثرت الأفكار الفلسفية التي سادت القرن الثامن عشر في البحوث اللسانية إلى حد بعيد، وسهلت النزعة العقلانية الفرنسية في زمن العلماء الموسوعيين (١٧٥١-١٧٧٧) قيام معالجة منطقية للحقائق اللسانية، وأيدت الاتجاه نحو إسباغ الصبغة الجامعة على النحو.

وكان القرن الثامن عشر حقبة التأمل في أصل اللغة (حيث ظهر الفرض القائل بأن العبرية أقدم لغة إنسانية بعد الطوفان، ونظريات أخرى كثيرة تحكمية مماثلة فيما قبل القرن الثامن عشر بأمد طويل). والغالب أن المعرفة بتنوع البنية اللغوية قد بدأت من هنا على وجه التحديد في الانتشار بصورة أوسع.

وفي نهاية القرن الثامن عشر تم التعرف إلى وجود ما يقرب من مائتي لغة، ومع العقد الأول من الرن التاسع عشر وصل العدد إلى ما يقرب من خمسمائة.

وأياً كان الأمر فإن أعظم الكشوف أهمية لم يرتبط بلغة غريبة عن اللغات الهندية الأوروبية، لقد كان هذا الكشف هو اكتشاف جمهرة الدارسين في أوروبا للغة السنسكريتية، وهي اللغة التي لم تكن معروفة لهم حتى ذلك الحين.

وكان أول عالم كبير في السنسكريتية إنجليزياً هو وليام جونز William Jones (١٧٤٦ – ١٧٩٤) الذي أكد أن اللغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية والقوطية، وربما الكلتية أيضاً، كانت تربطها روابط وثيقة، وأنها نشأت عن لغة مشتركة لم يعد لها الآن وجود.

وعند نهاية القرن الثامن عشر كانت البداية الفعلية للدراسة المقارنة التي عالجت اللغات الفينوأجريتية (وكان الفضل الأول فيها لجهود عالم اللسانيات المجري ي. جيارماثي S.Gyarmathi).

البحث اللساني قبل القرن التاسع عشر

عند بداية القرن التاسع عشر بالفعل تعلق البحث اللساني أساساً بالمعطيات اللسانية الملموسة، وظل هذا الاهتمام الشديد بالحقائق الملموسة خاصية لافتة في لسانيات

القرن التاسع عشر بوجه عام، وقد أحدث ذلك خروجاً على تقاليد القرن الثامن عشر التي اهتمت بالبحث في اللغة عن البنى المنطقية والجامعة.

وفي حقبة تمتد إلى بداية العقود الأولى من القرن التاسع عشر، بدأ ظهور النزعة التاريخية في البحوث اللسانية، وفي السبعينيات والثمانينيات (عصر النحاة المحدثين Neo-grammarians) قام العمل اللساني في جوهره على اقتناع (صاغه بوضوح هرمان بول Hermann Paul ، أعظم المنظرين بين النحاة المحدثين) ويرى فيه أنه لا وجود لبحث لساني دون النزعة التاريخية.

وكان اكتشاف اللغة السنسكريتية حدثاً بالغ الأهمية لتقدم الدراسات اللسانية، فقد اختلفت السنسكريتية إلى حد بعيد عن اللاتينية واليونانية (التي قامت على أساسها المفاهيم اللسانية حتى ذلك الوقت).

وقادت المعرفة بها إلى نظرات جديدة في الظواهر اللسانية، وأمدت الدارسين بقضايا جديدة، كما أدت إلى إيجاد مجال معرفي جديد هو النحو المقارن.

وفي العقود الأولى من القرن التاسع عشر كانت الدراسات المقارنة المكثفة والناجحة هي السمة المميزة للبحث اللساني، وانصبت بحوث علماء الدراسات المقارنة أساساً في هذه الحقبة على الأسرة اللغوية الهندية الأوروبية، وكانوا أقل اهتماماً بروابط القربى في المجموعات اللغوية الأخرى (السامية والحامية والأوجاريتية والألطائية) على الرغم من أن هذه المجموعات كانت جد معروفة في ذلك الوقت أيضاً. والحق أن القضايا اللسانية في اللغات غير الهندية الأوروبية لم تدرس دراسة جادة إلا بحلول نهاية القرن التاسع عشر، وكان ضمن علماء الدراسات المقارنة الأوائل، مثل شليشر Schleicher ومدرسته، وعلماء تجلت في مفاهيمهم اللسانية مباشرة النزعات السائدة في فكر الدارسين.

وانتشرت في أوروبا في القرن التاسع عشر معلومات لسانية قدمت إليها من شتى أرجاء العالم، ولقد كان هذا هو زمن التوسع الأوروبي في القارات الأخرى، وصحب ذلك بالضرورة ظهور مجالات جديدة من المعرفة اللسانية. وفي العقدين الأولين من القرن أثار معجم أدلونج بالفعل الاهتمام بنماذج من اللغة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت،

وحفز أفراد من العلماء إلى التأمل في قضايا اللسانيات العامة. وقد كانت المعرفة بمباني اللغات من غير المجموعة الهندية الأوروبية ملهماً مباشراً لواحد من أعظم المنظرين الموهوبين في اللسانيات، هو العالم الكبير فون هامبولدت W. Von Humboldt .

وعلى حين سادت القرن الثامن عشر فكرة منطقية اللغة، تميز القرن التاسع عشر أساساً بدخول المعايير النفسية إلى النظرية اللسانية، وأصبح " للنزعة النفسية " في اللسانيات مناصرون بارزون في الخمسينيات والستينيات من ذلك القرن، وقد أثرت مؤلفاتهم تأثيراً حاسماً في صياغة التصورات اللسانية الأساسية لأجيال كثيرة.

إن أهم حقبة لم تأت قبل نهاية القرن، في السبعينيات، عندما تسلم النحاة المحدثون زمام القيادة في الدراسات اللسانية، وحينئذٍ اكتسب المنهج التاريخي المقارن تماماً طابعه المنهجي الصارم، وأسسه النظرية، وقد اختلف النحاة المحدثون مؤلفات جادة، وصحيح أن إنجازاتهم قابلة للتوسيع والتصويب غير أن ثمة حقيقة باقية هي أن هذه الإنجازات تشتمل على ذخيرة أساسية من المعرفة التي جمعت باقتدار، فيما يتعلق بتاريخ اللغات الهندية الأوروبية، وهذا يضفي عليها قيمة لا تقبل الجدل.

القرنان الثامن عشر والتاسع عشر

أ. القرن الثامن عشر:

في سنة ١٧٧٧ ابتدع فريدريك أوجست ولف النقد المقارن للنصوص القديمة، واستمرت عنايته به من بعد، وكانت غاية هذا الاتجاه إعادة بناء النصوص الأصلية وتفسيرها، أي أن فريدريك ولف لم يمارس الدراسات اللغوية لفائدة اللغة نفسها ولكن لفائدة النصوص كان يدرس لغة هذا الأديب أو ذاك للكشف عن أسرار عبقريته الأدبية، ولفهمها فهماً أسلم، وواضح أن هذه الدراسة كانت قائمة على النصوص المكتوبة، أما اللغة الملفوظة فلم يكن لها دخل في مجال دراسته، ومع ذلك، فهذا الاتجاه في الدراسة اللغوية لم يكن يسعى، كما كانت الدراسة اللغوية السابقة تسعى إلى الكشف عن الطرق الصحيحة من التعبير، وتعليمها، بل كان يسعى إلى إدراك الحالة الحقيقية للغة كما تبدو في النصوص موضع الدراسة.

وكان أهم حدث لغوي في القرن الثامن عشر هو كشف وليام جونز الإنجليزي سنة ١٧٨٦ للغة السنسكريتية، وللعلاقة بينها وبين اليونانية واللاتينية، وهكذا أخذ العلماء في مقارنة اللغات الهندية والإيرانية والأوروبية (اللاتينية واليونانية والكلتية والجرمانية).

وكان لهذا الكشف نتائج بالغة الأثر في سير الدراسات اللغوية، وفي النهضة اللغوية الحديثة، ونتج عن معرفة اللغة السنسكريتية إدراك العلاقة بينها وبين اللغة اليونانية واللغة اللاتينية وما تفرع عنها من لغات، وهكذا أخذ العلماء يتكلمون عن مجموعة اللغات التي سمّوها ائلة اللغات الهندو أوروبية، ولكن شيئاً أجل من هذا نتج عن كشف اللغة السنسكريتية، وهو اطلاع لغويي أوروبا وأمريكا على التراث الرائع النحوي والصوتي الذي خلفه العلماء الهود، وقد ترجم جانب كبير من هذا التراث إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

ويميل أكثر مؤرخي الدراسات اللغوية الحديثة إلى أن أعمال النحاة السنسكريتيين هي التي أوقفت النحاة الغربيين على أقدامهم، واطلع علماء الغرب على نحو للغة السنسكريتية، فوجدوا أنه لا يقوم على أسس من الفلسفة والمنطق كنحو اليونان لليونانية ونحو تلامذتهم المخلصين الرومان للاتينية، وكأنحائهم هم أنفسهم للغاتهم الأوروبية، هذه الأنحاء التي تأثروا فيها بالنحو اللاتيني خاصة.

وكان نحو السنسكريتية، كما يظهر عند بانيني وهو سيبويه السنسكريتية (أو سيبويه هو بانيني العربية)، نحواً وصفياً من الطراز الأول.

واطلع لغويو الغرب كذلك على وصف الهنود لأصوات السنسكريتية وصفاً لا يقوم على الأثر السمعي للأصوات بل يقوم على أسس فسيولوجية.

وكان إيحاء النحو السنسكريتي ما يزال إيحاءً خصباً خلاقاً.. وسنرى أن أكبر لغويي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في جوهرهم علماء في اللغة السنسكريتية، وذلك مثل وليم ويتني الأمريكي.

ب. القرن التاسع عشر:

إن مطالع النظرة الحديثة إلى اللغة ودراستها تبدأ في القرن التاسع عشر، وهي مدينة إلى حد كبير بما كان قبل هذا القرن (من عصر النهضة إلى أوائل القرن التاسع عشر) من جهود هيأت لها سبل التقدم.

فقد كثرت أمم الأرض التي سيطر عليها الغربيون أو احتكُّوا بها والتي أوفدوا إليها إرسالياتهم الدينية وسفراءهم السياسيين، وكان لهذه الإرساليات ولبعض الأفراد فضل كبير في التعرف على لغات جديدة وفي جمعها، وإبداء ملاحظات عنها، وكتابة أنحائها، ووضع معاجم لها.. إلخ، ثم كان ما ذكرناه من كشف السنسكريتية وما كان لهذا الكشف من أثر.

لقد أخذ "علم اللغة" الحديث في الظهور في مطلع القرن التاسع عشر في صورة "نحو تاريخي مقارن"، واستمر على هذه الصورة زماناً.

وقد أدى هذا إلى الكشف عن الخصائص الأساسية للغات الرئيسية في العالم، وإلى دراسة لغات كثيرة وإلى الوصول إلى ما بينها من "نسب".

إن القرن التاسع عشر في تاريخ الدراسات اللغوية هو قرن دراسة اللغات الهندو أوروبية واللغات الرومانية، وهو قرن النزعة التطورية والعلوم الطبيعية، وهو فترة عظيمة من فترات "التأريخ للظواهر" المختلفة في الدراسات المختلفة، وكان لنظرية دارون وللعلم الطبيعي أثرهما في دراسة التغيرات اللغوية على وجه الخصوص.

وقد أثرت نظرية دارون في التطور في مناهج كثير من العلوم، بل أثرت في مناهج العلوم والفلسفة جميعاً، وكانت عند ظهورها بدعة العصر، تأثر بها علماء اللغة كما تأثر بها سواهم، ورأوا فيها – كما رأى غيرهم– حلاً لكثير من مشكلاتهم فظهرت حوالي سنة ١٨٧٠ مناهج جديدة للبحث في اللغة على أساس فلسفة جديدة، أو تصورات عامة جديدة، وهي أن طبيعة "التغيرات اللغوية" هي طبيعة التغيرات نفسها التي تحدث في العالم الطبيعي، ولا سيما عالم الحيوان والنبات، وهكذا قال بعض علماء اللغة إن ما يعرض للغات من تغير إنما هو بفعل "قوانين عمياء".

فقد نظر اللغويون في اللغات واللهجات على أنها كائنات يمكن تصنيفها حسب أنواعها، وبالتالي حصرها، وتتطور تطور النباتات والحيوانات. وأنشأ اللغويون "علاقات النسب" بين اللغات واللهجات كما هو الحال في التاريخ الطبيعي.

علم اللغة التاريخي والمقارن في القرن التاسع عشر

من المألوف في علم اللغة أن يقال إن القرن التاسع عشر كان هو عصر الدراسة التاريخية والمقارنة للغات، وبوجه أخص اللغات الهندو أوروبية، وهذا أمر مسوغ بشكل كبير، ولكن هذا لا يعني أنه لم تجر قبل هذا الوقت بحوث تاريخية تقوم على مقارنة اللغات، ولا أن كل الجوانب الأخرى لعلم اللغة قد تم تجاهلها خلال القرن التاسع عشر، ولكن المسألة هي أن هذا القرن قد شهد تطور المفاهيم النظرية والمنهجية الحديثة لعلم اللغة التاريخي والمقارن، كما أن التركيز الأكبر للجهود العلمية والمقدرة العلمية في علم اللغة كان مكرساً لهذا الجانب من الموضوع أكثر من غيره من الجوانب.

ويمكن للمرء أن يتحدث بحق عن الأعمال حول اللغات قبل القرن التاسع عشر بوصفها أعمالاً مبعثرة، ليس لأنها تفتقد بالضرورة عمق النظر أو التقدير لما هو مطلوب، ولكن لأن اقتراحات الناس والبحوث ظلت في عزلة إلى حد كبير، وما دامت هذه البحوث لم يشرع فيها ولم تطور من سلسلة متواصلة من العلماء، فكل مفكر جديد كان لديه القليل الذي يعتمد عليه أو يكون لديه ردة فعل نحوه.

ولكن الأمر لم يكن كذلك بعد عام ١٨٠٠، عندما يجد المرء نفسه وجهاً لوجه أمام استمرارية ملحوظة للعلم الذي ركز على ميدان متخصص من النظرية والتطبيق، حيث أقامت أجيال من الرجال الألمان غالباً، أو من علماء أقطار أخرى اكتسبوا علمهم في ألمانيا، أقام هؤلاء موضوعهم على أساس ما قام به سابقوهم أو معاصروهم الأسبق منهم، فالعلماء ربما يبدأون من حيث انتهى هؤلاء الذين كانوا قبلهم، أو ربما كان لهم رد فعل ضد ما اعتبروه أخطاء في الواقع أو سوء توجيه للنظرية، ولكن إدراك استمرارية الإنجاز الذي وصل للذروة قرب نهاية القرن، رغم أن هذه الذروة بالطبع ليست نقطة

التوقف، هذا الإدراك يجب النظر إليه بوصفه تعظيماً لعلم العصر، وباعتباره كذلك إلهاماً لهؤلاء الذين ينظرون للوراء نحو هذا القرن اللافت للنظر من المساعي الناجحة.

ويمكن القول إن هذه الأعمال التي قام بها الكتاب الأوروبيون عن العلاقة التاريخية للمجموعات المعينة للغات بدأت مع دانتي (١٢٦٥-١٣٢١)، على الرغم من أن "القواعدي الأول" المبرِّز قد أكد في القرن الثاني عشر على العلاقة بين الأيسلندية والإنجليزية، استناداً إلى التشابه في صيغ الكلمات، وقد تمت الإشارة بالفعل لمؤلف دانتي De Vulgari Eloquentia بصدد الحديث عن ارتفاع مكانة اللغات الأوروبية الدارجة بعد العصور الوسطى. وهذا المؤلف نفسه يفسر منشأ الفروق اللهجية، ومن ثم الفروق بين اللغات الناشئة عن لغة أصل واحدة بوصفها نتيجة لمرور الزمن والتشتت الجغرافي للمتكلمين. وقد ميز دانتي بدقة ثلاث أسر لغوية أوروبية هي الأسرة الجرمانية في الشمال، والأسرة اللاتينية في الجنوب، واليونانية التي تشغل جزءاً من أوروبا مجاوراً لآسيا. وقسم المنطقة اللاتينية المعاصرة له إلى ثلاث لغات دارجة متميزة تنحدر كلها من اللاتينية التي حافظ عليها القواعديون، وهذا الأصل المشترك تظهره الأعداد الهائلة من الكلمات التي تشترك كل منها مع الكلمات الأخرى والتي يمكن إرجاعها إلى كلمة لاتينية واحدة.

واستخدم دانتي منهجاً معيناً بوصفه علامات للتميز في تقسيماته اللغوية.

وداخل هذه المناطق اللغوية كان دانتي واعياً بشكل قوي بالفروق اللهجية، وهو في الفصول التالية سبر إمكانية اللغة الإيطالية المصقولة ومدى الرغبة بالنسبة لشبه الجزيرة الإيطالية كلها، وقدم مسحاً مفصلاً وأمثلة جيدة للهجات الإيطالية، كما أبدى أحكاماً جمالية عليها لا يُعَدّ أي منها صحيحاً، ولكن اللهجتين التوسكانية المحلية والرومانية قد استبعدتا بازدراء.

حقبة علماء الدراسات المقارنة الأوائل

يعد الألماني فرانس بوب Franz Bopp (١٧٩١ – ١٨٦٧) هو المؤسس للنحو المقارن، كما أن عام ١٨١٦، وهو العام الذي أهدى فيه بوب إلى جمهور اللسانيين مادة

لغوية من السنسكريتية مقارنة ببعض اللغات الهندية الأوروبية الأخرى، يظل تاريخاً مذكوراً في علم اللسانيات: إذ لم يكن هذا العام بداية عهد المقارنات في الدراسات اللغوية فحسب، بل كان بداية للسانيات ذاتها بوصفها مجالاً معرفياً يتسم بالنظامية والاستقلال.

وقد كانت السنسكريتية وقرابتها للغات الهندية الأوروبية الأخرى معروفة قبل زمن بوب، إذ تحدث عنها و. جونز W. Jones في القرن الثامن عشر، ولكن بوب كان أول من أكد أن قضية الروابط المتبادلة بين اللغات الهندية الأوروبية يمكن أن تصبح موضوعاً لدراسات خاصة، وقد كانت هذه هي فضيلته الكبرى.

وكان غياب هذه الفكرة هو الذي حرم الباحث الدنماركي راسموس كريستيان راسك Rasmus Kristian Rask (١٧٨٧ – ١٨٣٢) من شهرة بوب، على الرغم من أن راسك اشتغل بالتحليل المقارن للغات في الوقت ذاته مع بوب، بل قبله بقليل.

واتسمت الحقبة التي ظهر فيها علماء المقارنات الأوائل بكثير من الأسماء البارزة. ويعرف جاكوب جريم، وهو مؤلف كتاب النحو الألماني، بوصفه المؤسس للسانيات الجرمانية، والحق أن معالجة جريم في هذا الكتاب لا تقتصر على القضايا المتصلة باللغة الألمانية فحسب، ولكنه يقدم استقراء مقارناً للخصائص النحوية للمجموعة اللغوية كلها.

ولم يكن علماء المقارنات الأوائل رواداً لمناهج جادة في التحليل اللساني فحسب، بل أضافوا معلومات تفصيلية عن لغات هندية أوروبية مختلفة، وقوموا للمرة الأولى – الحقائق التي تم جمعها من وجهة نظر مقارنة، وكانوا الباحثين اللسانيين الأوائل الذين صرفوا اهتماماً خاصاً لصياغة نظرية لسانية عامة تتسم بالإحكام.

وكان الإسهام الأساسي الذي قدمته العصور الوسطى لعلم اللغة هو محاولة تقديم نحو عالمي صالح للتطبيق على كل اللغات مع إدخال تعديلات مناسبة، وقد كان أصحاب اللغة يعتدُّون لغتهم هي اللغة الوحيدة التي تستحق الدراسة كما فعل اليونان، فكان التغيير الذي قدمه علم اللغة الوسيط هو أنه اعترف بلغات أخرى بالإضافة إلى

اللاتينية واليونانية، حتى لو كانت تلك اللغات تأخذ مكانة ثانوية، وقد كان النحو في ذلك الوقت وصفياً يهدف إلى تحقيق مبادىء قابلة للتطبيق عالمياً على كل اللغات، كما صرّح دي سوسير نفسه، والفرق الأساسي بين النظرة الوسيطة والحديثة تكمن في العناية بالعناصر اللغوية المختلفة، والاهتمام بنوع معين من اللغات دون الأنواع الأخرى وهذا تابع لصيق الرؤية لدى اللغويين الوسيطين، لكن مع الانفتاح على العالم تمكَّن علماء اللغة من الاطلاع على لغات أخرى، فوجدوا أن قواعدهم النحوية لا تتفق وهذه اللغات المكتشفة حديثاً.

وأدّى اكتشاف هذه اللغات الحديثة إلى تسرّب الشعور بالحاجة إلى قواعد جديدة تدعم الدرس اللغوي العالمي، فبدأت محاولات كثيرة لوضع نحو وصفي لبعض اللغات الحديثة والقديمة على حدّ سواء، وبدأت تظهر مناقشات متعلقة بتصنيف اللغات وقراباتها اللغوية، وأخرى تتعلق بمستوى الصواب اللغوي ومشكلة انقسام اللغة إلى لهجات بعضها طبقية.

وتمخض عن اكتشاف اللغات من قبل العلماء التوصل إلى أمرين هامين تَمَثَّلا: باكتشاف الأوروبيين أن لدى الهنود دراسة وصفية دقيقة قام بها بانيني تلتزم منهجاً أسلم، وتصل إلى نتائج أدق تفوق ما ورثوه عن الإغريق من مناهج معيارية جامدة.

كما توصلوا إلى اكتشاف العلاقة الوطيدة بين اللغة السنسكريتية واللغتين اليونانية واللاتينية على يد وليام جونز عام ١٧٨٦م، وقد تأثروا في تلك الحقبة التاريخية بنظرية دارون في النشوء والارتقاء، فوجدوا أن اللغات واللهجات ليست سوى كائنات تتوالد وتتطور وهي تنقسم إلى أنواع وفصائل وأجناس كما هو الحال في عالم الأحياء.

وقد فُتح باب الدرس المقارن، وكان الفضل لعدد من العلماء الألمان مثل فرانز بوب (١٧٩١-١٨٦٧م) ويعقوب جريم (١٧٨٥- ١٨٦٣م) .

وعلى الرغم من عدم صحة بعض نتائج المدرسة الألمانية في مجال الدرس اللغوي المقارن ،إلاّ أنها اصطنعت وسائل منهجية أدق من قبل، وكان من نتائج هذه المناهج

الجديدة أن العلماء فرقوا بين ما يعرف بـ Philology فقه اللغة و Linguistics علم اللغة .

ويمكن القول إن القرن التاسع عشر يعدّ بحق عصر الدرس اللغوي المقارن، وأنَّ الألمان هم فرسان حلبته وإن لم تخل الساحة من علماء آخرين أسهموا في هذه الحركة النشطة من أمثال دويت ويتني الأمريكي وهنري سويت الإنكليزي.

مراجع الدراسة:

١- أندريه مارتينيه: مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو.

٢- جورج مونان: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدرالدين القاسم.

٣- روبنز: موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة أحمد عوض.

٤- عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام.

٥- ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر.

٦- منذر عياشي: اللسانيات والدلالة.

٧- ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل.

الأُسَر اللغوية

ثمة اختلاف بين العلماء حول اللغات واللهجات، فمنهم من يرى أننا إذا وجدنا اثنين يتحدثان بصورتين مختلفتين من صور التعامل اللغوي ويتفاهمان على الرغم من الاختلاف، فهما يتحدثان بلغتين مختلفتين، والتفاهم عائد للعلاقة الأزلية بين هاتين اللغتين كالإسبانية والإيطالية مع علمنا أنهما لغتان متمايزتان عن بعضهما، ولحل هذه المشكلة بين العلماء فبمكنتنا تقسيم اللغات إلى أسر لغوية، كل أسرة ينضوي تحت لوائها جمع من اللغات، هي:

١. اللغة الهندية الأوروبية.
٢. الأفرو آسيوية.
٣. اللغات الأورالية الألتانية.
٤. أُسر لغوية أخرى.

اللغات الهندية الأوروبية

أثبتت بحوث القرن التاسع عشر أن عـدداً مـن اللغـات القديمـة تمتـد مـن الهنـد إلى أوروبا، وأنها تكوّن أسرة لغوية واحدة، وأطلق عليها العلماء الألمان اسم اللغات الهندية الجرمانية، والأصل أن تُسمَّى باللغات الهندية الأوروبية لأنها تقوم على أسـاس جغـرافي واضح.

وتضم هذه الأسرة عدداً من اللغات الممتدة من الهند عبر إيـران وشـرق أوروبـا إلى غرب أوروبا وأمريكا، وأهم لغات هذا الفرع هي اللغة الهندية الأُرديّة واللغـة البنغاليـة، وتأتي بعدها اللغة البنجابية، وفي إيران وأفغانستان نجـد الفارسـية، ثـم اللغـة الباشـتونية واللغة الكردية في إيران والعراق وتركيا.

أما في القارة الأوروبية ففيها ثلاثة أفرع لأسرة هذه اللغة وعدد من اللغـات المفـردة التي لا تنتمي إلى فرع بعينه من فروع هذه الأسرة مثل اللغة الألبانية والأرمينية واليونانية، وهذه اللغات تكوّن فرعاً قائماً بذاته. (محمود فهمي حجازي: علم اللغة والمناهج الحديثة)

أولاً: اللغات المفردة

تعد اللغة اليونانية أقدم اللغات المفردة في الأسرة الهندية الأوروبية، واللغة اليونانيـة أقدم لغة حية منذ ثلاثة آلاف عام.

وقد تعلم اليونان الكتابة من الفينيقيين، فكتبوا بخط أبجدي يعبر عـن النطـق تعـبيراً مباشراً، وكانت اليونان قد عرفت لهجات كثيرة في الفترة التالية لهجرة أبنائها الأوائل من مهد اللغة الهندية الأوروبية الأولى إلى جنوب أوروبـا، لكـن الكلاسـيكية تطـورت علـى أساس لهجة أثينا التي كتب لها السيادة والازدهار بعد انتصار اليونان على الفرس.

وترجع أهمية اللغة اليونانية القديمة إلى أنهـا اللغـة الـتي دونـت بهـا الآثـار الأدبيـة والخطب السياسية والقضائية، كما كتبت بها الدراسات الفلسفية، وفي آخر القرن الخامس قبل الميلاد كانت اللغة اليونانية القديمة قد أصبحت لغة مشتركة ذات مـستوى حـضاري راق، وكان يطلق على هـذه اللغـة في عـصر مـن العـصور مـصطلح(Koine) أي اللغـة

المشتركة، وقد أصبحت بعد فتح الإسكندر لغة رسمية في شرق الدولة الرومانية، وكانت لغة الحضارة والتعامل بين الطبقات المتميزة اجتماعياً وثقافياً في الشام والعراق ومصر.

أما اللغة اليونانية الحديثة فقد بدأت تتخذ طابعها الحالي في القرن السابع عشر، واستقرت في القرن التاسع عشر لتكون لغة دولة اليونان والقسم الأكبر من قبرص.

وتلي اللغة اليونانية في الاتساع والقيمة اللغة الأرمنية ، وقد خضعت لدول كبرى مختلفة فتأثرت بلغات الفرس والرومان والبيزنطيين والعثمانيين، أدى هذا إلى تأثر بنية اللغة الأرمنية، ويعيش أغلب أبناء هذه اللغة في أرمينية، والباقون في مصر ولبنان وسوريا وفرنسا وأمريكا، وهي لغة ضيفة على لغتهم الأصلية التي يتعاملون بها.

واللغة الألبانية آخر لغة أوروبية حديثة انتظم تدوينها إلى الآن، فقد دونت بعض النصوص باللغة الألبانية في القرن الخامس عشر الميلادي، ولم يهتم أبناء هذه اللغة بلغتهم لأنهم كانوا على مر التاريخ مجموعة لغوية صغيرة في إطار دولة كبرى تتعامل بلغة غير اللغة الألبانية.

ثانياً: الفرع الهندي

كانت السنسكريتية أقدم لغة من لغات العالم تناولها البحث النحوي، فاللغوي الهندي بانيني وضع قواعد السنسكريتية، وما تزال معروفة عند بعض العلماء الهنود الذين توارثوا المعرفة بها عبر الأجيال، وبعضهم ما يزال يؤمن بها حتى اليوم.

ومن أهم لغات هذا الفرع اللغة البالية في بالي (Pali) وهي لغة بوذا، وقد دونت اللغة البالية بالخط الكمبودي والسيامي والبرماني.

وتوجد في شبه القارة الهندية لغات كثيرة معاصرة تدخل تحت هذا الفرع مثل الأُردية والبنغالية والبنجابية والمراثية والراجستانية والبهارية، أما اللغة الأردية فيطلق عليها عند المسلمين لغة (الأردو) أي لغة الجيش وهي أحد اللغات الإسلامية، وبسبب التفرع اللغوي في هذه اللغة (الهندية) لم تستطع أن تفرض نفسها.

أما اللغة البنغالية فتتجاوز أهميتها دولة بنغلادش إلى داخل الهند، وتنتشر في إقليم البنجاب (لاهور).

ثالثاً: الفرع الإيراني: ويقسم إلى أقسام عدة:

١. الإيرانية القديمة

عرفها الأخميثيون (٥٥٩- ٣٣ق.م) وتضم عدة لغات فقد امتد إقليم الدولة، وكانت اللغة الفارسية القديمة لغة الملك ولغة البلاط، وإلى جانب هذه اللغة كانت الأكادية لغة التعامل الدولي في الشرق كله وبها دونت نقوش ملكية كثيرة، بالإضافة إلى نقوش أخرى دونت بالعيلامية، وهناك نقوش دونت بلغة أقاليم الدولة مثل مصر والآرامية في الشام والعراق.

وقد لاحظ الباحثون حدوث تحول لغوي مهم في أواخر فترة ما بين (٦٠٠- ٤٠٠ق.م)، فقد تحولت اللغة الفارسية من النمط الإعرابي إلى النمط التحليلي، ففي النمط الإعرابي تقوم النهايات الإعرابية بإيضاح الوظائف النحوية في الجملة، لكن النمط التحليلي يعتمد على تركيب الكلمات في داخل الجملة، وعلى عناصر الربط بين هذه الكلمات وملامح هذه التحول في الفارسية القديمة اختفاء النهايات الإعرابية.

٢. الإيرانية الوسيطة

كان الباحثون حتى أواخر القرن التاسع عشر لا يعرفون من المستويات اللغوية الإيرانية الوسيطة غير اللغة الفارسية الوسيطة التي تدعى (البهلوية) ثم الصغدية والخوارزمية، أما البهلوية فهي امتداد للفارسية القديمة، وقد دونت هذه اللغة بالخط الآرامي، فأصبحت الكتابة معقدة غير واضحة، والكتابة البهلوية تدون النهاية التصريفية وفق المكونات الصوتية لها.

أما الصغدية فقد ظلت معروفة لعدة قرون في الحضارة العربية الإسلامية، وقد وجدت أكثر هذه اللغة في منطقة بخارى وسمرقند .

أما الخوارزمية فقد ظلت محتفظة بالخصائص اللغوية للإيرانية الوسيطة قروناً طويلة في الحضارة الإسلامية، وقد دونت الخوارزمية لغتهم بالخط العربي، وهناك مخطوطات تدل على ذلك.

٣. الإيرانية الحديثة

وتطلق هذه التسمية على عدة مستويات لغوية، وليس هناك لغة واحدة تحمل اسم الإيرانية الحديثة، وأهم هذه اللغات اللغة الفارسية، واللغة التاجيكية، واللغة الكردية، واللغة البلوشية، ولغة الباشتو، ولهذه اللغات تفصيل في كتب علم اللغة.

(محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة)

رابعاً: الفرع السلافي

وقد وصلت إلينا أقدم لغة سلافية مدونة يطلق عليها اسم اللغة السلافية الكنسية القديمة أو البلغارية، ونسبت إلى الكنيسة لأنها كانت اللغة التي استخدمها الأخوان المسيحيان كيريل وميشود في التبشير بين الجماعات السلافية، وقد دونت هذه اللغة بخط يقوم على الخط الروماني في شكله المتداول في القرنين التاسع عشر والعاشر الميلاديين، ويضم هذا الفرع اللغة الروسية، والأكرانية، والبلوروسية، والبولندية، والبلغارية، والصربية، والكرواسية، والسلوفينية، ولغة البلطيق.

خامساً: الفرع الكتي

وهي من أقدم اللغات الهندية الأوروبية في أوروبا، وانتشرت بعد هجرة مجموعة من أبناء اللغة الهندية الأوروبية الأولى من مهدها المفترض في جنوب روسيا إلى جنوب أوروبا ، وقد كانت لغة الغال القديمة (فرنسا) قبل انتشار اللاتينية، كما كانت لغة بريطانيا وإيرلندا قبل هجرة الإنجلوسكسون إليهما.

وما تزال الكتية حية إلى يومنا هذا في عدة أشكال لغوية أهمها الإيرلندية والاسكوتلندية الغالية والبريتونية، ولهذه اللغات تراث أدبي كبير يتمثل بالأدب الشعبي الثري في اللغة الإيرلندية.

سادساً: الفرع الجرماني

ولغات هذا الفرع ترجع إلى أصل واحد، وتشترك جميع لغات هذا الفرع بخصائص مشتركة، مما جعل الباحثين يرجعونها إلى أصل واحد وهو اللغة الجرمانية الأولى، وقد ظلت الجماعات الجرمانية تتحدث بهذه اللغة فترة طويلة من الزمن، وبذلك أخذت الخصائص اللغوية تختلف باختلاف الجماعات.

وقد تميزت في هذا الفرع كل اللغات التي يرجع أصلها إلى اللاتينية بمستوياتها اللغوية المختلفة، وأهمها: الفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية، والإيطالية، والرومانية، وذلك إلى جانب لغات ولهجات في جنوب أوروبا وجزر البحر المتوسط.

الأسرة الأفروآسيوية

وهي من أكبر الأسر اللغوية في العالم القديم والوسيط والحديث، وتضم هذه الأسرة عدة فروع لغوية، وهي: الفرع السامي، والفرع المصري القديم، والفرع البربري، والفرع التشادي، والفرع الكوشي، وقد لاحظ الباحثون وجود علاقة بين هذه الفروع بما تحويه من لغات. وتقوم وحدة اللغات الأفروآسيوية على اشتراكها في عدد من الخصائص البنيوية، منها:

١. التمييز بين المذكر والمؤنث في الصيغ الصرفية المختلفة وفق معايير، منها الجنس النحوي حيث تستخدم التاء للتمييز بين المؤنّث والمذكّر.

٢. استخدام عدد من الوحدات الصرفية الوظائف النحوية نفسها في اللغات المختلفة منها النون والكاف.

الفـــرع السامي

وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الإنسانية التي وصلت إلينا مدونة ، فاللغة الأكادية قد دونت منذ ٢٥٠٠ق.م، وهي بهذا تكون من أقدم اللغات المدونة.

وقد اجتمعت هذه اللغات على صفات مشتركة أهمها أننا نجد في اللغات السامية مجموعة أصوات الحلق: (ع ، ح ، غ ، هـ ، ء) موجودة في كل لغات هذا الفرع، ومعنى هذا أن اللغة السامية الأم كانت تتوحد في هذا الجانب بالرغم من وجود بعض الاختلافات في بعض اللغات.

فالعبرية مثلاً تحل العين محل الغين، كما وتشترك اللغات السامية أيضاً في مجموعة أصوات مطبقة حيث يرتفع اللسان درجة في أثناء النطق بها مع اتخاذه شكلاً مقعراً.

ويقوم بناء الكلمة في اللغة السامية على أساس الصوامت والوزن، ومعنى هذا أن المعنى الأساسي يرتبط بالصوامت، كما وتصنف الصيغ في اللغات السامية من ناحية

الجنس النحوي إلى مذكر ومؤنث، ومن ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، فضلاً عن وجود عدد من الألفاظ المشتركة بين لغات هذا الفرع ، مثل :

١. الألفاظ الخاصة بجسم الإنسان (رأس ، عين ، يد ، رجل)

٢. الألفاظ الخاصة بالنباتات والحيوانات (قمح ، سنبلة ، كلب)

٣. بعض الأفعال مثل (ولد ، مات ، قام)

٤. حروف الجر (من ، على ، في)

٥. الأعداد الأساسية (من اثنين حتى عشرة)

ولا شك أن درجة التقارب بين اللغات السامية المختلفة تجعلها تشكل فرعاً واحداً في إطار الأسرة الأفروآسيوية، وهذا يجعل اللغة العربية والعبرية متقاربتين أكثر منهما إلى لغة الهوسا؛ لأنَّ الأخيرة من الفرع التشادي.

الفـــرع الأكادي

اللغة الأكادية من أقدم اللغات سامية، وهي لغة السومريين الذين عاشوا على أرض الرافدين، وقد هاجر إليهم جماعات سامية تعلموا منهم لغتهم وكتابتهم، وهي الكتابة المسمارية، وتقوم هذه الكتابة على تقسيم الكلمة إلى مقاطع، لذا فهي كتابة مقطعية من ناحية الأساس العلمي ومسمارية من ناحية الشكل ، ولهذه الكتابة ميزة هي أنها تدون الحركات ضمن المقطع ، فالمقطع الواحد يتكون من صامت وحركة على أقل تقدير.

الفرع الكنعاني

ويضم هذا الفرع عدداً من اللغات تنضوي تحت الأسرة الأفروآسيوية وهي اللغة الأوغريتية والفينيقية والعبرية، فالأوغريتية هي اللغة الثانية من ناحية التدوين، وتمثل أقدم لغة سامية عرفتها منطقة الشام، وقد تم عند الأوغريتيين تبسيط نظام الكتابة، إذ وضعوا رموزاً محدودة للأصوات المحدودة.

أما اللغة الفينيقية التي تمثل لغة ساحل الشام، فقد وصلت منها نقوش بخط أبجدي متطور عن الخط الأوغريتي، ولكن اتخذ الحرف عند الفينيقيين شكلاً هندسياً يشبه إلى حد ما الخط العبري.

وفيما يتعلق باللغة العبرية ، فهي إحدى اللهجات الكنعانية، وقد سادت في منطقة بيت المقدس، وتقسم المراحل التي مرت بها اللغة العبرية اعتماداً على النصوص التي وصلت إلينا من العبرية القديمة وعبرية المشنا والعبرية الوسيطة والعبرية الحديثة .

فالقديمة كانت لغة أسفار الكتاب المقدس عند اليهود، ويضم الكتاب المقدس خمسة أسفار بالإضافة إلى أسفار الأبيا، والأسفار الأدبية، ويرمز اليهود إلى الكتاب المقدس بالأحرف الأولى الدالة على هذا الكتاب (ت ، ن ، خ).

أما عبرية المشنا فهي عبرية الكتاب المقدس الثاني عند اليهود، وقد اكتمل تدوينه بعد اكتمال تدوين العهد القديم (الكتاب المقدس الأول) ، هذا بشأن عبرية المشنا، أما العبرية الوسيطة فهي لغة الكتب الدينية وغير الدينية التي ألفت في العصور الوسطى، وهناك خلاف بعيد حول تحديد نقطة البداية والنهاية بالنسبة لهذه المرحلة من تاريخ اللغة العبرية، وقد ازدهرت فكتب بها نصوص أدبية فيها محاكاة للأدب مثل المقامات.

أما العبرية الحديثة فهي اللغة الرسمية في إسرائيل، والعبرية الحديثة محاولة لإحياء اللغة العبرية بعناصرها الموروثة مع تطويرها لتعبر عن الحضارة الحديثة؛ ولذا فهناك اختلافات في بنية اللغة العبرية الحديثة تعكس تغيراً طرأ على هذه اللغة عبر مراحله المختلفة.

الفرع الآرامي

قد وصلت إلينا لغات هذا الفرع بمستوياتها اللغوية المختلفة وظلت معروفة على مدى القرون الثلاثين الماضية، فقد ضمت اللغة الآرامية والسريانية، وكان لها ارتباط تاريخي بالمسيحية، لذا يرغب المسيحيون عن تسميتها بالآرامية باعتبار الآرامية لغة وثنية.

الفرع الجنوبي

ويضم هذا الفرع العربية الجنوبية كالمعينية والسبئية والحميرية، وقد وجدت في النصف الجنوبي من جزيرة العرب وعلى طرق التجارة التي كان الجنوبيون يقفون في محطاتها الموجودة حتى أقصى الشمال، ويسمى الخط العربي الجنوبي باسم الخط المسند، وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل جنوبية إلى الشمال وأخذت تتعرَّب شيئاً فشيئاً بعربية الشمال، وأخذت اللغة الشمالية قبيل الإسلام تنتشر في جنوب الجزيرة العربية، وزاد معدل التعريب بشكل واضح بعد دخول اليمن في الإسلام، ولم يبق من العربية الجنوبية إلى اليوم إلا مجموعة من اللغات في مناطق منعزلة نسبياً، أهمها الأمهرية واللغة السوقطرية.

كما يضم الفرع الجنوبي اللغات السامية الحبشية التي نشأت نتيجة هجرة قبائل عربية جنوبية من جزيرة العرب إلى شرق أفريقيا، وتعد لغة الجعز أقدم سامية عرفتها الحبشية وهي لغة ذات ارتباط مسيحي واضح، وبذلك تكون مشابهة للغة السريانية، وهذا ينطبق على اللغة القبطية، وقد ترجمت إلى هذه اللغة مجموعة الأسفار على أصول سريانية أو يونانية ، ثم على نصوص عربية، ولقد ماتت هذه اللغة ولم يعد لها استخدام يومي واستبدلت باللغة الأمهرية واللغة التجرينية والتجرية.

وهناك فروع لغوية أخرى مثل اللغات المصرية القديمة، واللغات البربرية المنتشرة في شمال أفريقيا، واللغات الكوشية التي انتشرت جنوب مصر وامتدت على الساحل الشرقي الأفريقي حتى الصومال، واللغات التشادية، بالإضافة إلى وجود أسر أخرى تضم عدداً من الأفرع، واللغات مثل الأسرة الأدرالية والألتانية واللغات الأفريقية، والأسرات اللغوية في آسيا والمحيطات والعالم الجديد.

(محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة)

(محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة)

مراجع الدراسة:

١- روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض.

٢- محمد يوسف حبلص: من أسس علم اللغة.

٣- محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة.

٤- ـــــــــــــــ ، مدخل إلى علم اللغة.

علم اللغة في القرن العشرين

لم يظهر علم اللغة بصورته المتكاملة دفعة واحدة ، فقد ظهرت الإرهاصات الأولى على يد داويت ويتني، وجان بودوان دي كورتينيه ، أما الأول فهو لغوي أمريكي، كان من علماء السنسكريتية، وقد كان ركيزة من ركائز علم اللغة التي ارتكز عليها سوسير في آرائه فيما بعد، ومن أهم أفكاره أنه عدّ اللغة واقعة اجتماعية، وعلم اللغة ليس علماً طبيعياً بل تاريخياً، وقد نادى بضرورة دراسة اللغة بوصفها نظاماً من اختراع الإنسان، وأن الرغبة في الاتصال هي الأصل الذي يكمن فيه كل تاريخ الإنسان، وذكر أنَّ اللغة ليست قدرة أو ملكة أو نشاطاً مباشراً للفكروإنما نتاج غير مباشر لهذا الفكر، وأنّ اللغة أداة.

وقد استوعب ويتني أشكال الاتصال وأنظمته لكنّه حدَّ اللغة بقوله: "فإننا نقصد بذلك مجموعة الأصوات المنطوقة فقط".

أما دي كورتينيه فهو اللغوي الذي اكتشف الطبيعة اللغوية للفونيم ،وأدرك كون أصوات اللغة إنما تمارس وظيفة تمييزية، وأكد ضرورة التمييز بين الصوت الخام في الكلام أو ما يلفظه المتكلم حقاً، وشيء آخر هو الفونيم أي ما يظن المتكلم أنه يلفظه المستمع أنه يسمع، كما أوصى بضرورة إنشاء علم الأصوات النفسي، وقد كان على علاقة مع سوسير وقد التقيا في كثير من الأمور التي اتفقا عليها حول اللغة، فعدَّ كل منهما الفنولوجيا نقطة انطلاق للبحث اللغوي وأحد المبادىء الأساسية للمنهج.

أما النقلة النوعية في تاريخ علم اللغة فكانت على يد عالم اللغة فرديناند دي سوسير (١٨٥٧- ١٩١٣م) وكانت ملحوظاته اللغوية عبارة عن آراء نشرها بين مفكرات تلاميذه، جمعوها في كتاب "محاضرات في علم اللغة العام"، وقد استمر علم اللغة التاريخي بعد نشر كتاب دي سوسير، ولكن تلاه في الوجود علم اللغة الوصفي، فأخذت الموازنة تنقلب من البحث المقارن ما قبل تاريخ اللغات الهندية الأوروبية، إلى وصف اللغات المستقلة.

وفي أمريكا بوجه خاص اتجهت الدراسات الوصفية نحو اللغات المجهولة من المجموعة الهندية الأمريكية، مع اهتمام كبير بالنزول إلى حقل التجربة، وتطوير منهج عملي لدراسة اللغات غير المكتوبة التي لا تعرف ظروفها التاريخية، وكان من رواد هذا الحقل بوس وسابير وبلومفيلد.

أما في أوروبا فقد نحا هذا العلم منحىً فلسفياً على يد العالم يسبرسن (Jespersen) الذي حاول أن يضع الأسس التي تحكم تقدم اللغة، وفي تشيكوسلوفاكيا طورت مدرسة براغ اللغوية منهجها التركيبي شبه المتناسق الأجزاء، وفي كوبنهاجن عملت مدرستها اللغوية على محاولة التعبير عن اللغة والتطور اللغوي بسلسلة من المعادلات شبه الرياضية، وقد ركزت المدرسة السوفييتية على اللغة باعتبارها مرتبطة بالطبقة الاجتماعية، وفي الأعوام الأخيرة بذلت محاولات لإعادة كتابة التاريخ اللغوي على أساس من المقارنة الإحصائية لأوجه الخلاف والشبه بين المفردات.

(ماريوباي، أسس علم اللغة: ترجمة أحمد عمر مختار)

ولعل أظهر الفتوح في علم اللغة الحديث تمثّل في بزوغ مناهج البحث اللساني، فمنحت اللسانيات بعداً علمياً وموضوعياً.

الفصل الرابع

مناهج البحث اللساني

- المنهج المقارن
- المنهج التاريخي
- المنهج الوصفي
- المنهج التقابلي
- المنهج المعياري

مناهج البحث اللساني

تتيح اللسانيات للدارسين إمكانات منهجية متعددة لتناول الظواهر اللغوية وتصنيفها واستخلاص سماتها، فقد استقر الأمر مؤخراً على أن المناهج اللسانية الأبرز، هي:

١. المنهج المقارن
٢. المنهج التاريخي
٣. المنهج الوصفي
٤. المنهج التقابلي

- **المنهج المقارن**

ويختص بدراسة العلاقات التاريخية بين لغتين أو أكثر ضمن أسرة لغوية واحدة، وما يزال اللَّبْس بين المنهج المقارن والمنهج التاريخي، بالرغم من وجود فوارق واضحة بينهما، ومن هذه الفروق:

١. أن المنهج المقارن تاريخي في الأساس.
٢. أن المقارن متمم للعمل التاريخي أو هو الهدف من العمل التاريخي، فإذا كان المنهج التاريخي يتتبع الظاهرة المعينة من فترة زمنية إلى أخرى ويسجل ما أصابها أو وقع بها من تغيير ، فإن المنهج المقارن يقوم بالمقارنة بين هذه التغيرات وبين الأصل وما تفرع عنه .

ومن الجدير بالذكر أن نوضح أن علم اللغة المقارن إنما مجاله اللغات ذات الأصل الواحد كالإنكليزية والألمانية أو الهندية والإيرانية، وليس من شأنه أن يقارن بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة، كالمقارنة بين العربية والإنكليزية، لكنه لا يكتفي بالمقارنة بين اللغات ذات الأصل الواحد، في حين يتعدى ذلك إلى المقارنة بين اللهجات اللغة الواحدة في فترة زمنية محددة.

(يُنظر: كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد،
وإسماعيل عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، وكتاب تطبيقات في المناهج اللغوية)

وقد كانت البادرة الأولى لوجود هذا المنهج هو اكتشاف اللغة السنسكريتية ومقارنتها مقارنة بدائية مع اللغة اللاتينية، إذ اكتشف العلماء آنذاك أن لهاتين اللغتين أصلاً واحداً، ومن هنا انطلق البحث المقارن وتوسع حتى قارنوا بين اللغات الأوروبية كلها.

ويتناول علم اللغة المقارن النواحي المختلفة للغة ، فيتطرق للناحية الصوتية، فيبحث في الأصوات الموجودة في هذه اللغات محاولاً التوصل إلى قواعد مطَّردة تفسر التغييرات الصوتية التي طرأت على مدى الزمن، ويبحث كذلك في بناء الكلمة، فيدرس كل ما يتعلق بالأوزان والسوابق واللواحق ووظائفها المختلفة، ويبحث في بناء الجملة ، فيدرس الجمل الخبرية والفعلية والاسمية، ويقارن بين اللغات في هذا المجال .

كما يتناول هذا المنهج دراسة علم الدلالة ويسمى علم الدلالة المقارن، فيدرس كل ما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها، فهناك عدد من الكلمات السامية المشتركة، ومنها ما هو مكون من مواد مشتركة، وأهم جانب تطبيقي لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية في المعاجم ، وذلك برد المفردات إلى أصولها.

(محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة)

وقد أدى تطور الدرس المقارن إلى نشوء ما عرف بعلم اللغة المقارن الذي يمتاز بقواعد معينة، كما أدى التخصص في مقارنة فرع من فروع إحدى الأسر اللغوية المعروفة، إلى نشوء علم خاص به ، كعلم اللغات الجرمانية المقارن.

وهكذا يتبين أن دراسة العلاقات التاريخية في أي مجال كالأصوات والصرف والنحو والمعجم بين لغة وأخرى ضمن أسرة لغوية واحدة أو فرع معين من فروعها ، هي التي شكلت بعد تكاثر الأبحاث ووضوح الأسس ما عرف بالمنهج المقارن.

(إسماعيل عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، وأحمد قدور: مبادىء اللسانيات)

- **المنهج التاريخي**

ويختصّ هذا المنهج بدراسة التطور اللغوي عبر الزمن من خلال الوقوف على التطور الاجتماعي والثقافي والعلمي، وكل المعطيات المؤثرة في اللغة، ويسمى هذا المنهج

حسب تسمية دي سوسير بالمنهج الـدياكروني أو الـديناميكي أو التطـوري، ويهـدف إلى التعرف على ما أصاب اللغة من تغير.

(كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد)

فالبحوث التي ترصد توزع اللغة وانتشارها وتحولها إلى لهجات، أو التي تقـف علـى تحول اللغة الرسمية أو الفصحى إلى لغـة عالميـة نتيجـة الحـروب أو التوسـع الـسياسي، تنضوي جميعها تحت ما يدعى بعلم اللغة التاريخي.

كذلك تنضوي تحته الدراسات القطاعية المتخصـصة كدراسـة تطـور الأصـوات في اللغة المعيَّنة عبر الزمن أو دراسة تطـور بـاب نحـوي أو أسـلوب نحـوي كالاسـتفهام، أو دراسة تطور بناء أو صيغة صرفية من عصر إلى آخر، أو دراسة تطور معاني الكلمات من أقدم النصوص إلى أحدثها، كتطور معنى كلمة مجد حيث كانت تعـني قـديماً امـتلاء بطـن الناقة، لكن هذا المعنى ما لبث أن تطور من المادية إلى المعنوية فأصبح يعني الكرم، وهـذه النتيجة تم التوصل إليها من خلال إخضاع هذه المفردة إلى قواعد المنهج التاريخي.

(أحمد قدور: مبادىء اللسانيات)

وهذا يعني أن المنهج التاريخي يتناول جميـع مـستويات تحليـل اللـساني مـن صـرف وصوت ونحو ودلالة، لكن تناوله إياها يكون مرهوناً بتأثير العنصر الزماني على اللغة.

ولهذا المنهج دور هام وكبير في تأسيس المعجم التاريخي، وذلك المعجم الذي يعطـي تاريخ كل كلمة من كلمات اللغة الواحدة، ويؤرخ لها ابتداءً مـن أقـدم نـص وردت فيـه آخر نص استخدمها وتتبع دلالتها وتغير هذه الدلالة، كتطـور كلمـة (Thee) الـتي تعـني باللاتينية (هي) إلى كلمة (She).

وقد تمخض عن هذه الدراسـة التاريخيـة للألفـاظ في بريطانيـا، ظهـور أهـم معجـم تاريخي حتى يومنا هذا هو معجم أكسفورد التاريخي.

(محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة)

وليس من الجائز في نظر دي سوسير خلط الدراسة الوصفية بالدراسة التاريخية بحال من الأحوال، والمنهج الوصفي بالذات لا يجوز اعتماده على التاريخي، وإن كـان الأخـير

يعتمد في بعض وجوهه على الوصفي لأن الدراسة التاريخية بمعناها العام تعني سبقها بدراسة وصفية لكل فترة، ومعنى ذلك أن الوصفي لا يجوز أن يلجأ للتاريخي رغبة في تفسير الحاضر بالماضي.

(كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث)

فالمنهج التاريخي إذن، هو وسيلة لتأريخ اللغة وظواهرها، ورصد حياتها من عصر إلى آخر، وبيان مسار ما يطرأ عليها من تطور. (أحمد قدور: مبادىء اللسانيات)

- **المنهج الوصفي**

وهو المنهج الذي يتناول بالدرس العلمي كل الظواهر اللغوية بعد تحديد مجالها وزمانها وبيئتها، وهو منهج حديث نسبياً، إذ كانت الدراسات السابقة حتى أواخر القرن التاسع عشر تتسم بالتاريخية.

ولا بد في المنهج أن تجتمع فيه عدّة شروط حتى يكون وصفياً، فيجب أن يتوفر فيه:

أولاً: تحديد المجال، كأن يكون لغة فصيحة أو لهجة أو مستوى معيناً من مستويات الاستعمال؛ كمستوى الشعر أو الإعلام أو الصحافة.

ثانياً: تحديد الزمن؛ لأنَّ المنهج الوصفي يفترض أن هناك سكوناً ضمن مرحلة زمنية محددة، فيدرس الظواهر اللغوية في المرحلة الزمنية المقصودة من غير التفات إلى ارتباطها بغيرها عبر الزمن.

ثالثاً: تحديد البيئة التي تنتمي إليها الظواهر المدروسة.

(أحمد قدور: مبادىء اللسانيات)

ولم يكن المنهج الوصفي في بدايته مفصولاً عن المنهج التاريخي، حتى جاء اللغوي دي سوسير في أوائل القرن المنصرم، إذ فرق تفريقاً حاسماً بين الدراسات الوصفية والدراسات التاريخية، وسمَّى الأول باسم المنهج السنكروني، والثاني باسم الدياكروني، وحدّد أساس الأول بأمرين أحدهما: دراسة اللغة في فترة زمنية محددة، ومن ثمَّ سمَّى هذا الاتجاه بالاتجاه التزامني، وثانيهما كون الدراسة موجهة إلى لغة بعينها؛ وذلك بتسجيل خواصها كما تبدو في تراكيبها.

ولما انتقلت هذه الفكرة إلى بلاد أخرى سميت بالدراسات الوصفية على أساس أن هذا المنهج إنما يهتم بوصف الحقائق اللغوية وتسجيلها كما هي، دون التورّط في مناح عقلية أو نفسية، كما وسمّيَ هذا المنهج لاحقاً بالمنهج الاستاتيكي؛ لأنه ينظر إلى اللغة في فترة زمنية محددة تبدو وكما لو كانت ثابتة. (كمال بشر: التفكير اللغوي)

ويرى هذا المنهج أن ينبذ أي موقف معياري ينطلق من الخطأ والصواب؛ لأنه يفرق بين ما هو علمي وما هو تعليمي، فالدرس العلمي يتوسّل المنهج الوصفي، على حين أن الدرس التعليمي هو الذي يحتكم دوماً إلى قواعد الخطأ والصواب.

ولهذا المنهج كحال المناهج السابقة، مؤيدون ومعارضون، فمن مؤيديه العالم السويسري دي سوسير الذي عدَّ المنهج الوصفي هو المنهج الأصلح لدراسة اللغة والإحاطة بها من كل جوانبها، أما معارضوه فقد وجدوا حججاً قويّة استطاعوا وصفه من خلالها بالقصور، ومن تلك الحجج:

١. أنه لا يستطيع بيان الصحيح من غير الصحيح .
٢. ليس بمكنته حصر كل ظواهر اللغة لأنه يقنع بوصف ما تجمَّع لديه من مادّة.
٣. الأخذ به يؤدي إلى إيجاد قواعد مختلفة للغة الواحدة حسب اختلاف الفترات الزمانية.
٤. يوقع الدارس في إطار اللغة الواحدة بدلاً من اللغة الإنسانية في عمومها.

(كمال بشر: التفكير اللغوي)

- **المنهج التقابلي**

ويتناول هذا المنهج لغتين أو لهجتين أو مستويين من الكلام بالدرس العلمي للوصول إلى الفروق الموضوعية بين الطرفين اللذين تبنى عليهما الدراسة.

وهو منهج حديث نسبيّاً مقارنةً بالمناهج السابقة وقد تمخّض عن التراكم المعرفي الذي امتلكه الدارسون بشأن الدراسة اللغوية اللسانية ، وقد نشأ بعد الحرب العالمية الثانية بهدف التغلب على صعوبة تعلم اللغات لغير أبنائها ، ولذلك لا يشترط فيه أن يكون خاصاً بدراسة اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة.

(أحمد قدرو: مبادئ اللسانيات)

والصعوبة التي تواجه متعلم اللغة تكمن في الاختلافات الحاصلة بين اللغة الأم التي نشأ عليها الفرد، واللغة الوافدة أو الأجنبية التي يسعى إلى تعلمها في ما بعد مرحلة اكتساب اللغة، والاختلاف بين اللغة الأولى واللغة المنشودة، وتكمن الصعوبة في الأصوات التي توجد في اللغة المنشودة ولا توجد في اللغة الأولى تشكل صعوبة لا بدّ من تذليلها. (محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة)

وربما يقع شداة الدارسين بالخلط بين المنهج التقابلي الذي نحن بصدده، والمنهج المقارن؛ لذا نوضح الفروق بما يلي:

١. المنهج المقارن يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة، أما المنهج التقابلي فيدرس اللغات سواءً كانت من أسرة واحدة أو من أسر مختلفة.

٢. المنهج المقارن يقارن تاريخياً بالدرجة الأولى، أما التقابلي فيعتمد على المنهج الوصفي.

٣. المنهج المقارن هدفه تنظيري علمي، أما المنهج التقابلي فهدفه تطبيقي تعليمي.

وتقع المقابلة بين اللغتين المختلفتين على المستويات اللغوية المختلفة نحوية وصرفية وصوتية ودلالية، فيبحث في الأصوات ويقابلها بلغة أخرى، كما يدرس الأبواب النحوية والمستويات الكلامية من شعر وأدب ويقارن بين اللغات من خلال النتائج التي يتوصل إليها بعد البحث، ولا يقتصر البحث على دراسة اللغات المختلفة، إذ يمكن أيضاً أن يكون بين اللهجة المحلية واللغة الفصيحة المنشودة.

(محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة)
(إسماعيل عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية)

- **المنهج المعياري**

هذا المنهج ليس من المناهج التي أقرّها علم اللغة الحديث، فهو منهج تقليدي ويعد أقدم منهج اتّبع في دراسة اللغة، يهدف إلى تعليم القواعد، وملاحظة الخطأ والصواب من خلال استناده على أسس معينة تتضمن استخلاص مجموعة محددة من القواعد والقوانين، وجعلها نموذجاً أو معياراً ينبغي الأخذ به والسير على طريقه، ومن يخرج على هذا

النموذج أو المعيار دخل في دائرة الخطأ، فوظيفته في الأساس بيان الخطأ والصواب في اللغة، ومحاولة فرض قواعده على مستعملي اللغة، فهو بذلك يهدف إلى تقويم عُود اللغة وتعديل المعوّج منها، علَّه يحقق المثال اللغوي.

ومن هنا يتناقض هذا المنهج مع المنهج الوصفي الذي يقوم على توصيف اللغة دون اللجوء إلى بيان الخطأ والصواب منها، وهو كذلك يقوم على خليط من المبادىء والاتجاهات، فقد يلجأ إلى الوصف أو الفروض العقلية أو مسائل القياس المنطقي، فهو بذلك ليس منهجاً بحثياً، بل إنه منهج تعليمي صرف؛ لذا لم يعدُّه أغلب علماء اللسانيات من مناهج البحث اللساني. (كمال بشر: التفكير اللغوي)

وقد يتفرع عن هذه المناهج فروع لعلم اللغة ضمن إطار المنهج المتوسّل دراسة اللغة دراسة لسانية، وهذا يفسر لنا وجود علم اللغة الاجتماعي المقارن، إذ يدرس هذا العلم اللغة دراسة اجتماعية في البداية، ثم يقارن بين النتائج التي توصل إليها بين اللغتين من الأسرة الواحدة، وكذلك الحال في علم اللغة النفسي التقابلي، وبذلك يكون المنهج هو المعين الواسع الذي يسبح في أرجائه علم اللغة على اختلاف فروعه.

الفصل الخامس

فروع اللسانيات ومصطلحاتها

- اللسانيات النفسية
- اللسانيات الاجتماعية
- اللسانيات الجغرافية
- اللسانيات الإثنولوجية
- اللسانيات الأنثروبولوجية
- اللسانيات الحاسوبية
- اللسانيات السياسية
- اللسانيات التربوية

فروع اللسانيات ومصطلحاتها

تجمع الدراسات الحديثة على أن اللسانيات أو علم اللغة (Linguistics) علم كليّ يشمل كل دراسة للظواهر اللغوية ، وما يتصل بها من مناحي الاتصال بالعلوم الأخرى على اختلافها ، وتقسم العلوم الداخلية في اللسانيات عادة إلى قسمين كبيرين:

١. اللسانيات النظرية (Theoretical Linguistics)

٢. اللسانيات التطبيقية (Applied Linguistics)

وتضم اللسانيات النظرية علوم اللغة التي تعنى بالظواهر اللغوية وحدها، كعلم الأصوات، وعلم الصرف، والنحو، وعلم الدلالة، وينضوي تحت هذه العلوم علوم أخرى فرعية.

أما اللسانيات التطبيقية فتضم العلوم التي تطبق الدرس اللساني النظري، كتعليم اللغات القومية والأجنبية، وصناعة المعاجم، والترجمة، ومختبرات اللغة.

وما نقصده بعلم اللغة التطبيقي هو تطبيق نتائج المنهج اللغوي، وأساليبه الفنية في التحليل والبحث على ميدان غير لغوي، وقد كان مصطلح علم اللغة التطبيقي يستعمل كما لو كان مرادفاً لعبارة "تدريس اللغات الأجنبية".

إن التدريب المناسب في علم اللغة التطبيقي هو أن يكون الإنسان على معرفة واعية بالحقائق الأساسية حول لغة ما، من خلال اتصال بعضها ببعض، وفي إطار نظرية لغوية معينة، وهذا يعني كذلك أن يكون قادراً على اختيار هذه الحقائق وترتيبها طبقاً لبرنامج محدد، وأن يكون قادراً على جذب انتباه الدارس للفروق بين اللغة التي يعرفها فعلاً واللغة التي يحاول أن يتعلمها.

وقد تزايد الطلب على علم اللغة التطبيقي مؤخراً لإدراك الدارسين أهمية هذا الفرع في تبيان الفروق الجوهرية بين اللغات المختلفة أو المتفقة في أسره.

(دافيد كريستل: التعريف بعلم اللغة، ترجمة حلمي خليل)

ليس من شك أن علم اللغة النظري علم هام ويجدر بنا البحث فيه، لكنه لا يعدو أن يكون مادة أولية تستند إليها اللسانيات التطبيقية.

فقد قادت مناحي نشاط الإنسان اللغوية إلى إيجاد علم اللغة التطبيقي الذي تتسم كل جوانبه بالعملية أو الآلية أو الإجرائية، مثل :صناعة المعاجم، والترجمة، وإخضاع اللغة للآلة مثل الحاسوب ومختبرات تعليم اللغات، قومية أو أجنبية، ولهذا الفرع أهمية في تواصل الشعوب خصوصاً بعد الحربين العالميتين.

إن كل دراسة لغوية إما أن تكون نظرية أو تطبيقية، وقد يجتمع الأمران في العمل اللغوي الواحد، لكن التركيز في الأمر قد يكون أوضح، ومن البديهي أن كل دراسة تطبيقية مهما كان نوعها ترتكز على جانب نظري، والدراسة النظرية المتعمقة في النظر والتحليل دون الخضوع أو الدخول المباشر في الجانب التطبيقي لا تخلو بحال من الأحوال من السمة التطبيقية بصورة أو بأخرى ، فالرسائل مثلاً هي أعلى درجات البحث النظري أو الدراسة الأكاديمية الصرفة وهي ذات سمة تطبيقية أيضاً.

لكن علم اللغة التطبيقي ينفرد بالجوانب العملية الصرفة ، كالقيام بعملية الترجمة، والتعامل اللغوي مع الآلة والأجهزة الحاسوبية ونحوها.

وخلاصة القول إن علم اللغة التطبيقي ينتج عن ارتباط علم اللغة بعلوم أخرى مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس، والجغرافيا، والتربية، وعلم الأجناس، وقد تمخض عن هذا الارتباط لعلم اللغة بالعلوم الأخرى عدد من الفروع اللسانية، منها اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، والجغرافية، والعصبية، والتربوية، والأجناسية، بالإضافة إلى اللسانيات الرياضية والحاسوبية.

(محمد الخولي: معجم علم اللغة النظري)

وهذه الفروع الكثيرة بعضها مستقر معرفياً بعد كثرة الدراسات وتعدد مناحي التطبيق، على حين أن بعضها الآخر ليس كذلك لحداثته وعدم الاتفاق على حدوده، وتعد فروع اللسانيات الاجتماعية، والنفسية، والجغرافية أقدم الفروع وأوسعها انتشاراً، لارتباط علم اللغة بعلوم واسعة الانتشار كعلم الاجتماع والنفس والجغرافيا.

(أحمد قدور: مبادىء اللسانيات)

اللسانيات النفسية (Psycholingustics)

يمثل هذا العلم مجموعة من الأصول بعلم اللغة، وتركز عملها في البحث عن العلاقة بين المتكلم والكلام الذي يرسله، والعلاقة بين علم اللغة وعلم النفس قائمة عند أولئك الذين يفسرون الحقائق على أساس عقلي أو نفسي.

وقد تحددت ملامح هذا العلم في العقد السادس من الألفية الماضية، وكان من دوافع الاهتمام به ظهور اتجاهات جديدة في دراسة اللغة تتمثل في أفكار "تشومسكي" إذ يرى أن أهم شيء يمكن أن يقوم به علم اللغة ، هو دراسة العقل البشري ، وبذلك ينحو تشومسكي منحىً عقلياً في تفسير اللغة ، ويرى كذلك أن أفضل طريقة للنظر في علم اللغة حسبانه فرعاً من علم "النفس الإدراكي" .

ومن أهم نقاط البحث في علم اللغة النفسي، محاولة التعرف على كيفية اكتساب الطفل للغة ، وكيف يكتسب الألفاظ، ثم يحاول ربطها بمعانيها، وهذا ينسحب على الكبار أيضاً، إذ يحاول علم اللغة النفسي تفسير اختلاف الدال والمدلول بين اللغات من خلال إدراك البعد النفسي، ومن نقاط بحثه أيضاً محاولة التعرف على أسباب الاضطرابات اللغوية وما يتعلق بأمراض اللغة، وأسباب العيوب الكلامية والنطقية كالتأتأة واللجلجة ،ومحاولة تفسير هذه العيوب بإخضاعها إلى علم النفس، بالإضافة إلى البحث عن سبل علاجها.

(كمال بشر: التفكير اللغوي)

وربما يكون أول من لفت النظر إلى هذا المنهج هو العالم النفسي فرويد الذي اختطّ لنفسه منهجاً في تفسير الاضطرابات النفسية من خلال اللغة، وقام بتسمية عقده باسم شخصيات أدبية مثل (عقدة أوديب) و (عقدة بجماليون) .

وقد سار على منهجه تلاميذه حتى أصبح هذا المنهج منهجاً واسعاً في نقد النصوص، ولارتباط أطراف اللغة ببعضها، تأثر علم اللغة بهذا المنهج النقدي الجديد، مما أدى إلى بزوغ فجره، فأخذ العلماء يخضعون لدراسة مسوّدات الكتاب، وكتابات الأطفال

ويحاولون تفسير تأثير الجنس في اللغة، على اعتبار أن الأنثى تخضع لحصار الخطاب من قبل المجتمع الذكوري.

(صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر)

ومن هنا يمكن القول إن علم اللغة النفسي يدرس الموضوعات التي تعرض بصورة أو بأخرى لعلاقة اللغة بالفكر، أو الكيفية التي يتم فيها فهم السامع لما يسمع، وكيفية التخطيط من قبل المتكلم لنطق جملة تعبيراً عن أفكاره، وبعبارة أخرى ليست وظيفة علم اللغة النفسي الوصف أو التحليل العلمي للكلام، وإنما وظيفته الاهتمام بالعلاقات التي تربط بين الرسالات الكلامية والفرد.

(ينظر: داود عبده: دراسات في علم اللغة النفسي)

وقد كان هامبولدت شتاينهال الألماني منشىء المذهب النفسي اللساني، وقد ضرب مذهب هامبولدت بجذوره في اللسانيات الألمانية، وقد تبنى هذا العالم فكرة النفسي هربرت التي تقول: إن هناك نظاماً استدعائياً للروح البشرية، بمعنى أن الأفكار التي يثيرها انطباع خارجي تتطور تلقائياً الواحدة تلو الأخرى في العقل البشري، فجهد شتاينهال ليصف الحقائق النحوية من منطلق نفسي.

(ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics)

وهو علم يدرس اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع، أو هو الذي يحاول الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضح وتنظم السلوك اللغوي وسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع.

وهو فرع حديث الظهور نسبيّاً، إذ برز على الساحة العلمية أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، وقد اهتم به علماء اللغة والعلماء الاجتماعيون، وعلماء التربية، وقد كان هذا الفرع معروفاً قبل تلك الفترة لكنه لم يكن قد تحدد مصطلحه كما هو الآن.

ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية تعد الأوسع بين الظواهر الاجتماعية فإن دراستها جزء من علم الاجتماع العام، فدراسة اللغة من حيث الظروف الاجتماعية التي تؤدي فيها وظيفتها التي تتطور فيها في مجال الدراسة العلمية الاجتماعية.

(هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد)

وقد كان علماء اللغة يسعون إلى بيان العلاقة التبادلية في التأثر والتأثير، فقد درجوا على تناول قضايا عديدة مثل وظيفة اللغة في المجتمع، وتنوع اللغة إلى لهجات أو أنماط من الكلام بحسب البيئة أو الثقافة أو الحرفة أو الصنعة، وبعد التعمق في هذه الدراسات، ولد هذا العلم من رحم علم اللغة والاجتماع.

وربما من أكثر الموضوعات رواجاً في عصرنا الحالي، فكرة مستويات الخطاب ومستويات المخاطبين الاجتماعية ،إذ يؤثر المستوى الاجتماعي للمخاطب في لغة الخطاب، فخطاب الساسة يختلف عن خطاب الرعية، وخطاب الرجل يختلف عن خطاب المرأة؛ لذا نجد الكثير من المؤلفات التي وضعت لتبين نقطة الافتراق بين الرجل والمرأة من خلال اختلاف اللغة، إذ تظهر لغة الرجل قوية جريئة حرة، في الوقت الذي تبدو لغة المرأة لينة، وأحياناً تطل برأسها على استحياء وخجل يعوقها عن التأثير في متلقي الرسالة.

(عيسى برهومة: اللغة والجنس)

وقد ثارت تساؤلات عدة عن إمكانية وجود حدود فاصلة بين علم اللغة والاجتماع، فانقسم الباحثون في هذا الإطار إلى قسمين:

الأول يرى أن علم ينحصر في البحث في اللغة وبنيتها وخواصها التركيبية، دون الالتفات إلى السياق الاجتماعي، ثم يأتي علم الاجتماع فينظر في تلك القواعد والقوانين التي لها ارتباط بالمجتمع، وهذه هي نظرية المدرسة التركيبية (البنيوية) والمدرسة النفسية، ومن دعاتها رائد المدرسة التحويلية (ناحوم تشومسكي).

أما الرأي الآخر فيرى أصحابه أن دراسة اللغة دون الإشارة إلى المجتمع نظرة غير الدقيقة، وذلك لأننا لا يمكن أن نتكلم عن لغة معينة في فراغ، فهي ظاهرة اجتماعية،

ولأن الكلام له وظيفة اجتماعية فهو وسيلة الاتصال، ومن أنصار هذا الرأي "فيرث"، ومدرسته اللغوية اللندنية، كما يميل له هدسون.

ولا بد من الإشارة إلى أن علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي ليسا شيئا واحداً وذلك يظهر من خلال الاهتمام بجانب دون الآخر، فالأول يهتم باللغة في الإطار الاجتماعي، والثاني يهتم بالناحية الاجتماعية في حياض اللغة.

ومن جذور هذا العلم عند العرب، أنهم لاحظوا الارتباط الوشيجي بين اللغة والبيئة، فلاحظوا اختلاف الصيغ اللغوية باختلاف البيئات الجغرافية والثقافية، ولاحظوا أن هناك لغة مشتركة تفرضها العلائق الاجتماعية، وأن هناك لهجات محلية مختلفة بحسب المناخ اللغوي لكل جماعة من الناس.

وقد ظهر هذا في كتاب سيبويه وبعض علماء اللغة والنحو القدامى، كما ظهر هذا الأمر في كتب الأدب أمثال كتاب الجاحظ وابن خلدون الذي توصل إلى وعي ثاقب لمعنى التغير والتنوع اللغوي بتفرع البيئات الاجتماعية، وقد كان العرب يقولون دائماً: "لكل مقام مقال" وهذا يدل على وجود باعث اجتماعي يحرك اللغة وسلوك أصحابها نحوها. (ينظر: هادي نهر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب)

أما حديثاً فقد اهتم علم اللغة الاجتماعي بعرض الاختلافات بين اللغات باختلاف المجتمعات وتنوع اللهجات، كما ينظر في أساليب هذا التنوع على أساس من الفروق الاجتماعية، كما يبحث عن لغة مشتركة صالحة للتفاهم بين جميع طبقات المجتمع.

اللسانيات الجغرافية (Geographical Linguisics)

وهو العلم الذي يهتم بدراسة التغيرات اللغوية في إطار غير زماني؛ أي أنه يهتم بالأبعاد الجغرافية المكانية للظواهر اللغوية في لهجات اللغة المعينة دون النظر في العوامل التاريخية لهذه التغيرات.

كما يهتم بصناعة الأطالس اللغوية لبيان التوزيع الجغرافي لهذه الظواهر، وبالإضافة إلى اهتمامه بالأبعاد الجغرافية يأخذ علم اللغة الجغرافي في الحسبان أبعاداً أخرى كالعوامل

الثقافية والحِرْفيّة، وعند ذاك تسمى اللغة باللهجات الاجتماعية الناتجة عن تفاعل الأبعاد الجغرافية بالأبعاد الأخرى.

(ينظر: سامي عيّاد حنا وآخرون: معجم اللسانيات الحديثة)

وتعد الاختلافات اللهجية شيئاً طبيعياً، فوجود اللهجات راجع إلى الميل الطبيعي للغة نحو البعد عن المركز، وعلم اللغة الجغرافي ينظر إلى هذه الخلافات في ضوء لغة اليوم، ومدى تأثيرها على صورة الكرة الأرضية، وإن علم اللغة الجغرافي لابد أن يأخذ في اعتباره المستويين الاجتماعي والثقافي للكلام إذ أصبحا مهمين في نظر الاتصال والتفاهم.

(ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة، أحمد مختار عمر)

ومعنى هذا أن علم اللغة الجغرافي يشبه علم اللهجات وربما يكون هو نفسه، لكن ثمة فروقاً بسيطة بين العلمين، ذلك أن علم اللغة الجغرافي يدرس التغيرات في إطار الأبعاد الجغرافية، أما علم اللهجات فيهتم بعلاقة التغير اللغوي بالمجتمع، كما أن الأول وضع القوانين والنظم لهذه التغيرات من منطلق جغرافي، أما الثاني فيكتفي بالنظر في علاقة التغيرات بالمجموعات اللغوية دون محاولته وضع قوانين له.

(كمال بشر: التفكير اللغوي، أحمد ياغي: الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب)

ومن الموضوعات الأساسية لعلم اللغة الجغرافي، تبيُّن عدد المتكلمين بكل لغة من اللغات وتوزيع هذه اللغات جغرافياً، ومن هنا فإن علم اللغة الجغرافي يمكن أن يسير خطوة إلى الأمام نحو ربط اللغات بالعوامل الاقتصادية والسياسية وغيرها، ويكوّن تقديرات لمدى الأهمية الفعلية لكل لغة واستعمالاتها التي يمكن أن توضع فيها ، وهذا يدل على أن الأداة الأساسية لهذا العلم هي التعداد السكاني واللغوي.

وقد أقيمت أبحاث كثيرة حول قيمة المكان في توجيه اللغة، فعلى سبيل المثال منطقة البادية في الأردن يسلك أهلها سلوكاً لغوياً يختلف عن أهل المدينة، لا بل وتختلف لغة أهل المدينة الواحدة تبعاً لاختلاف المكان، فأبناء مدن الشمال تختلف لغتهم عن لغة مدن الجنوب، كما تختلف لغة منطقة عبدون عن لغة الهاشمي الجنوبي في الأردن.

كما يندرج تحت موضوعات علم اللغة الجغرافي التقارير التعليمية، حيث يقدم هـذا العلم تقديراً جغرافياً عن عدد الـذين درسـوا لغـات أجنبيـة بالإضـافة إلى اللغـة الأولى، ويعطي نسبة مئوية لعدد هؤلاء السكان، ومدى الجدية في التعلم ، ومقدار الإتقان، ومـن اهتماماته أيضاً معرفة الهدف الذي يرمي إليه أي برنامج لغوي تعليمي بالنسبة للدارسين.
(ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر)

اللسانيات الإثنولوجية (Ethno linguistics)

ويدعى علم اللغة الإثنولوجي بعلم اللغة العرقي، أو السلالي، وهو علـم حـديث العهد نسبياً، ويعنى بدراسة الصلة بـين اللغـة والثقافـة بغيـة الوصـول إلى فهـم حقيقـي للمجتمعات الخاضعة للدراسة، فهو يدرس اللغة على أنها تعبِّر عن الـسلالة أو الجـنس من البشر، فهو ضرب من البحث يربط علم اللغة بعلم السلالات بحيث يفيد كل منهمـا من الآخر فائدة تبادلية.

وعلى سبيل المثال يدرس هذا العلم أثر الجـنس الآري في اللغـة وحجـم الـتغيرات التي طرأت على اللغة بفعل اعتباره هذا الجنس جنسا راقيا – كما يزعم المنتمـون إليـه–، في المقابل يدرس هذا العلم أثر اعتبار الجنس الأفريقي (السود) جنساً (وضيعاً) في اللغـة وهل أدى هذا الأمر إلى انحطاط اللغـة أم إلى رقيهـا، أم أنـه أدى اسـتقرارها في مـستوى واحد.

اللسانيات الأنثروبولوجية (Anthropological Linguistics)

علم يـربط اللغـة والخـصائص الإنـسانية في عمومهـا ، أي الخـصائص البيولوجيـة والثقافية بالمعنى الواسع للنوع البشري، عبر الأزمنة والأمكنة، فهو يُعنى بدراسة التفاعل القائم بين اللغة والإنسان نفسه بجوانبه العضوية والثقافية، وهو علم عـام يهـتم بدراسـة اللغة الإنسانية بعمومها لا بخصوصها.

ويرتبط هذا العلم بعلم اللغة الإثنولوجي ارتباطاً وثيقاً لاشتراكهما في التركيز على الصلة بين اللغة والثقافة ، واشتراكهما بالنظر في لغات المجتمع البدائي التي ليس لها نظـام كتابي أو إنتاج أدبي .

ولعل العلاقة بين اللغة والثقافة كانت من أهم الموضوعات التي نالت اهتمام علماء اللغة الأنثروبولوجيين، ومجال الأنثروبولوجيا هو دراسة المجتمعات والثقافة لكشف عن سلوكيات الناس المتأثرة بالأشكال الثقافية المختلفة، فالثقافة في نظرهم أسلوب حياة.

ومن هنا فإن للغة مكاناً بارزاً في الدرس الثقافي، إلى جانب كونها وعاء للمعرفة والفكر والثقافة، فهي أيضاً مرآة لثقافة المجتمع، في حين تؤدي الثقافة واللغة دوراً مهماً في تكوين المجتمعات الإنسانية أو المجتمعات العرقية المتميزة.

(محمد علي الخولي:معجم علم اللغة التطبيقي)

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى التوجه إلى دراسة علم الأنثروبولوجي هي:

١- مشكلة السكان متعددي العناصر الذين يتكلمون لغات مختلفة الفضل في التنبيه على الاهتمام بتقنية الترجمة.

٢- اهتمام اللسانيين الأمريكيين نحو الظواهر الأنثروبولوجية، فقد كان اتصالهم باللغات الهندية الأمريكية.

وكانت بدايات اللسانيات الأنثروبولوجية بإعمال بوواز وسابير وتلميذه بنيامين لي وورف، الذين كان لهم دور كبير في تطور الأفكار الأنثروبولوجية في اللسانيات.

(كمال بشر: التفكير اللغوي)

اللسانيات الحاسوبية (Computational Linguistics)

علم اللغة الحاسوبي أو اللسانيات الحاسوبية؛ اسمان لعلم واحد حديث يختلف عن علمي (الحاسوب) و(اللسانيات) بشكلهما المستقل، نشأ لتمكين الحاسوب من استخدام اللغة لمخاطبة مستخدمه وتوسيع آفاق الاستخدام من جهة، وخدمة اللغة باستخدام تقنية الحاسوب من جهة أخرى.

ويحاول علم اللغة الحاسوبي استكناه بنية اللغة على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، فهو من هذه الناحية علم لغوي، وهو من ناحية أخرى علم حاسوبي تطبيقي من حيث البحث في إمكان معالجة هذه اللغة آلياً وفق البنية اللغوية، إذ يحاول هذا العلم تشكيل بنية حاسوبية افتراضية للّغة، من خلال محاولة فهم الكيفية التي

يتحدث بها الناطق العاقل للغة، أي الإنسان، ومن ثم يعمل على محاكاته ضمن محددات الحاسوب التي تتطلب تعريف القواعد والمفردات، وتوصيفها للمعالج الإلكتروني بشكل دقيق، وذلك لخلوه من ميزة العقل التي يمتاز بها الناطق العاقل، ونجاح هذا العلم في أداء مهمته يؤدي بالنتيجة إلى إمكان معالجة اللغة قيد البحث آلياً، ويفتح الآفاق أمام تطبيقات واسعة وضرورية تجعل من هذا الاستخدام الآلي ميزة لهذه اللغة وللناطقين بها.

ومن هذه التطبيقات على سبيل المثال لا الحصر الترجمة و تشمل ترجمة المفردات والجمل والنصوص، ومن هذه التطبيقات تعليم اللغة عن بعد، وهذه التطبيقات وغيرها استخدامات لا تخفى أهميتها للناطقين باللغة كافة، لا للدارسين علومها فقط، ولعل هذا ما يكسب علم اللغة الحاسوبي أهمية بالغة في وقت أصبح فيه الحاسوب أداة يوصف من لا يستخدمها بـ"الأمية".

ما بين (العربية والحاسوب) و (علم اللغة والحاسوب)

نرمي من موضوع (العربية والحاسوب) إلى ما تفيده اللغة العربية من الحاسوب، وكيف بإمكانه أن يخدمها، وفي هذا المقام لا يمكن لنا أن ننكر التقصير الكبير في حسن توظيف الحاسوب لخدمة اللغة العربية بجميع مستوياتها (صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية)، ونمثل على ذلك بعدم وجود برنامج يخدم الأصوات العربية،-خصوصا- ويبين مخارجها وكيفية نطقها، والتقصير في هذا الجانب الكبير، وهو عائد لأبناء اللغة ونابع من ركودهم في خدمة لغتهم.

أما (علم اللغة والحاسوب) فإننا نلاحظ أن الحديث في هذا المجال يعنى بعلم اللغة العام، وكيف يمكن للحاسوب أن يعين عالم اللغة أو اللساني في جمع البيانات والوصف والتحليل للوصول إلى مبتغاه.

والاسم العلمي لكلا المبحثين السابقين يدل على أنهما يفيدان من الحاسوب بوصفه آلة أو أداة لها قدرة فائقة على التخزين والتحليل والتنظيم، فقد أمكن لقرون أن تتم خدمة علم اللغة دون استخدام الحاسوب، لكن استخدامه في الوقت الحالي يفتح آفاقاً لم يكن من الممكن الوصول إليها دونه.

ونتجت اللسانيات الحاسوبية عن امتزاج: (علم اللغة) و(علم الحاسوب)، ولعلنا نلاحظ أن كلا العلمين جديد، وبإمكاننا أن نحدد سمات كل منهما على حدة- في القرن العشرين، فكيف بعلم اللغة الحاسوبي الذي ما يزال يعيش في بدايات عقده الرابع.

ويهدف علم اللغة الحاسوبي إلى "إيجاد الوسائل التي تمكننا من العلاج الآلي للكلام من جميع نواحيه ولشتى الأغراض، منها بناء قاعدة المعطيات ؛وهي الأنماط اللغوية الرياضية التي يضعها ويحررها وينقحها المهندس واللغوي معاً".

"وتعد تقنيات المعالجة الآلية للغات هي البناء التحتي (baik inforatructure) الواجب توفيره، حيث يتم فوقها بناء التطبيقات الأخرى كافة، ولا تقف تقنيات المعالجة الآلية حاليا عند حد إدخال البيانات والمعلومات واستخراجها (input/output)، بل تمتد إلى التطبيقات اللغوية التخصصية من تدقيق إملائي (pelling checking) ونحوي (grammar checking) وتحليل صرفي (morphological analysis) وترجمة آلية (machine translation)، وكذلك تقنيات التعرف الضوئي على الكتابات الآلية واليدوية وتمييز الحديث وقراءة النصوص، وما إلى ذلك من تقنيات أساسية".

من يقوم بالعمل؟

وبما أن العلم بَيْني، فبالتأكيد لن يقوم بأبحاثه عالم اللغة وحده أو عالم الحاسوب وحده، ولنا أن نتخيل نتائج الأبحاث المرجوة من عالم حاسوب لا يعرف من علوم اللغة إلا المبادئ العامة التي تلقاها في مراحله المدرسية، أو من عالم لغة لا يفقه من الحاسوب إلا وظيفته!! فإنشاء قاعدة لغوية حاسوبية يتطلب الاهتمام بتكامل هذين العلمين وبتضافر جهود علمائهما، بل وبإلمام كل منهما بجزء من علم الآخر، على ألا يطغى أحدهما على الآخر.

مفهوم اللسانيات الحاسوبية

يسير علم اللغة الحاسوبي في مسارين: أولهما محاكاة التفكير الإنساني، وذلك بدراسة النظريات المرتبطة بالمعرفة التي يحتاجها الإنسان لإنتاج اللغة وفهمها، ويعد هذا علما نظريا يحاول العلماء فيه بناء نظام حاسوبي قادر على فهم اللغة الإنسانية وكيفية

إنتاجها، تماماً كما يفعل البشر. ثانيهما: محاكاة الأداء البشري، وهو الثمرة التطبيقية التي يسعى علم اللغة الحاسوبي للوصول إليها؛ ولقد ركزت هذه التطبيقات على مجالات لغوية محددة، وتجزئتها إلى أجزاء صغيرة (الصوتية، الصرفية، النحوية... الخ).

الوصف والتوصيف والحَدْس اللغوي

لنتفق بداية على أن علم اللغة الحاسوبي يهدف إلى إيجاد قاعدة بيانات لغوية رياضية، أي معالجة اللغة آلياً، وبالتالي الطموح لتمثيل اللغة في الحاسوب. وتمثيل اللغة لا يتم فقط بكثافة المعلومات اللغوية وكثرتها، فنحن لا نريد تلقين الحاسوب وإنما نحن بحاجة إلى إعطائه شيئاً يشبه الملَكَة البشرية في التمييز الدقيق لما يجوز وما لا يجوز في اللغة.

ولتوضيح الحديث السابق نقول: يبدأ الإنسان بتعلم اللغة من طفولته، ويزداد علمه بها خلال مروره بمراحله العمرية المختلفة، ليصل إلى مرحلة النضج اللغوي، ويكون بهذا متقناً للغة، وليس الإتقان بالمعرفة القواعدية فحسب- بالرغم من ضرورتها- بل بالقدرة العقلية التي تؤهل صاحبها لاكتساب اللغة، ولامتلاكه حَدْساً يستطيع من خلاله معرفة الصواب. فعندما نقول مثلاً: قرأ الكتابَ الطفلُ، يستطيع ابن اللغة أن يميز أن الطفل هو الفاعل بالرغم من تأخره، وعندما نقول: فكر القلم، فإن ابن اللغة يحكم على هذه الجملة بعدم المعقولية ومجافاة الصواب، كما أنه أيضاً يستطيع تمييز الأجنبي الذي يحاول تعلم لغته وذلك لعدم اكتمال الحدس اللغوي لهذا الأجنبي وعدم إتقانه للبنية العامة للغة المتعلَّمة. ونحن حين نعلم ابن لغة ما - قواعد لغته فإننا فعلياً نقوم بوصفها له وببيان علاقاتها الظاهرة، وبحكم حدسه يستطيع أن يبني كلاماً وفق تلك القواعد، وبإمكانه إقامة علاقات ذهنية تمكنه من الاستخدام الصحيح للغة.

لقد تم إيراد ما سبق للوصول إلى نتيجة هامة وهي أن الحاسوب لا يمتلك عقلاً ولا حدساً، ولذا فإن علم اللغة الحاسوبي يحتاج إلى أن يعتمد تماماً على التوصيف الذي يُقصد منه إكساب هذه الآلة بديلاً عن الحدس البشري في محاولة لإكمال البنية اللغوية عندها.

كيف يتم التوصيف؟

يحتاج التوصيف إلى أن يُستودَع الحاسوب المعطيات والقواعد التي يختزنها العقل الإنساني لتتحقق له بها الكفاية اللغوية، ويتم ذلك بتصميم منهجي يقوم باستقراء وتفصيل ما يعرض من قضايا لكل مستوى من مستويات اللغة الواحدة.

ولو بحثنا عن تطبيقات للتوصيف في اللغة العربية فلا بد من الوقوف عند تجربة الدكتور نهاد الموسى في كتابه (العربية: نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية)، ذلك أنه قام بتوصيف عدد من مستويات العربية ؛ فعمد إلى توصيف المستوى (النَّظْمي) للغة، والذي يعد البنية الأولى لها؛ فالعربية في تركيبها الجملي تُقسم إلى اسمية وفعلية، فإذا أردنا توصيف الجملة الاسمية فإننا نقوم بتوصيف المبتدأ والخبر، ولتوصيف المبتدأ نقوم بجمع الحالات التي يأتي عليها المبتدأ، ومواقعه وغيرها من الأمور التي تتعلق به. وكذلك نفعل بالخبر. وإذا ما ذهبنا إلى الجملة الفعلية فإننا نتناول في توصيفها الفعل اللازم والمتعدي وحالات تأخر الخبر وغيره من الأمور النَّظْمية.

وكذلك في توصيف المستوى الإعرابي فإننا نبتدئ بالاسم وأنواعه: من اسم موصول، أو ممنوع من الصرف، أو مثنى، أو جمع، وغيرها. وفي كل مبحث من تلك المباحث يتم استقراء جميع الوجوه التي يأتي عليها وحالاتها الإعرابية وهكذا دواليك.

ومن ثم نأتي لتوصيف البنية (المستوى الصرفي) وفيه يتم استقراء الصيغ الصرفية لكل من الاسم والفعل، فالفعل مثلاً منه الماضي والمضارع والأمر واللازم والمتعدي وغيرها من التقسيمات، وكذلك الحال في الاسم، فلدينا اسم فاعل واسم مفعول، ومن الألفاظ ما هو ثلاثي ورباعي وخماسي، ويستمر العمل هكذا حتى يتم جمع كل ما يتعلق باللغة بجميع مستوياتها وبكل ما يمكن أن يتعلق بها لتشكيل الأساس النظري أو البنية اللغوية في الحاسوب.

وهكذا يتم توصيف الجانب النحوي والدلالي.

ومن أمثلة التوصيف أيضاً:

توصيف المنطوق: وهو مجال من مجالات التوصيف الحديثة، ولتوصيف المنطوق مثلاً لسنا بحاجة إلى توصيف أصوات اللغة ومخارجها وصفاتها فقط، بل نحن بحاجة للاهتمام بتلك العلاقات التبادلية بين الأصوات عندما تتجاور في الألفاظ وذلك وفق القواعد (الفونولوجية) في علم الأصوات، كما نحتاج إلى توظيف علم الأصوات (الأكوستيكي) أو الفيزيائي، وما تنتجه مختبراته في رسم الصوت ومعرفة معالم اللفظة المسموعة لما هو منطوق مما تحتاجه من وقت لنطقها، وشدتها، ومقدار ترددها،... ويعد هذا توصيفاً للأصوات المفردة، أما الأصوات في السياقات المختلفة فتتعرض لتغيرات متنوعة تعود للتأثير الرجعي والتقدمي لبعضها البعض، وهذا يتطلب جهداً إضافياً لدقة التوصيف.

توصيف المعجم: إن لتوصيف المعجم أهمية بالغة لدى اللسانيين الحاسوبيين، ذلك أن توصيف النظم السابقة لا يتم إلا بوجود المعجم، ولكن هذا المعجم ليس كالمعاجم التقليدية، بل إنه على نحو من الدقة والتفصيل لجوانب كل لفظة مودعة فيه، فعلينا أن نزوده بنسق من البيانات الدلالية والتفصيلية التي لا يحتاجها ناطق اللغة لمعرفته إياها بالفطرة والخبرة، فمن ذلك عندما نذكر له لفظة (إنسان) علينا أن نزوده بماهيته، وأنه كائن حي يفكر ويشعر ويتكيف...، وهذا التوصيف دعا إلى نشأة (النحو المعجمي الوظيفي) لتحديد سلوك الكلمة في الجملة.

ويحتاج المعجم إلى بيانات إضافية في جميع المستويات: الصوتية والصرفية والنظمية والإعرابية والسياقية، فمعنى الكلمة يأتي من امتزاج المستويات السابقة، ولعل هذا التوصيف للمعجم يمكنه من تلقي ألفاظ وابتكارها لم تعرض له قبل ذلك (كما الحال عند ابن اللغة باشتقاق لفظة لم يسمعها قبل ذلك، أو كأن يفهم معنى كلمة يسمعها لأول مرة). وهكذا فإن لإنشاء المعجم الدلالي طريقة منهجية في ترتيب المواد وتأصيلها واستيعاب أطوارها في الدلالة عبر الزمن، وطريقة منهجية في توصيفها من الناحية الصوتية والصرفية والإعرابية والدلالية، وهذا يحتاج إلى جهد عظيم لإتمام هذا العمل.

وهذا نموذج مبدئي لتوصيف(الفاعل) مفـردا، دون الخـوض في غمـار توصـيفه في جملة:

الحالة(شكله)	المثال
١- يأتي الفاعل مفردا :	جاء الطالبُ
٢- يأتي الفاعل مثنى :	جاء الطالبان
٣- يأتي الفاعل جمع مذكر سالماً	جاء المعلمون
٤- يأتي الفاعل جمع مؤنث سالماً	جاءت المعلمات
٥- يأتي الفاعل من الأسماء الخمسة	جاء أبو الطالب
٦- يأتي الفاعل اسم إشارة	نام هذا الطفل
٧- يأتي الفاعل اسماً موصولاً	حضر الذي غاب
٨- // // // عَلَماً	نجح محمدٌ
٩- // // // ضميراً منفصلاً	تعلّم هو الكتابة
١٠- // // // ضميراً متصلاً	تعلمت الكتابة
١١- // // // ضميراً مستتراً	أخي جاء ....
١٢- // // // مصدراً مؤولاً	سرني أن تجتمعوا (اجتماعكم)
١٣- يأتي الفاعل اسم استفهام	من يكتب؟
١٤- // // اسماً معطوفاً	ذهب محمد و أخوه

حالاته الإعرابية	المثال
* يأتي الفاعل مرفوعا علامة رفعه تنوين الضم	اكتمل كتاب
* // // // // // // الضمة الظاهرة	درس الولد
* // // // // // // // المقدرة	درس مصطفى
* // // // // // // الواو	جاء أبو الطالب
* // // // // // // الألف	جاء والدا الطالب

الجانب التطبيقي

اللسانيات الحاسوبية علم تطبيقي ابتداءً، ولم تكن المقدمات النظرية التي سقناها آنفاً إلا لمعرفة الآلية التي توصلنا إلى التطبيق، ومن هذه التطبيقات:

أولاً: تعليم اللغة عن بعد: وتعليم اللغة عن بعد من المباحث الهامة لعلم اللسانيات الحاسوبية، إذ يمكن إذا اجتمع كل من (دقة التوصيف لجميع مستويات اللغة وحسن تعاون كل من اللغوي وعالم الحاسوب، إضافة لحسن تنسيق المادة اللغوية وتنظيمها) أن تكون طريقة تربوية ناجحة في التعليم، ذلك أنها تمتاز عن الطرق التقليدية في التعليم بكونها ذات خزينة معرفية واسعة وشاملة، وبإمكانها أن تعالج مستويات اللغة جميعها مرفقة بالصوت والصورة ومشاركة الطالب، و يمكن للحاسوب إن استطعنا إكسابه الملكة الحَدْسيَّة أن يتفاعل مع الطالب و يمثل له اللغة بشكلها الصحيح.

ثانياً:الترجمة الآلية :إن الترجمة الآلية من أهم استخدامات الحاسوب، ويسهم علم اللغة الحاسوبي بدور كبير في هذا المجال التطبيقي، فعملية الترجمة الآلية تكتمل في ثلاث خطوات:

١-استقبال النص الأصلي وتخزين كلماته، وفي هذه المرحلة تُقسم الكلمات إلى مكوناتها (بنية أصلية وسوابق ولواحق)، وتحديد نوع الكلمة (اسم وفعل وحرف)، ومعلومات عن الكلمة من حيث القواعد.

٢-تحليل النص المراد ترجمته، وعادةً ما يتم التحليل جملة جملة، فيحاول الحاسوب بناء تصور يتفق مع قواعد اللغة لكل جملة من جمل النص، ويتم هذا بمسح الكلمات بالترتيب والبحث عن مدى مواءمتها للمعلومات التي لديه لاتخاذ التركيب البنائي المناسب للجمل التي تتضمن هذه الكلمات،مع الإشارة إلى أننا لا نريد سرد المفردات المترجمة فقط بل إدراجها وفق العلائق الدلالية لمضمون النص المترجم .

٣-ترجمة كل جملة إلى اللغة الهدف ويتم هذا بالعودة إلى المعجم، وهنا تكتمل عمليات ترتيب الكلمات وتعديلها وإضافة النهايات إليها.

ولعل دقة الخطوات الثلاثة السابقة تعتمد على مدى دقة توصيف البيانات في المجالات كافة، ابتداءً بحسن توصيف المعجم وانتهاءً بآخر علوم الصوتيات.

ولو تناولنا اللغة العربية مثالاً للترجمة الآلية فإننا نجد لها عدداً من المشاكل التي تجعل من الترجمة أمراً صعباً، منها مشكلة الموضعية: وهي التغيير في الترتيب النموذجي للجملة (فعل، فاعل، مفعول به) لتصبح (فاعل، فعل، مفعول به) أو (مفعول به، فعل، فاعل). فلهذا التغيير أثر في دقة ترجمة الجملة؛ فمثلاً عندما يتقدم الفعل فإنه يتفق مع الفاعل في التذكير والتأنيث فقط، ولكنه عندما يليه ويطابقه في التذكير والتأنيث والعدد، وهذه الأخيرة لها ميادين متنوعة، ذلك أن صيغ العدد في العربية تنقسم إلى: مفرد ومثنى وجمع. وهنا ندخل إلى دائرة جديدة تتمثل في قواعد العدد وأحكامه، وهكذا نسير من قاعدة إلى قاعدة ومن حكم إلى آخر، لتكتمل دائرة تكوين بنية اللغة العربية، والتي تعتمد على حسن التوصيف لضمان حسن الترجمة.

وهكذا فإن علم اللغة الحاسوبي من العلوم الحديثة التي لا غنى لنا عنها في هذا العصر (عصر المعلوماتية و التقنيات الحديثة)، وهو علم في تطور دائم ومواكبة مستمرة للمستجدات كافة، سواء على الصعيد اللغوي أو الحاسوبي.

مراجع الدراسة في موضوع اللسانيات الحاسوبية

١- طحان، ريمون، طحان، دنيز بيطار: اللغة العربية وتحديات العصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

٢- الموسى، نهاد: العربية، نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٣- الفارع، شحدة، وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٠.

٤- العناتي، وليد: اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجوهرة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٣.

٥- تقدُّم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية – أبريل ١٩٨٧ – الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٦- وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي، دار الرازي للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

٧- الموسم الثقافي التاسع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١.

فروع قليلة الانتشار في اللسانيات

اللسانيات السياسية (Instituional Linguistics)

ومهمة هذا العلم السعي وراء دعم اللغة المشتركة وتقويتها قصداً إلى توحيدها وتخليصها من شوائب الغربة واللهجات ، وهو يسلك الطريق نفسه في سبيل توحيد نظام الكتابة في البيئات ذات اللغات المختلفة .

وقد يمتد اهتمام هذا الفرع إلى دراسة الخطب والأحاديث السياسية التي تلقى في المحافل الرسمية وغير الرسمية؛ للتعرف على خواصها واتجاهاتها اللغوية في التعبير ، لكي نتبين اختلاف الأساليب بين النخب السياسية.

ولهذا العلم خيط شفيف يربطه باللسانيات الاجتماعية، فاختلاف المستوى الاجتماعي يؤدي إلى اختلاف اللغة المستخدمة لكل مستوى اجتماعي، والسياسيون عبارة عن طبقة اجتماعية أو شريحة من الشرائح الفاعلة التي يتميز الخطاب فيها بالقوة والفاعلية؛ لذا يرتبط باللسانيات الاجتماعية .

اللسانيات التربوية (Educational Linguistics)

وهذا العلم في الواقع بدعة من بدع الأمريكان الذين يخرجون على العالم في كل يوم بجديد، ينحصر علم اللغة التربوي اهتمامه في المادة اللغوية التي تقدم إلى المتعلمين، بمعنى النظر فيها وفي مستوياتها وفقاً لقدرات التلاميذ وأعمارهم وثقافتهم وبيئاتهم.

ولأن هذا العلم علم حديث لم ترتسم ملامحه بجلاء بعد، فتارةً تدخل بعض جوانبه في إطار علم اللغة العام، وطوراً يدخل في إطار علم اللغة الاجتماعي أو النفسي .

ومن الجدير بالذكر أن نقول إن علوم اللغة التي ورد تعريفها آنفاً ترتبط مع علم اللغة الاجتماعي بشكل أو بآخر، وهذا يؤيد فكرة سيطرة المجتمع على اللغة وأساليبها وبذلك تكون الفروع الأخرى وجوهاً بديلة لهذا العلم .

الفصل السادس

مستويات التحليل اللساني

- المستوى الصوتي
- المستوى الصرفي
- المستوى النحوي
- المستوى الدلالي
- علم اللغة العام وعلم اللغة الخاص

مستويات التحليل اللساني:

اللغة نظام مُعقَّد من العادات ، وهي مبنى مكون من مستويات، ورسخت هذه المستويات فكان المستوى الصوتي أبسط المستويات، يليه الصرف، ثم النحو/ التركيب، فالدلالة أو المعنى وهو أعقد المستويات، وهذا المستوى تفضي إليه كل المستويات السابقة بالرغم من احتفاظها بسماتها الخاصة.

وتشمل قطاعات الدرس اللساني الظواهر اللغوية كافة، فقد سعت اللسانيات إلى دراسة اللغة ككل، فالتحليل اللساني يبدأ بالأصوات لأنها العنصر الأول الذي يشكل الكلمات، ثم ينظر في بناء الكلمة من حيث الشكل والوظيفة ، ثم يدرس التركيب والجمل على اختلافها، وينتهي بدراسة المعنى المتحصل من معاني الكلمات معجمياً وسياقياً.

(حمد قدور: مبادىء اللسانيات)

وقد اختلف العلماء في تحديد عدد هذه المستويات، فمنهم من قال إنها خمسة مثل (هوكيت)، إذ قسمها إلى مركزية ولا مركزية، فالمركزية هي النظام القواعدي، والنظام الفونولوجي والنظام المورفونيمي، أما غير المركزية فهي النظام الدلالي، والنظام الصوتي، لكن العلماء أقرّوها أربعة مستويات.

(وزي الشايب: محاضرات في اللسانيات)

المستوى الصوتي (Phonetics)

وهو العلم الذي يدرس أصوات اللغة ويطلق عليه علم الفوناتيك، وهذا العلم ليس حديث العهد بل له بعد تاريخي ضارب في القدمن فقد كان أقدم ما أثر من هذا العلم على يد علماء مجهولين، كمما تمثل أقدم صوره كتابة إدراكاً لأصوات اللغة، إذ تحاول هه الكتابة أن تمثل بعلاماتها الكتابية صوت الحرف المكتوب.

وقد أُثر عن اليونان ملاحظات صوتية، وهي عبارة عن أقوال لأفلاطون وأرسطو، وقد وجدت ملاحظات مماثلة عند الهنود الذين قسموا الصوامت إلى مغلقة، وأشباه الصائتة إلى ضيقة، كما وجدت ملاحظات عند العرب، فكان لهم باع طويل في هذا

المجال، إذ وصفوا طريقة النطق، ومخارج الحروف، وفرّقوا بين الحروف القوية والضعيفة، والحروف المستعلية والمستفلة، وقد قسم سيبويه الحروف إلى أقسام ثلاثة: الأصوات الشديدة، والرخوة، وما بين الشديدة والرخوة، وقسم الأصوات على هذا الأساس وفقاً لما توصل إليه من خلال الذائقة الصوتية السليمة، كما حوت أُمّات الكتب العربية إشارات صوتية مثل كتاب العين وكتب القراءات القديمة.

(أحمد قدور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي)

ويعرف علم الأصوات بأنه دراسة أصوات اللغة ومعرفة التغيرات التي تحدث في هذه الأصوات نتيجة تطورها، وهو كما يقول كريستال: إنه العلم الذي يدرس خصائص صنع الصوت البشري وعلى نحو خاص، تلك الأصوات المستعملة في الكلام، ويزودنا بطرق لوصفها وتصنيفها وكتابتها. (محمد جواد النوري: علم أصوات العربية)

ويقسم علم الأصوات إلى ثلاثة أقسام أساسية، هي:

١. علم الأصوات النطقي: أو الفسيولوجي أو المخرجي وهو العلم الذي يهتم بالأصوات من حيث كونها أصواتاً منطوقة بواسطة جهاز معين هو جهاز النطق.

(كمال بشر، التفكير اللغوي)

ويعد هذا العلم أقدم العلوم الصوتية ،إذ ظهرت بوادره عند العلماء القدامى، من خلال الإشارات الصوتية عند اللغويين اليونان والهنود والعرب، إذ تمكنوا من الإحاطة بهذا العلم بالاستعانة بفطرتهم الصوتية السليمةوذائقتهم المتميزة للأصوات.

٢. علم الأصوات الفيزيائي: أو الأكوستكي، وهو الذي ينظر في الأصوات من ناحيتها الفيزيائية؛ أي من حيث تأثيرها في الهواء، وما تحدث فيه من ذبذبات منتشرة بين فم المتكلم وأذن السامع.

٣. علم الأصوات السمعي: وهو أحدث هذه الفروع على الإطلاق وهو ذو جانبين: الأول عضوي مخرجي والثاني نفسي، ويركز جهوده على الذبذبات التي تستقبلها أذن السامع والأثر النفسي لهذه الذبذبات في المتلقي.

(محمد جواد النوري: علم أصوات العربية)

وقد أضاف بعض العلماء إلى هذه الفروع فروعاً أخرى لم تلق إجماعاً مثل علم الأصوات التجريبي والتركيبي .

ولعلم الأصوات وظائف عدة يحققها، منها: دراسة الفونيمات بأنواعها التركيبية وغير التركيبية، كما يدرس المورفيمات والمقاطع الصوتية، كما يدرس الفونتيك والفونولوجيا، وتتم هذه الدراسة وفقاً لمناهج اللسانيات على اعتبار أن الأصوات هو المستوى الأول في الحقل اللغوي.

وقوبل هذا العلم بالتجاهل في البداية، وعدَّ من قَبيل الترف العلمي لا حاجة له، والحق أنه حجر الأساس الذي يستند إليه بنيان اللغة فلا غنى عنه في أي دراسة لغوية، إذ لا يمكن الأخذ بدراسة لغة أو لهجة ما دراسة علمية ما لم تكن مبنية على وصف صوتي، إذ إن الصوت يؤدي دوراً في تغيير المعنى للفظة ما، فقد يكون هناك كلمتان متشابهتان في الأصوات، لكن نقطة الارتكاز في الأولى تختلف عن نقطة الارتكاز في الثانية بفعل النبر والمفصل كما في قولنا:

عضَّنا الدهر بنابهِ ليت ما حلّ بنا به

(بنابه) الأولى تعني الناب، أما (بنابه) الثانية فتعني (بنا) (به) وقد ظهر الاختلاف بالمعنى من خلال الاختلاف في موقع النبر والمفصل.

كما أن لهذا العلم أهمية في المقارنة بين أصوات لغة معينة في فترة معينة، وبين أصوات اللغة نفسها في فترة أخرى. (محمود السعران: علم اللغة)

المستوى الصرفي (Morpgology)

ويعني هذا المستوى من مستويات التحليل اللساني بتناول التي تمثلها الصيغة أو المقطع، والعصر الصوتي الذي يؤدي معاني صرفية أو نحوية، ويطلق عليه مصطلح (المورفولوجي) الذي يدرس الوحدات اصوتية (المورفيمات) دون أن يتطرق إلى مسائل التركيب.

(أحمد قدور: مبادئ اللسانيات)

ويُعنى الصرف بدراسة التغيرات المنتظمة في الشكل المرتبطة بتغيرات في المعنى لكنه في اللسانيات يمتد ليتسع لدراسة مجموعة الوحدات المستعملة في تغيير أشكال الكلم.

وقد حظي الصرف باهتمام كبير كوعناية فائقة من قبل علماء النحو المقارن، وقد بلغ هذا المستوى ريعان شبابه في القرن التاسع عشر، وذلك من خلال الدراسات الوافية للدراسات التاريخية المقارنة للغة في النصف الأول من ذلك القرن، كما حظي باهتمام اللسانيين البنيويين أمثال بلومفيلد وأتباعه ف يالنصف الأول من القرن المنصرم، فوفقاً لأفكار البنيويين كانت الفرضية الأساسية لمدرستهم هي أن اللغة لها بنية وأن هذه البنية من نوع محدد جداً، وبلغ الاهتمام بهذا العلم ذروته على يد تشارلز هوكت.

ومما تقدم نستخلص تعريف الصرف على أنه العلم الذي يتعلق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك، ويعرف به أحوال الكلم التي ليست بإعراب. (فوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات)

والموضوع الأساسي في علم الصرف هو دور السوابق واللواحق والتغييرات الداخلة التي تؤدي إلى تغيير المعنى الأساسي للكلمة مثل: سبق الكلمة بأل التعريف أو إلحاقها بياء أو نون الجمع. (ماريوباي: أسس علم اللغة)

قسم علم اللغة الصرفي اللغات إلى لغات عازلة، ولغات إلصاقية، ولغات اشتقاقية، نفاللغات العازلة هي التي لا تستعمل الأشكال المقيدة، والتي أشكال كلماتها ثابتة كما هو الحال في اللغة الصينية، واللغة الإلصاقية هي اللغة التي تكون كلماتها مكونة بشكل نموذجي من سلسلة مورفيمات، والمثال على هذا النمط من اللغات اللغة التركية والسواحلية والهنجارية، أما اللغة الاشتقاقية (التصريفية) فهي تلك هي التي تطرأ على أبنية كلماتها تغييرات بحسب نظام صرفي يخضع للميزان الصرفين، وأفضل مثال عليها اللغة العربية ومن بعدها اللاتينية والإعريقية.

ويعتمد هذا العلم على تقسيم الكلمات إلى مورفيمات، وتوصَّل العلماء إلى اكتشاف المورفيم الصفري والوظيفي والمورف المتعدد الدلالة والمورفيم المقيد والحر.

(فوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات)

المستوى النحوي (Syntax)

وهو العلم الذي يبحث في التراكيب حيث يطلق عليه اسم (علم التركيب) ويدرس هذا العلم تنظيم الكلمات في شكل مجموعات.

وقد عرفت الشعوب القديمة النحو حيث استخلص علماؤها القواعد التي تميزمه بها الصيغ السليمة من غيرها، فظهر أولاً النحو الهندي الذي استفاد منه النحو اللاتيني لاحقاً ثم تابع اللاتيني والعربي، وقد طغت على هذا العلم النزعة التعليمية حيث اختط العلماء لأنفسهم منهجاً معيارياً يسيرون عليه فاتخذ هذا العلم منحى معيارياً صارماً، وقد بقيت ملامح الدرس النحوي التقليدي سائدة حتى جاءت اللسانيات بالمنهج الوصفي الذي جنح بالدراسات اللغوية إلى السبيل العلمي، ومن هنا ظهر نوعان من النحو هما (النحو المعياري) الذي يهدف إلى وضع حد ما فاصل بين الصواب والخطأ، و(النحو الوصفي) الذي اقتصر على الوصف العلمي المحايد دون أن يتطرق إلى الصحة والخطأ .

ويقوم النحو المعياري على أساس التمييز بين مستويات اللغة (لغة مثقفة – لغة شعبية– لهجة) ويقوم بتعيين واحد من هذه المستويات وجعله اللغة المفضلة، أما علم النحو الوصفي فقد نظر إلى القواعد نظرة ترى فيها جهات اشتراك بين حالات متشابهة توصف وتصنف بعد استقراء واسع للكثير من الأمثلة والأساليب المتداولة.

وقد تجاوزت اللسانيات الموقف المعياري إلى الاهتمام العلمي أو التركيب وصولاً إلى الكليات اللغوية التي تشترك فيها اللغات الإنسانية ، ويحرص علماء اللسانيات على عدم التداخل بين هذين المنهجين فضلوا استخدام مصطلح تركيب (Syntax) بدلا من مصطلح النحو (Grammar). (أحمد قدور: مبادىء اللسانيات)

ثم ما لبث أن اتسع البحث في المجال النحوي حتى ظهر المنهج التحويلي على يد ناحوم تشومسكي حين وضع كتابه في الأبنية التركيبية ، حيث ينص الفكر النحوي التحويلي على أن الوصف الدقيق للغة إنما يعني تحديد الإمكانيات التعبيرية الكامنة في هذه اللغة التي ينتقي منها مستخدم اللغة إيجاباً أو سلباً ، فوصْف الاستخدام اللغوي عند

فرد بعينه ليس كاشفاً لإمكانات اللغة بل هو وصف للأداء اللغوي لهذا الفرد ، ومن هنا تتجاوز فكرة النحو التوليدي مجرد الوصف إلى محاولة تحديد الإمكانات التعبيرية.

(محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة)

وبعد هذا التوسع الذي وصل إليه هذا المستوى، نجد أنه يتضمن دراسة أنواع الجمل اسمية وفعلية ، والمعنى النحوي، ويتناول القرائن اللفظية والمعنوية، كما يتناول العلاقات الإعرابية، والرتبة والصيغة، والربط، وتحليل التركيب الإسنادي.

(أحمد قدور: مبادئ اللسانيات)

المستوى الدلالي (Semantics)

وظيفة هذا المستوى البحث في المعنى ، حيث يركز النظر على مستوى الألفاظ أو التراكيب، كما يظهر في تسجيل المعاني العامة للألفاظ في المعاجم، ومجاله دراسة المعاني على مستوى المفردات والتراكيب، ويرجع الدارسون نشأة علم الدلالة الحديث إلى أواخر القرن التاسع عشر حيث ظهر في مقالات ميشال بريال وكتاب دار مستيتر.

ولم يكن اللسانيون وحدهم الباحثين المهتمين بالدلالة، فقد شغل موضوع الدلالة أذهان الفلاسفة وعلماء النفس. (أحمد مختار عمر: علم الدلالة)

ويأتي هذا المستوى نتيجة للتراكمات التي تولدها المستويات السابقة من الأصوات إلى بنية الكلمة وصرفها، وصولاً إلى الجمل وأنواعها ، وقد كان برايل مبتكر علم الدلالة، وهو واضع مصطلح (Semantics) المشتق من الكلمة اليونانية (Semanino) التي تعني دلَّ، وهذا لا يعني أن الدراسة الدلالية لم تكن موجودة قبل ذلك ، بل إن لها امتداداً في التاريخ في المشرق والمغرب.

(بالمر: علم الدلالة، ترجمة عبد المجيد الماشطة)

فقد ظهر هذا الدرس عند سقراط وأفلاطون وأرسطو الذي ذهب إلى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى اصطلاح ناجم عن اتفاق أو تراض بين البشر، كما أثرت الآثار

العظيمة للدرس الدلالي العربي في ثنايا الكتب، كما انتشرت بشكل واسع بين أوساط علماء اللغة ، وقد فطن العرب إلى المجال الذي تعبر عنه كل مجموعة من الألفاظ فأنشؤوا رسائل دلالية متنوعة ، ثم صنفوا معاجم متخصصة في هذا المجال، وأهم المحاور التي طرقتها الدراسات الدلالية الحديثة هي:

١. محور الدلالة، ويتضمن دراسة المعنى والحقول الدلالية، والسياق، وأنواع المعنى وتحليله.
٢. محور العلاقات الدلالية، ويتضمن الترادف، والمشترك اللفظي، والأضداد، والفروق، وتدرّج الدلالة ومساحتها، وبنى الألفاظ، وحركية الثروة اللفظية، والاقتراض.
٣. محور التغير الدلالي، ويتضمن أسباب التغير الداخلي والخارجي، وسبل التغير وأشكاله ومجالاته إضافة إلى بحث المجاز والاستعارة، مما له صلة وثيقة بالمعنى وتبدلاته. (أحمد قدور: مبادئ اللسانيات)

ولما كان هذا العلم مركزياً اهتمت به مجالات أخرى غير اللغة، فقد اهتم به النفسيون والمنطقيون فضلاً عن اللسانيين؛ لذا تعددت مناهج الدلالة وتشابكت الطرق التي تربط هذه العلوم بالدلالة مما أدى إلى ظهور هذا العلم بسمته المعقدة والمحيّرة.

(فوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات)

علم اللغة العام وعلم اللغة الخاص

يقسم علم اللغة إلى عام وخاص من حيث الاتساع والشمول من جهة، وضيق المجال وتخصيص النشاط اللغوي ويعنى علم اللغة العام بالعلم الذي يدرس اللغة (أي لغة على وجه الأرض) بغض النظر عن بيئتها أو خواصها أو أصلها، وبصرف النظر عن دارسيها أو اتجاههم في دراسة لغتهم المعينة، فعلم اللغة هنا ذو وظيفة عامة من شأنه وضع المبادىء والأسس والمناهج التي تتبع في دراسة اللغة الإنسانية بعامة.

وبالرغم من أن سوسير اشترط الحرص على دراسة اللغة المعينة، إلا أن عمله ما يزال واقعاً تحت مظلة علم اللغة العام لأن مبادئه وأفكاره اللغوية إنما جاءت لرسم خطة وتحديد طريق لدراسة أي لغة يراد التعامل معها، لذا فأفكاره عامة من حيث النظر، وخاصة من حيث التطبيق.

أما علم اللغة الخاص فهو ضيق المجال من حيث البيئة أو الاتجاه، وغالباً ما ينعت بما يميز إطاره من هذين الجانبين منفردين أو مجتمعين، فقد يكون هذا النعت منصرفاً إلى دراسة لغوية خاصة بلغة بذاتها، كما هو الحال في اللغة العربية في القديم حيث انكب اللغويون العرب على دراسة لغتهم دون غيرها وبذلك يطلق على هذه الدراسات اسم علم اللغة العربية.

لكن هذا لا يعني أن مبادىء هذه الدراسة أو جملة منها غير صالحة للتطبيق على لغات أخرى، إذ يظهر ذلك بوجه خاص في الدراسات اللغوية الهندية، فتركزت أعمال الدارسين هناك على اللغة السنسكريتية، وما تفرع عنها أو اتصل بها، ومع ذلك كانت مبادئ الدرس واتجاهاته في تحليل هذه اللغة منطلقا لنظر لغوي عام صالح للأخذ به في معالجة اللغات الأخرى، وظهر هذا الأمر في أعمال (بانيني) الذي أرسى مجموعة من الأسس امتدت إلى يومنا هذا.

الفصل السابع

المدارس اللسانية

- المدرسة السويسرية (جنيف)
- علماء المدرسة السويسرية (جنيف)
- حلقة براغ اللسانية
- المدرسة الدنماركية (كوبنهاجن)
- نظرية الجلوسيمية
- المدرسة الإنجليزية
- نظرية المعنى عند فيرث
- المدرسة الأمريكية
- بلومفيلد ونظريته اللغوية
- تشومسكي ونظريته اللغوية
- النظرية التوليدية التحويلية

المدارس اللسانية

المدارس اللغوية الحديثة كثيرة ، بالإضافة إلى الاتجاهات الفرعية التي تنتظم فيها كل مدرسة من هذه المدارس، لكن ثمة مدارس لها منهجها المتميز الذي ينحو منحى بعيداً إلى حد كبير من مناهج المدارس الأخرى، وقد ظهرت هذه المدارس في ظل محاولة علماء اللغة التخلص من طغيان نظرية التطور، فقد أنكر بعضهم أن تكون التغيرات اللغوية مماثلة للتغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي، وأخذ العلماء ينظرون إلى اللغة على أنها بنية أو نظام ، ومن هنا انطلقت المدارس اللغوية الحديثة.

(سامبسون: المدارس اللسانية، التسابق والتطور)

تمهيد للمدارس اللغوية الحديثة

ظهرت في البداية اللسانيات غير البنيوية التي قامت على أساس جغرافي يعتمد البحث في اللهجات، أي على تراكم المعلومات المتعلقة بالخصائص اللهجية للغة معينة والانتشار الجغرافي لخصائص لغوية مفردة، كما خضعت الظواهر اللهجية للمنهج الوصفي بالإضافة إلى ظهور الدراسات النفسية الفسيولوجية والاجتماعية للغة، وقد مثلت المدرسة اللابنيوية مدارس عديدة مثل: المدرسة اللسانية الفرنسية ومدرسة قازان وفورتوناتوف ومار، وكل تلك المدارس كانت تمهيدا لظهور المدرسة البنيوية التي تزعمها دي سوسير. (ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة البنيوية، حيث سيطرت أفكار هذه المدرسة على البحث اللغوي في الأربعينيات والخمسينيات من القرن المنصرم، حتى إنها جمعت حولها عدداً ليس بالقليل من الدارسين.

وتعد البنيوية منهجاً عاماً يأخذ اللغة على أنها "بناء" أو هيكل تتشابك وحداته مع محافظتها على استقلالها الداخلي، التي تحدد قيمتها بالعلاقات الداخلية بينها وذلك بمعزل عن أية عناصر خارجية.

وقد حوت هذه المدرسة عدة مدارس تبنّت فكرها، وأضفت عليها صفة تناسب المدرسة، ومن أمثلة هذه المدارس: المدرسة السويسرية بزعامة دي سوسير، والمدرسة

النمساوية، والمدرسة الدنماركية (كوبنهاجن)، والمدرسة التشيكوسلوفاكية (براغ)، والمدرسة الروسية(موسكو)، والمدرسة الألمانية، والمدرسة الإنجليزية، والمدرسة الأمريكية.

(عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة)

المدرسة السويسرية (جنيف)

تعد مدرسة جنيف أهم المدارس وأعمقها أثراً في مناهج التفكير اللغوي وقد تعارف على تسميتها بمدرسة جنيف، وكان من أعلامها ريتشارد لوكسنجر وجوتفريد آرنولد وفينك ودافيد وآخرون.

وقد تبلّرت هذه المسارات عند سوسير حين طلع على طلابه بمقولته: طغن موضوع علم اللسانيات هو دراسة اللغة ف يحد ذاتها ومن أجل ذاتها" وكانت هذه المقولة بمثابة الثورة على كل ما كان منم مخزون معرفي عند تلاميذه.

(عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة)

وبيّن روبنز جانباً من هذه الثورة فقال:"يجب أن توصف اللغة تزامنياً بوصفها نظاماً من العناصر المترابطة والمصطلحات اللغوية، ويجب أن تعرف بالنسبة لبعضها بعضاً وليس بشكل مطلق". وهذه هي النظرية التي عبر عنها بقوله أن اللغة عبارة عن صيغة وليست مادة". (روبنز: موجز تاريخ اللغة)

وقد أراد من قوله هذا بيان أثر دي سوسير في إحداث ثورة في اللسانيات الحديثة،

وتجلت آراء دي سوسير عن اللغة في الكتاب الذي ظهر باسمه عام ١٩١٦، وقد أبرز أهم النظريات اللغوية حول اللغة، وهي:

١. اللغة نظام من العلاقات يرتبط بعضها ببعض على نحو تكون فيه القيم الخاصة بكل علاقة بشروط على جهة التبادل بقيم العلاقات الأخرى، فاللغة في الواقع مؤسسة على التعارضات.
٢. العلاقات اللغوية ذات طبيعة مركبة، وهي توليفة من الشكل الصوتي الذي يشار به إلى المعنى (الدال) والمعنى نفسه (المدلول).
٣. استعمال علاقة لغوية ما، ليس بالضرورة رهناً بما يقتضيه معناها.

٤. الكلام البشري ذو طبيعة خطية، بمعنى أن كل عنصر من عناصر تكوينه ينبغي أن يلفظ به على التوالي من سلسلة منطوقة.
٥. للمقولات النفسية كالقياس والاستدعاء تأثير قوي في التغير اللغوي.
٦. اللغة ملك لمجموع الجماعة المتكلمة لكنها تتحقق فعلاً عن طريق الكلام الفردي.
٧. اللغة يمكن فحصها في اتجاهين: اتجاه آني واتجاه زماني، فالمقاربة الآنية تعالج الموقف اللغوي في لحظة بعينها من الزمان، على حين تعنى المقاربة الزمانية بمرحلة من مراحل التطور اللغوي. (ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

ومن ذلك نلحظ أن سوسير رأى جملة من الآراء الرئيسة التي لقيت انتشاراً، هذه الآراء الرئيسة هي: دراسة اللغة من ذاتها ولذاتها، ودراسة الثنائيات والدراسة المتعاقبة والتزامنية. (عبدالقادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة)

فرديناند دي سوسير

شخصية باهرة عاشت حياة هادئة خالية من الأحداث المهمة، إذ لم يصدف سوسير أن كان لديه مغامرات شخصية مثيرة.

ولد فرديناند دي سوسير في جنيف عام ١٨٥٧م بعد مولد فرويد بعام واحد وقبل مولد دور كايم بعام آخر، وعاش ابنا وحيداً لأحد علماء الطبيعة البارزين، وفي عائلة اشتهرت بإنجازاتها في العلوم الطبيعية.

وفي سن مبكرة تعرف دي سوسير للمرة الأولى على علم اللغة عن طريق (أدولف هوكيت) عالم الفيولوجيا، صديق عائلة الأب، وقد حاول وهو ما زال في الخامسة عشرة من عمره (بعد تعلمه اليونانية والفرنسية والألمانية والإنكليزية) استنتاج نسق عام للغة وكتب في عام ١٨٧٢(مقالة حول اللغات) سلمه إلى هوكيت، في هذا المقال ذهب سوسير إلى أن اللغات جميعها تمتد بجذورها إلى أحد الأنساق المكونة من ثلاثة حروف صامتة أساسية،وقد كانت محاولته هذه محاولة غضة.

وتتابعت أعمال سوسير البحثية، فما كان منه إلا أن نشر عام ١٨٧٨بحثاً بعنوان "تقرير حول النظام الأساسي للصوائت في اللغات الهندية الأوروبية" وذلك بعد مكوثه

في جامعة ليبزج، وصف أحد علماء اللغة هذا البحث بأنه من أكثر الأبحاث التي كتبت في الفيولوجيا المقارنة إبهاراً، وبقي سوسير ينتقل من نجاح إلى آخر حتى وصل إلى فرنسا، إذ حقق سوسير النجاح الواسع، فما أن وصل إلى جامعة باريس حتى بدأ بتدريس اللغات السنسكريتية والقوطية والألمانية القديمة، وبالرغم من النجاح الذي حققه في باريس إلا أنه لم يبقَ في جامعة باريس.

(جوناثان كللر: فرديناند دي سوسير- ترجمة محمود حمدي عبد الغني)

ويبدو أنَّ سوسير لم يُقدّر حق قدره في فرنسا، ويكفي لإدراك ذلك أن نعيد قراءة ما كتبه (ميه) أفضل طلاب سوسير الباريسيين، ففي كلمة التأبين، وإلى جانب المديح الصادق الذي توجه به (ميه) إلى طريقة العرض في الكتاب خاصة أو إلى بعض التفاصيل،فقد قلل من أهميته معتمداً على البراهين التي سادت عشرات السنين بعده، من ذلك أنه عدّ كتاب سوسير عبارة عن أفكار صاغها اثنان من تلاميذه ليس إلا، كما قال إن الكتاب لا يشكل عرضاً كاملاً لأفكاره، وإنه احتوى على عرض مبسط لتعليم سوسير.

(علم اللغة في القرن العشرين:جورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي)

وربما تكون نظرة (ميه) صادقةً، لكنه ظلم سوسير عندما وجه لكتابه هذا الانتقاد اللاذع،إذ كان يجدر به توجيه النقد للتلاميذ الذين لم يفهموا أفكار سوسير اللغوية ولم يتسنَ لهم شرحها وعرضها بطريقة تليق بالأستاذ الكبير في فضاءات علم اللغة الحديث، إذ كان لأفكار سوسير صدى واسع الانتشار بين اللغويين الذين أخذوا هذه الأفكار - بالأخص ثنائيات سوسير- بعين الاعتبار ونظروا لها نظرة احترام وتقدير وأخذوا يتوسعون فيها ويزيدون من تشعباتها ويطلقون أحكاماً لغوية بناءً عليها،وقد كان كتاب "محاضرات في علم اللغة" كما حرره بالي وسيشيهاي هو المصدر الوحيد لهذا التأثير الذي مارسه دي سوسير وشهرته.

(جوناثان كللر -فرديناند دي سوسير)

تأثير فرديناند دي سوسير

تميَّز تأثير سوسير في علم اللغة الحديث بميزتين أساسيتين، الميزة الأولى في التوجيه العام الذي قدمه لعلم اللغة، الذي اتصف بالفاعلية العميقة، وبعدم إثارة الجدل بالفعل إلا نادراً.

فقد تم التسليم بهذا التوجيه على أنه جوهر الموضوع نفسه، إذ انحصرت مهمة علم اللغة عند سوسير في تحليل إحدى اللغات بوصفها نسقاً من الوحدات والعلاقات، وقد كان وضع علم اللغة يعني في رأيه محاولة تعريف وحدات إحدى اللغات والعلاقات القائمة بين تلك الوحدات وأحكام التوليف بينها، وهو توجيه لا نعثر عليه عند أسلافه على الرغم من انطلاق بعضهم عرضاً في هذا الاتجاه، على هذا الأساس يعد سوسير مؤسس علم اللغة الحديث، لأن أكثر إسهاماته أهمية وأصالة هي التأثير الذي مارسه سوسير في تحديد طبيعة علم اللغة ذاته، وهو التأثير الذي لم يذكره أحد، وفي الواقع فإن أي معالجة لعلم اللغة البنائي كما افتتحه دي سوسير تتضمن جميع المدارس الرئيسية في علم اللغة الحديث، وهكذا يغطي بحث مثل بحث جوليوليبسكي بعنوان "مسح لعلم اللغة البنائي "علم اللغة ابتداءً من مدرسة براغ، وبعلمائها جاكبسون وتروبتسكوي، ومدرسة كوبنهاجن بعلمائها هيلمسليف، والوظيفيين بعلمائها: بنفينست ومارتينيه، والمدرسة البنائية الأمريكية بعلمائها: بلومفيلد وأتباعه حتى المدرسة التحويلية التوليدية وعلى رأس علمائها تشومسكي، وقد كانت المدرسة الأخيرة هي التي بدّلت من التوجهات الأساسية للتصور اللغوي في علم اللغة كما ورّثه سوسير إلى تلاميذه.

أما الميزة الثانية التي تميز بها تأثير دي سوسير في علم اللغة الحديث فارتبطت بمجموعة من المفاهيم التي ساعد بمفرده على رفع منزلتها على الرغم من عدم أصالتها لديه، وهذه المفاهيم هي اللغة والكلام والفصل بين المنظورين الزماني والتعاقبي، وتصور اللغة بوصفها نسقاً من العلاقات التراصفية الاستبدالية بمستوياتها التصاعدية المختلفة، حيث يمكن وصف الإسهامات التي قدمها علم اللغة على أقلّ تقدير بأنها أبحاث دارت في الغالب حول التفاصيل الدقيقة لتلك المفاهيم والمعاني الخاصة بها، ولذلك فإن دراسة

هذه المفاهيم تمكننا من فهم إلى أي حد نجح سوسير في طرح الأسئلة الأصيلة التي أحيت علم اللغة الحديث. (زكريا إبراهيم: مشكلة البُنْيَة)

١- الدراسة المتعاقبة والدراسة التزامنية (DIA+SYN+>CHRONIC)

الدراسة الوصفية للغة هي أساس المشروع اللساني العلمي، أما الدراسة التاريخية فإنها توفر المادة الآتية التي وصلت إليها اللغةحيث تصبح قيمة في ذاتهان لذا فإن الدراسة الوصفية ضرورية للباحث قبل القيام بالدراسة التاريخية، وإنها، أي الوصفية بعد ذلك، تتقدم على الدراسة المعيارية؛ لأن مهمتهام التحري عن الحقائق، بينما مهمة المعيارية وضع الصور التنظيمية، ومقاييس النظام القواعدي، حتى يسير الإرسال الكلامي على خطوط المنظور الصوابي.

المحور الاستبدالي (العمودي)، والمحور الركني (الأفقي) في دراسة اللغة حديث تظهر التراكيب موزعة بشكل يعكس طبيعة العلاقات ، وتجاورية العناصر.

العلامة اللغوية Linguistics Sign:

اللغة عند دي سوسير علامة مخزونة داخل الذهنية، وهدف اللسانيات هو دراسة هذه العلامة، وتحليل مكوناتها، وعناصرها، وتسجيل درجات ارتباطها، وعلاقاتها ، ومدى تأثرها ، وتأثيرها بما جاورها من العلاقات، فردية، أو مركبة .

ويميز، دي سوسير، عند دراسة (العلامة اللغوية) بين المدرك الذهني، والصورة السمعية.

هذه العلامة تضللها الجوانب :

أ- الجانب الخارجي (هيئة مادية)

ب- الجانب الداخلي (النطقي) (هيئة العناصر المؤلفة) } الحالة المادية .

ت- الجانب الذهني الذي يؤشر اللفظ المنطوق

ث- الجانب الصوري الذي يؤشر اللفظ دون النطق } الحالة الذهنية .

أما نوع العلاقة بين العلامة اللغوية، وما تؤشره، فهي عرفية، وهذا في الواقع، رأي التقليديين السائد، إذ لا توجد علاقة مباشرة بين الدال والمدلول، إلا ما اصطلحت عليه الجماعة اللغوية.

(عبد القادر عبد الجليل– علم اللسانيات الحديثة)

دراسة اللغة لا الكلام وفقاً للمنهج السنكروني

بحث سوسير في اللغة فتوصل إلى فكرة بالغة الأهمية ألا وهي: فكرة البنيوية أو التركيبية، وأدى توصله إلى هذه الفكرة إلى تأسيس النظرية أو المدرسة البنيوية، وهذه الفكرة لا يمكن دراستها إلا بربط الأفكار الثلاث الأساسية لسوسير ببعض، ففكرته تتلخص في نظرته إلى اللغة بوصفها نظاماً أو جهازاً مستقلاً عن صانعه أو الظروف الخارجية التي تحيط به، وينظر إلى هذا الهيكل من داخله ومن خلال مجموعة وحداته المكونة له، فاللغة ليست مادة أو جوهراً إنما هي شبكة واسعة من التراكيب والنظم وهي أشبه برقعة الشطرنج التي لا تتحدد قيم قطعها بمادتها المصنوعة منها، وإنما بمواقعها، والعلاقات الداخلية بينها، فالنظرة عند سوسير إلى اللغة نظرة تجريدية تعنى بالبنية العميقة، لا البنية السطحية.

لقد وجد سوسير أن العلاقات ذات القيم الخلافية بين التراكيب والوحدات تتم في جانبين، الأول أفقي (سنتجماتيكي) والآخر رأسي (براديجماتيكي)، يُعنى الأول بطرائق تكوين العناصر اللغوية (كلمات أو لواصق) إلى عناصر أكبر، وأكثر تعقيداً كالجمل والعبارات وبيان العلاقات بين هذه العناصر، وهنا يكون التركيز على خواص التركيب من حيث موقعية عناصره المكونة له، ونوع الارتباط الواقع بينها.

وينظر الثاني في العلاقات البراديجماتيكية وهي العلاقة بين العناصر اللغوية في النظام اللغوي أو في الجدول الصرفي الذي يمد التراكيب بالوحدات المكونة له ، ففي الجملة (خالد عائد) هناك علاقة أفقية بين (خالد) و(عائد) وهي علاقة التتابع التركيبي، والعلاقة الوظيفية فخالد مبتدأ وعائد خبر، وهاتان المفردتان لهما علاقة رأسية قائمة على أساس التبادل، فخالد من الممكن أن يحل محلها عمر أو أحمد أو محمد...، وعائد ممكن أن يحل محلها متسامح أو عارف أو عالم ...

فالقيمة اللغوية عند سوسير إنما تحدده مجموعة العلاقات، ولا يمكن فهمها أو الوصول إليها إلا في ضوء هذه العلاقات ، وبهذا النهج استطاع سوسير أن يستغني عن التقسيم التقليدي للوصف اللغوي إلى نحو وصرف وأصوات ومفردات.

(كمال بشر: التفكير اللغوي)

ولخدمة هذه الفكرة جاء سعي سوسير إلى تحديد المنهج الذي يجب أن تدرس من خلاله اللغة، فلاحظ أن اللغويين من قبله يقصرون دراستهم للغة على منهج التاريخي الصِرف أو المشوب بشيء من الوصف المبني على أفكار فلسفية أو معيارية تعنى بتتبع الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى، فثار سوسير على هذا الخط التقليدي، ورأى أن هناك طريقين مختلفين لدراسة اللغة أولهما المنهج الدياكروني أو التاريخي وثانيهما السنكروني أو التزامني.

ثم شرع سوسير يفرق بين هذين الطريقين ، فالمنهج التاريخي أو التعاقبي أساسه تعدد الفترة الزمنية، إذ يلاحظ الدارس الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى قصداً إلى التعرف على ما أصابها من تغير وتطور، أما المنهج التزامني فخاصيته الأساسية وحدة الفترة الزمنية مع قصر وظيفة اللغويين في هذه الحالة على النظر في وحدات التركيب اللغوي للوقوف على نوع العلاقات الداخلية بينهما في هذا التركيب، فالدارس هنا لا يدخل عامل الزمن في حسبانه، وإنما يعنيه أولاً وأخيراً أنه يأخذ اللغة على أنها (نظام بنيوي أو تركيبي)، فوجد أن المنهج التزامني ينسجم والنظرية البنيوية التي توصل إليها .

لكن النظرية البنيوية لا تكتمل إلا ببيان الثنائيات والتفريق بين المصطلحات التي تلبس على الباحثين، لذا عمد سوسير إلى التفريق بين:(Parole، Langue، Langage) فقصد بـ (Langage) اللغة بالمعنى المطلق، ورأى أنها أشبه بالملكة أو الطاقة اللغوية، وهي دائماً تتضمن جانبين متقابلين، فهي تتضمن مجموعة الأحداث النطقية الواقعية في الكلام الفعلي، كما تنظم القواعد اللغوية المقررة في البيئة الاجتماعية المعينة، وهي بذلك تكون شيئاً غير متجانس وغير واضح، واللغة المطلقة عند سوسير لها اتصال بمحاولات

من أنواع شتى، مجالات فيزيائية، وفسيولوجية، ونفسية، لكنها ينقصها مبدأ التجانس والوحدة.

ومن هنا ظهر الجانبان المتقابلان اللذان يشيران إلى ثنائية سوسير التي أسماها (Langue) و(Parole). (كمال بشر: التفكير اللغوي)

أما (Parole) فيطلقها سوسير على ما ندعوه الكلام أو عملية الكلام ، ويعني النشاط النطقي المادي أو هو عبارة عن تلك الأصوات والأحداث المنطوقة بالفعل من المتكلم الفرد في الموقف المعين، فهو لذلك فردي فقط ونفسي مادي، والفرد المسيطر عليه يغير فيه بالزيادة والنقص والتطوير، فهو إذن، شيء غير ثابت، وهو مرتبط باللحظة التي يُؤدّى فيها، وأنه ليس حقيقة اجتماعية وإنما هو نشاط فردي إيجابي غير مستقر.

أما (Langue) وتعني برأي سوسير أنها اللغة بمعنى النظام الثابت أو أنماط العادات والقواعد اللغوية التي استقرت في أذهاننا نتيجة لممارسة النشاط الكلامي الإيجابي في البيئة المعينة، فهي إذن، ليس فيها أصوات مادية حقيقية، وإنما تحتوي على وحدات صوتية ذهنية (فونيمات) وليست كلمات أو جملاً منطوقة بالفعل، وإنما بها أجناس صرفية نحوية وهي عرفية تقليدية.

فاللغة الثابتة ملك للجماعة لا للفرد، وهي بذلك اجتماعية ونفسية وهي مخزونة في شبه نظام دقيق في الوعي، وبذلك الوصف تنطبق (Languge) على اللغة المعينة كالعربية فقط أو الأجنبية الإنكليزية فقط.

والفرق بين اللغة والكلام كالفرق بين القاعدة وتطبيق هذه القاعدة، فالناس لا يتكلمون القواعد وإنما يتكلمون طبقاً لها، فاللغة يمكن أن تدرس وحدها بمعزل عن تحققها المادي؛ لذا يمكننا دراسة السنسكريتية واليونانية واللاتينية بالرغم من أنها لغات ميتة ليس لها تحقق مادي، أما الكلام فتحتاج دراسته إلى التعرض للتحقق المادي لهذه اللغة. (سوسير: علم اللغة العام، ترجمة، يوئيل عزيز)

ولا ينكر سوسير وجود علاقة بين اللغة والكلام، فاللغة تَمُد الكلام بالقواعد والقوانين التي يجري على ألسنتها تحقيقه المادي الفعلي، والكلام ضروري لبناء اللغة وتكوينها وهو وسيلتها إلى التطور والنمو ، ومن هنا وجد سوسير أن اللغة (Languge) هي التي تستأهل الدراسة وهي الموضوع الأساسي لعلم اللغة.

(كمال بشر: التفكير اللغوي)

علماء المدرسة السويسرية (جنيف)

كون سوسير أشهر علماء هذه المدرسة لا يعني أن هذه المدرسة لم يخرج من رحمها علماء آخرون أدَّوا دوراً محورياً في هذه المدرسة، حيث ذاعت شهرة شارلز بالي على أنه مؤسس الأسلوبية العقلانية، ويقصد بها فحص التعبيرات اللغوية الانفعالية الفردية ، أو الجانب الجمالي، وقد تبنى بالي مبدأ دي سوسير في التمييز بين اللغة وظاهرة الكلام الفردي وطوره من خلال نظرية التحقيق.

انبثقت مدرسة جنيف من تعاليم دي سوسير ولكنها اكتسبت صورتها الأخيرة من العمل الذي قام به تلامذته ولا سيما شارلز بالي (١٨٦٥- ١٩٤٧) الذي كان أيضا أستاذا للسانيات العامة في جنيف.

وكذلك كان البرت سيشيهاني AIBERT SECHNAYS (١٨٧٠-١٩٤٦) مريدا من مريدي دي سوسير ذاع صيته بدراسته في اللسانيات العامة.

(ميلكا إفيتش –اتجاهات البحث اللساني)

أعلام المدرسة:

- اللساني المشهور دي سوسير.
- ريتشارد لوكسنجر: الذي عرض إسهاماته في كتبه (فسيولوجي و بناء الصوت البشري عام ١٩٥١) و(المدخل إلى علم الفونياتري عام ١٩٥٩) و(أمراض الصوت البشري عام ١٩٧١) و(أمراض الشفاه الصوتية عام ١٩٧٦). وقد اشترك مع العالم النمساوي جو تفريد أرنولد في (المنجز في الصوت البشري عام ١٩٧٠).
- البروفيسور فنك، دافيد، هارولد في مؤلفهم (الفونياترى عام ١٩٥٤).
- البروفيسورة ايفاماريا كريش في كتابها (علم الفوناتيك عام ١٩٦٨).
- البروفيسورة هيلينا فيرنا في كتابها (ميكانيكية وديناميكية الحنجرة عند إصدار الصوت البشري عام ١٩٥٥)

(عبد القادر عبد الجليل – علم اللسانيات الحديثة)

قامت هذه المدرسة بجهود طلاب دي سوسير الذين قاموا بجمع محاضراته وضم بعضها مع بعض وإخراجها على وجه كتاب متكامل - الذي سبق وتحدثنا عنه- عام ١٩١٦ بعد وفاة معلمهم ورائدهم –دي سوسير– وبعد جهد شاق قاموا به ومنهم:

- Charles Bally
- Albert Secheneye
- A .Reidinger

وأهم الأسس التي نادت بها هذه المدرسة التي عدت مرتكزات للدرس اللساني الحديث:

- دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.
- التواصل (الاجتماعي).
- التواجد (محتوى تاريخي وثقافي).
- النظام (إشارات متعددة).
- دراسة الثنائيات.

تتميز هذه المدرسة بعدة مميزات منها:

- النزعة القوية إلى الدراسات التي تعالج العنصر الانفعالي (التأثيري) في اللغة.
- حققت نتائج طيبة في فحص العنصر الانفعالي (الأسلوبي) في اللغة.
- بعض أفكار مدرسة جنيف:-
- تصحيح بعض الآراء الزائفة التي كانت تشيع في أوساط التقليديين من اللغويين.
- محاولة تخليص البحث من تبعيته للعلوم الأخرى، وتخصيص علم مستقل ذي حدود معينة يقوم على النظر و الكشف عن خصائصها.

(كمال بشر– التفكير اللغوي)

حلقة براغ اللسانية

تأسست حلقة براغ عام ١٩٢٦م وقام بتأسيسها جيل متحمس للمذهب اللساني الحديث، وهو مذهب سوسير وجان بودوان دي كورتينيه، وكانت الشخصيات الفاعلة في هذه المدرسة العالم جاكوبسون وكارسينسكي وتروبتسكوي.

وبعد موت تروبتسكوي استمر جاكبسون في العمل لصالح هذه المدرسة لكن من هارفارد في الولايات المتحدة.

وقد نشرت حلقة براغ برنامجاً في وقت مبكر يرجع إلى عام ١٩٢٩م وتضمن هذا البرنامج مبادئ عدة، أهمها :

١. اللغة نظام يتكون من وسائل تعبيرية تؤدي وظيفتها في تشجيع الفهم المتبادل؛ لذا ينبغي دراسة الوظيفة الفعلية لأحداث النطق الملموسة.
٢. اللغة حقيقة واقعية فيزيائية، ونمطها محكوم إلى حد كبير بعوامل خارجية مثل الوسط الاجتماعي، كما تشمل اللغة نوعين من تجليات الشخصية الإنسانية تجلٍ ذهني وتجلٍ عاطفي، وأن اللغة المنطوقة والمكتوبة لا يتطابقان ولكل منهما خصائصه المميزة .

وينبغي أن يلاحظ البحث بالدرجة الأولى بين الدارسين اللسانيين، فهذا البحث له تأثير في الواقع اللغوي الفعلي.

(ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

وتبنت هذه المدرسة نظرية سوسير في الفونيم حيث يعني الصوت الكلامي بوصفه واقعة صوتية، وقد سعوا إلى تطويره على اعتبار أنه واسطة العقد في الفونولوجيا، كعلم لغوي تحليلي، ينظر إلى اللغة من جانبها الوظيفي، وأنها تعمل بوصفها وحدة متكاملة من أجل أغراض معينة، وأن الفوناتيك علم طبيعي فيزيائي يختص بدراسة الجانب الفسيولوجي في الصوت الإنساني ويعتمد في بياناته على الأجهزة والآلات، فأصوات الكلام عند هذه المدرسة تنتمي إلى الكلام (Parole)، أما الفونيم فينتمي إلى اللغة (Langue) .

وكانت جهودهم موجهة لشرح الفونيم وتطوير النظرية ، الفنولوجية وعلم الأسلوب والأنماط النحوية المقارنة :

واللغة عند أعضاء هذه المدرسة نظام من العلامات، وميزت هذه المدرسة بين الفونولوجيا والفوناتيك، وكان أعضاء حلقة براغ هم أول من أبرز أهمية المشكلة المتعلقة بعلاقات الجوار اللغوي، وهي ظاهرة اللغات المتجاورة التي تشترك في كثير من السمات كما في اللغات السامية.

(عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة)

(ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

تروبتسكوي عضواً في براغ (١٨٩٠ - ١٩٣٨):

نيكولاي تروبتسكوي مؤسس الفونولوجيا، وكانت مقولات سوسير هي الملهم الأول له، غير أن موقفه النظري لم يتحدد بشكل حاسم إلا من خلال النشاط الذي خاضه في مدرسته، فعمل فيها في مجال الصوتيّات التاريخية للغة البولابية المنقرضة، وتوصل من خلال إلمامه ببعض اللغات إلى أن جميع اللغات ترتبط أصواتها بعضها ببعض في صورة أعضاء تنتمي إلى نظام واحد.

وأقام تروبتسكوي نظريته الفونولوجية على أساس عقيدة فحواها أن الفونيم (الصوت) ينبغي أن ينظر إليه على أنه علامة لغوية مهمتها حمل المعنى للكلمة، وعلى ذلك فإن إحلال فونيم مكان فونيم سيؤدي إلى إحداث تغيير في المعنى.

وكان تروبتسكوي أول من حدد العلاقة بين الوحدة اللغوية غير المتغير أي (الفونيم) وتحققات الصوت الفعلية والمتنوعة. (ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

وقد توصل تروبستكوي إلى فكرة من خلال العلاقة بين الوحدة اللغوية وتحققها تتلخص في ثلاثة أمور محورية:

١. إذا كان الصوتان من اللغة نفسها ويظهران في الإطار الصوتي نفسه، ومن الممكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون أن ينتج عن هذا التبادل اختلاف في المعنى العقلي للكلمة، حينئذٍ يكون هذان الصوتان صورتين اختياريتين لفونيم واحد مثل قولنا:

(مسيطر ومصيطر)، فاستخدام السين والصاد جائز في هذه الكلمة دون تغيير في المعنى.

٢. إذا كان الصوتان يظهران تماماً في الموقع نفسه، ولا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون تعديل على معنى الكلمة يكون هذان الصوتان صورتين واقعيتين لفونيمين مستقلين مثل قولنا (ثامر وسامر) و (نار ودار) ففي كلتا الكلمتين أدى تغيير الفونيم إلى تغيير في المعنى.

٣. إذا كان الصوتان من اللغة نفسها متقاربين فيما بينهما من ناحية السمعية أو النطقية ولا يبرزان مطلقا في الإطار الصوتي نفسه فيعدان صورتين تركيبيتين للفونيم نفسه كما في تفخيم الراء في قولنا (الرَّب) وترقيقها في (فرعون).

(محمد جواد النوري: علم أصوات العربية)

المدرسة الدنماركية (كوبنهاجن)

عرفت هذه المدرسة بجماعة كوبنهاجن، وهم نخبة من اللسانيين الذين أسهموا بشكل فاعل في تطوير الدرس اللساني، ومن بينهم أوتويسبرسن في كتابه المشهور (اللغة) الذي كان يتحدث عن ميدان علم اللغة التزامني، كذلك كان بروندال وبيدرسون الذي ركز اهتمامه على الجانب التاريخي في كتابه(تاريخ الدراسات اللغوية).

(عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة)

واكتسبت هذه المدرسة أهمية عالمية عندما أسست الدورية العلمية التي حملت عنوان (المجلة الدولية للسانيات البنيوية)، وكانت الشخصية البارزة في البداية هي شخصية اللساني فيجو بروندال، غير أنه توفي قبل أن يأخذ عمله النظرية البنيوية صورته النهائية.

وقد كان فيجو بروندال باحثاً على درجة عالية من الثقافة ، وكان له اعتقاد راسخ بآراء سوسير، وقد بدأ عمله نحو إدخال البنيوية إلى اللسانيات بمقالة عنوانها (اللسانيات البنيوية). (ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

ولكن اللساني الأكثر رسوخاً في ميدان البحث العلمي العميق هو: لويس هيلمسليف خليفة برونـدال الذي اشتهر بنظريته الرياضية (الجلوسيماتية) بمعنى

(التحليل شبه الرياضي للغة) فهي نظرية لسانية بنائية تجريبية منطقية تصف اللغة بطريقة رياضية وتسيرها عبر منهجية تستند إلى الفكر الاستنباطي القائم على المنطق الرياضي الدقيق. (عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة)

وقد تنوع التحليل اللغوي في هذه المدرسة، بالإضافة إلى ما جاء في محاضرات سوسير بالنظر إلى التعبير والمعنى إلى مستويات عدة حيث ينتج عن ربط الشكل بالمحتوى أربعة مستويات، هي:

١. مستوى جوهر المحتوى الذي يعني الأفكار قبل أن تحقق لغوياً .
٢. مستوى شكل المحتوى الذي يعني المعنى أو المضمون .
٣. مستوى شكل التعبير وهو الجانب التنظيمي للمادة الصوتية الخام أو هو الإمكانات المتاحة التي تتحقق من تنظيم جوهر التعبير أو المادة الصوتية .
٤. جوهر التعبير وهو المادة الصوتية التي تعد المادة الخام للتعبير.

(محمود جاد الرَّب: علم اللغة نشأته وتطوره)

لويس هيلمسليف

يعد لويس هيلمسليف واحداً من أفراد مدرسة كوبنهاجن (١٨٩٩ – ١٩٦٥م)، ويعد هذا العالم من الدعاة الأقوياء لمذهب سوسير، وتعتمد لسانيات هيلمسليف على سوسير في أمرين: الأول يتمثل في دور الأصوات حيث دأب هيلمسليف على فحص الاصوات دائماً على أنها هيئات مجردة أهمل إهمالاً تاماً مظهرها المادي الملموس.

والثاني أن أصوات اللغة علامات تواصلية، ومن ثم وجب أن تدرس في ضوء هذه الحقيقة، لذا أخضع هذا العالم مذهبه لنظرية العلامات التواصلية.

وحاول هيلمسليف منذ البداية إيجاد نحو منطقي، أي إيجاد معالجة علمية للغة وقد وضع هذا الأمر عالمنا في علاقة مباشرة مع المناهج الرياضية، وأطلق هيلمسليف على نظريته اللسانية اسم (الجلوسيمية) بمعنى اللسان.

وتعنى الجلوسيمية بالمقارنة النظامية لبنى اللغات الحية بالبنى الأساسية لكل الأنظمة (السيموطيقية) أي جميع الوسائل التي يتحقق بها التواصل لغوياً وغير لغوي، وقامت هذه البنى الأساسية على التحليل المنطقي الذي أجري باستخدام الطرق الرياضية، وقد كان هدفه منها هو أن تعين على وضع نظرية عامة للعلامات التواصلية.

(ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

وبذلك يكون منهجه منهجاً استنتاجاً تحليلياً، وإن أهم ما يميز النظرية الجلوسيمية هو تأكيدها القاطع على استقلالية التحليل اللغوي عن المجالات الأخرى غير اللغوية، ومن ثم فإن تركيب اللغة لا يتحدد من معطيات خارج مجال اللغة أو يقوم على أسس بعيدة عن الظواهر اللغوية. (محمود جاد الرّب: علم اللغة)

ومما كان له أثر كبير في مسيرة اللسانيات هو ذلك التفريق اللساني بين مفهومي التعبير والمحتوى، إذ فرق هيلمسليف بينهما، فالعلاقة بين المحتوى والتعبير أكثر تعقيداً مما يبدو لأول وهلة، وذلك ما كان يؤكد عليه دائماً، وظهرت أهمية هذه النظرية إثر ظهور الترجمة الآلية، وقد كان لهذه النظرية قيمة لا شك فيها بالنسبة إلى النظرية المعجمية.

(ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

منهج هيلمسليف في التحليل اللساني

يقوم منهج هيلمسليف في التحليل اللساني على أساس استنتاجي تحليلي، إذ تقسم كل وحدة وتحلل إلى وحداتها الأصغر التي تكون منها، ثم يحصل في كل درجة من درجات الاستنتاج أولا على وحدات صغيرة وتقل ثانيا الموجودات أو القوائم الجدولية.

وينتج تحليل المستوى التعبيري:

١. نصوصا كثيرة لا نهاية لها.

٢. جملا غير محددة.

٣. أجزاء من جمل غير محددة.

٤. كلمات كثيرة لا نهاية لها، وإن كانت محدودة في قوائم القواميس والمعاجم، إلا أنها كلمات غير محددة من الناحية النظرية في تحليل المضمون يتم استبعاد بعض الوحدات اللغوية من التحليل لأنها تتضح من خلال ارتباطها بوحدات لغوية.

نظرية الجلوسيمية

تقوم هذه النظرية على أسس منهجية في إطار البنيوي الوصفي إما نموذجية خالصة أو وصفية منطقية أو أساس اجتماعي؛ بسبب احتضان المدرسة للنظرية العلمية في التجريب المنطقي، وعلى الرغم من شكليتها الواضحةن فالنظرية لا تضع اللغة شكلا وتركيبا سابقا الوجود على الإنسان الناطق حيث تتناولها حقيقة معطاة.

(نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة)

وكانت نظرية الجلوسيمية لهيلمسليف الأكثر رسوخا في ميدان البحث العلمي، فهي نظرية لسانية بنائية تجريدية منطقية، تصف اللغة بطريقة رياضية وتسيرها عبر منهجية تستند إلى الفكر الاستنباطي القائم على المنطق الرياضي الدقيق،وجعل هيلمسليف أسس القواعد اللغوية (صدر ١٩٢٨م) تقوم على الأفكار الأساسية للغة عند سوسير، حيث تؤكد أنها شكل أو صيغة وليس جوهر اً أو مادة في مستوى المعنى (الدلالة والقواعد) ومستوى التعبير(الفونولوجيا).

والنظرية عبارة عن كمية العلاقات المتبادلة بين العناصر التي تقود المستوى المنطوق صوب النهاية المنطقية مع المعايير الوجودية فوق اللغوية، وتحليل المعنى يكون مستقلا عن المعايير، واللغة بذلك شكل ونسق من العلاقات أكثر من مادة إلى جانب كونها نظرية تنحو باللغة منحى التجريد والمنطق وتبتعد عن سماتها الجمالية.

(عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة)

وظهرت أهمية المدرسة من خلال نقل المنهج الفونولوجي في وصف الفونيم إلى جانب المضمون للغة،واهتمت في معرفة البنية الدقيقة للنظام الفونيمي، وهي مسألة البحث عن بنبة قياسية في مجال المضمون من خلال مستويين:

١.مستوى المضمون.

٢.مستوى التعبير.

ويمثل مستوى التعبير النظام الفونولوجي ومادة التعبير هي المادة الصوتية التي تتماثل في كل اللغات، وشكل المضمون نظام المادة من خلال اللغة المعنية ومادتها انعكاس وقائع العالم الخارجي الذي يتماثل مع جميع اللغات.

ونلحظ اختلافا بين علم اللغة ومدرسة كوبنهاجن في الشكل؛ بسبب تحديد اللغة لديهم أنها شكل خاص منظم داخل مادتين المضمون والتعبير، وتضمنت نظرية الجلوسيمية شكل المضمون وشكل التعبير، لما بينهما من صلة من خلال قانون الإحلال وهو ارتباط المستوى الأول مع الثاني، تتبع مدرسة كوبنهاجن أبنية الفونولوجيا والنحو فيطلق عليها هيلمسليف علاقة بين شكل المضمون ومادة التعيين/ التخصيص والمادة هي المعين.

(ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني)

مفهوم الوظيفة ومفهوم العلامة

الوظيفة لها دور محوري في الجلوسيمية وهي مستنبطة من علم اللغة البنيوي ذي التصور الوظيفي.

مفهوم الوظيفة

هي تبعية داخلية بنيوية محضة رياضية ليست دلالية، فالبنية تحدد أنها شبكة أوجه التبعية أو شبكة من الوظائف.

والوظيفة عند الجلوسيميين: هي علاقة تبعية تعليق سواء في علاقة مستوى متجانس مثل المضمون والتعبير وغير متجانس مثل العلاقات بين مستوى المضمون والتعبير.

الأهداف

يعتمد هيلمسليف في تطوير تصوره على دي سوسير الذي يعد أول من طالب بمقارنة بنيوية للغة، الذي يرى أن الوحدات الحقيقية ليست أصواتا أو معاني، بل العلاقة التي تمثل هذه الأصوات والخصائص والمعاني قد تشكل النظام الداخلي للغة.

أما برونـدال أحد رواد المدرسة فقد أكد في تحديـد مفهـوم البنيـة العلاقـة والكليـة، وفهم تحت بنية موضوع مستقل ومن يتم موضوع لا يمكن اشتقاقه من العناصر.

مفهوم علم اللغة البنيوي عند هيلمسليف

مجموعة من الأبحاث التي تعتمد على فرضية تعد من الناحية العلمية مشروعة.

مفاهيم العمل في جلوسيمية (كوبنهاجن)

١. فرض اللغة بنية ليست مبدأ.

٢. الفرض يجب أن يتحقق من خلال الحقائق.

كانت معظم أفكار المدرسـة الدنماركيـة تـستمدها مـن دي سوسـير، إذ أفـادوا مـن تصوره لـ (فكرة الفونيم)، واهتموا (بفكرة الثنائيات) عند دي سوسـير ولا سـيما ثنائيـة اللغة والكلام.

واهتم هيلمسليف بنظرية تحليل العلاقات بـين وحـدات التراكيـب في نظريتـه الـتي جعلت اللغة نظاما شكليا يمكن تحويله إلى رموز رياضية.

(محمد يوسف حبلص: من أسس علم اللغة)

وتكمن أهمية مدرسة كوبنهاجن ف يالدرس اللساني في توضيح آرائها مـن خـلال النظرية الجلوسيماتية، واهتمت المدرسة في نقل المنهج الفونولوجي في وصف الفونيم إلى جانب المضمون للغة، اهتمت ف يمعرفة البنية الدقيقة للنظام الفونيمي، وقد تحـدث عـن المستويات تحليل اللساني، ومستوى المضمون وومستوى التعبير، واكتسبت المدرسة أهمية عالمية في تطور اللسانيات الحديثة بتأسيس الدورية العلمية ١٩٣٩م، حملت (المجلة الدولية للسانيات البنيوية) بقيـادة فيجـو برونـدال، ثـم انتقلـت إلى هيلمـسليف الـي تـوفي عـام ١٩٦٥م، فقد اهتم برونـدال بالمنهج البنيوي في اللسانيات.

المدرسة الإنجليزية

تأسست هذه المدرسة بين اللغويين الإنكليز في بريطانيا، وكـان رائـد هـذه المدرسـة العالم (فيرث) الذي شغل كرسي علم اللغة بجامعة لندن عام ١٩٤٤م، ويمتاز فيرث بكثير من المبادئ التي ينفرد بها عن اللغويين الأوروبيين أو الأمريكيين، ومن أفكاره:

١. اللغة ظاهرة اجتماعية ولا يمكن فهمها وتحليلها إلا على هذا الأساس .

٢. كان فيرث منطقياً مع نفسه ومبادئه حين جعل فكرة (السياق) أساس نظرته في التحليل اللغوي، وعنده أن الكلام ليس ضرباً من الضوضاء يلقى في فراغ، وإنما مدار فهم الكلام والقدرة على تحليله بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين، سماه السياق.

والسياق ذو عناصر معينة متكاملة وهي ضرورية في عملية الفهم والإفهام.

وأنكر فيرث إنكاراً تاماً ما ذهب إليه دي سوسير من وجوب التفريق بين ما سماه (اللغة) بمعنى مجموعة القوانين العقلية المخزونة في ذهن الجماعة (الكلام) بمعنى الأحداث المادية المنطوقة بالفعل، ويرى فيرث أن هذه (الثنائية) لها مضمون خطير، إذ الاعتراف بها يقتضي الاعتقاد بثنائية الإنسان نفسه ، والإنسان وإن كان مكوناً من جسم مادي وروح، فلا يمكن فصل الجانبين بعضها عن بعض بحال من الأحوال، فكذلك لغته.

٣. ينهج النهج الوصفي الدقيق ويطبقه في أعماله تطبيقاً صارماً، ويعنى بوصف الحقائق اللغوية كما هي دون الالتجاء من أي نوع إلى علوم غريبة عن اللغة (في رأيه) كالمنطق أو علم النفس، كما يرفض التأويل والافتراض، وهو يعنى باللغات الحية، ومن ثم يشجع على البحث في مجال اللهجات واللغات الخاصة ليس لأنها أفضل أو أحسن، وإنما على أساس أنها تمثيل صادق للحياة الاجتماعية التي يسلكها أصحاب هذه اللهجة أو تلك.

٤. لا ينكر أن علم اللغة وأنظمته متعددة أو فروع ولكن هذه الفروع متكاملة ولا يمكن فصلها بعضها عن بعض فصلاً تاماً أو ما يشبه أن يكون كذلك ، أما العلاقة بين النحو والدلالة فهي علاقة الجزء بالكل ، الكل هو المعنى وهذا المعنى نحوي وآخر صرفي وآخر صوتي، ومجموعة هذه الأجزاء وحاصل جمعها هو المعنى العام للحدث اللغوي المعين.

٥. ينكر فيرث إنكارا تاما التفريق بين نوعين من الفونيمات بعكس ما فعل الأمريكان تماماً، إذ إنه لا يعترف بما يسمى الفونيمات الأساسية والفونيمات الثانوية.

٦. اهتمامه الأكبر كان موجها على الأقل في سنواته الأولى – على الفونولوجيا وطور لنفسه منه منهجاً متميزاً يعارض به فكرة (الفونيم) عند الأمريكان، وهو صاحب فكرة "التطريز الفونولوجي" أو ما يعرف في الدرس العربي الحديث بالتطريز الصوتي، ويعني به ما يقابل الفونيمات الثانوية عند الأمريكيين كالنبر والتنغيم والمِفْصل .

أهم أعلام المدرسة الإنجليزية

برزت شخصيات لغوية تركت بصمات واضحة في مسار علم اللغة الحديث، حيث حاولت هذه الشخصيات النهوض العلمية بالمجال اللغوي عن طريق سلسلة من الدراسات العلمية للوصول حقائق باهرة.

وتضم هذه المدرسة أعضاء بارزين أمثال:

A.J. Ellis	إليس
Sir Isaac Pitman	بيتمان
C.R.Lepsiu	ليبسو
H. Sweet	هنري سويت
Danil Jones	دانيال جونز
M.A.K.Halliday	هاليدي
J.R.Firth	جون فيرث
Sir William Jones	وليم جونز

ويعد فيرث (ت١٨٩٠-١٩٦٠) رائد هذه المدرسة نموذجاً يمثل فكرها الذي ركز على جوانب كثيرة من علم اللسانيات، حيث أسهمت البحوث التي توصل إليها في المجال اللغوي إلى إبراز أهمية المدرسة، حيث تتلمذ أغلب اللغويين العرب الروّاد في مجال علم اللغة على يد فيرث.

أهم الاتجاهات اللغوية التي نادت بها المدرسة

١- لم يكن الاتجاه الإنجليزي، في ميدان الدراسات اللسانية، يمثل خطاً واحداً ذا منهجية متماثلة، ولكن المتجه العام له ، منذ عصر النهضة فصاعداً، ركز على الصوتيات، في ميادينها التطبيقية كإصلاح الإملاء، وتعليم اللغات، وابتكار رموز أبجدية وأنظمة صوتية جديدة وعامة.

٢- دراسة الجوانب الصوتية للغة حيث ظهر مصطلح الفونيم، وظهرت في مصنفات هذه المدرسة الملامح غير الجزئية حيث ضمت النبر، التنغيم، المفصل.

٣- دراسة الوسائل التي تعين على تحديد المعنى، ولا سيما المتصلة منها بالظروف الاجتماعية المحيطة بالحدث اللغوي.

٤- أهمية أن يعتمد كل تحليل لغوي على أساس مراعاة ما يسمى السياق اللفظي أو اللغوي وسياق الموقف أو المقام.

٥- دراسة التحليل النحوي "النحو النظامي".

رؤى رواد المدرسة الإنجليزية في اللسانيات الحديثة

كان التركيز على علم الصوتيات من نتائج تقاليد علم اللسانيات الذي ظهر في بريطانيا، وقد كان هنري سويت في طليعة المهتمين بالدراسات الصوتية، بنى دراساته التاريخية على فهم مفصل لحركة الأعضاء الصوتية ، وكان ذلك ظاهراً في كتابه "دليل الصوتيات" .

كما كان سويت من أوائل مؤيدي فكرة الفونيم، وسار دانيال جونز على نهج سويت في الصوتيات حين اهتم بالتدريب الواسع في المهارات العملية، مثل: الإدراك، والكتابة الصوتية، ونطق الفوارق الدقيقة بين أصوات الكلام لما لها من أهمية في دراسة اللغة.

إن الفونيم عند جونز (عائلة أو مجموعة من أصوات اللغة المتقاربة سماعاً ونطقاً، والتي لا تظهر مطلقاً في الإطار الصوتي نفسه أي أن ترابطها في الصفات في لغة معينة

تمنع وقوع أحد الأصوات في كلمة من الكلمات في السياق نفسه الذي يقع فيه أي صوت آخر من العائلة نفسها).

ويرى جونز أيضاً أن الفونيم قد يكون ذا أعضاء متعددة يدعى أحد هذه الأعضاء عضواً رئيسياً (إذا كان أكثر وروداً في الاستعمال أكثر من غيره، أو إذا كان يستعمل منعزلاً عن السياق أو كان متوسطاً بين الأعضاء المتطرفة). وقد أضاف جونز إلى مصطلحي الفونيم والـ (فون) مصطلحاً ثالثاً وهو الصوت المزدوج (الديافون)، وعند جونز وظيفة (الفونيم) هي التمييز بين الكلمات وإعطاؤها قيماً لغوية مختلفة صرفية أو نحوية أو دلالية.

أما فيرث فكان أول من جعل من اللسانيات دراسة علمية متميزة ومعترفاً بها في بريطانيا.

حيث ركز على جانبين من الحدث اللغوي الكلام بوصفه المادة الحياة المنطوقة الممثلة للغة، ورفض ثنائية سوسير الفصل بين جانبين للحدث اللغوي.

كما عنى فيرث بتدريس مقررات في علم الاجتماع اللغوي، وقد صبت نظريات فيرث جُل اهتمامها على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة بشكل أساسي، حيث اعتمد على تفكير الأنثروبولوجيين.

وطور نظرية سياق الحال بوصفه الوسيلة الوحيدة لتحديد الدلالة (الفونولوجيا) التي تمثل الصلة بين القواعد، والصوتيات.

نظرية المعنى عند فيرث

المعنى عند فيرث ليس العلاقة بين اللفظ وصورة الشيء الذهنية، بل المعنى تحدده وظيفة الحدث اللغوي من خلال خضوعه للتحليل تدريجياً على مستويات اللغة كافة؛ الصوتية، والصرفية، والنحوية في ظل سياق الحال.

وتعتمد نظرية المعنى عند فيرث على أهمية سياق الحال وتحليل الحدث الكلامي صوتياً ونحوياً في الكشف عن دور هذه النظم في أداء المعنى .

ويصرّ فيرث على أن الصوت والمعنى في اللغة متصلان مع بعضهما، ويرفض رؤية التعبير والمضمون كوجهين مختلفين لعملة واحدة.

وربما تأثر فيرث برأي زميله برونسلاف مالينوفسكي وهو أستاذ في علم الإنسان "الأنثروبولوجيا" حول اللغة. في أن اللغة وسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلم إلى رأس السامع ، حيث توصل إلى أن الكلمات هي أدوات "معنى" الأداء يكمن في استعمالها. ويورد مالينوفسكي في معرض شرحه رأيه عن المعنى فكرة "مقتضى الحال" .

لكن فيرث يعتقد أن "التكلم بلهجة أمريكية هو بالتأكيد جزء من المعنى الذي يقصده الأمريكي"، ويعتقد أن أية خاصة من خصائص العبارة الكلامية هي جزء من معناها. (ينظر: قضية نظرية المعنى عند فيرث، ترجمة عبد الكريم مجاهد، مجلة آفاق عربية)

وهناك تطوران لغويان يرتبطان باسم فيرث هما:

نظريته في سياق الحال" النظرية السياقية للمعنى والتحليل الصوتي البروسودي.

" فالمعنى" أو"الوظيفة في السياق" يجب أن يفسر على أنه مدى القبول أو الملاءمة في ذلك السياق.

فالعبارة أو جزء من العبارة لا تكون "ذات المعنى" إلا إذا كانت لها وظيفة سياقية، ومن الممكن أن تستعمل بشكل ملائم في سياق محلي، ويبدو أن هذا يتضمن أن العبارات لا تكون إلا إذا كانت متوقعة الأمر الذي ينافي الواقع، ويمثل تفسير السياق بأنه الكلمات في النص التي تحيط بالكلمة أو الكلمات التي يراد إظهار معناها ومساواة الكلمة بمجموعة السياقات الكلامية الواقعة فيها.

وينظر فيرث إلى المعنى أنه مرّكب من العلاقات السياقية والأصوات والنحو والصرف والمعجم الدلالة، وكل منهما يوجه عناصره في التركيب في سياقه المناسب.

وهكذا تتعاون فروع الألسنية كلها في أداء المعنى، وأنه عندما يقوم بهذه العملية التي يتبعها في تشقيق المعنى إلى عناصره الوظيفية يلجأ إلى القياس.

وتنتقد نظرية فيرث في السياق بأنها تتسم بالغموض وينقصها الوضوح.

ولم يتوقف اللسانيون البريطانيون عند منهج فيرث، ومن هؤلاء اللساني هاليدي في نظرية "النحو النظامي" وقد عَرَف الأنثروبولوجيا وأفاد من معطياتها في توجيه دراساته.
(كمال بشر: التفكير اللغوي، عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة)

المدرسة الأمريكية

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت بعض تقاليد البحث اللساني بالتطور في الولايات المتحدة ، إذ أسهم وليم ويتني أستاذ اللغة السنسكريتية في توجيه البحث اللساني، فكانت آراؤه في انسجام تام مع التفكير اللساني الأوروبي.

وتعود البنائية الأمريكية في علم اللغة إلى مصدرين أساسين الأول نظرية سوسير اللغوية، والثاني أفكار النحاة الشبان الذين ظهروا في ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر، وأقاموا نظريتهم اللغوية على أساس علم الطبيعة، فقد درس ويتني في ألمانيا كما ولد بواس وسابير في ألمانيا، أما بلومفيلد فقد تتلمذ على اللغوي الألماني ليسكين.

وقد تأسس علم اللغة الوصفي في أمريكا على يد بواس وسابير وورف، وإن كان الفضل الأكبر يرجع إلى بلومفيلد في أنه وضع الإطار الشامل للبنيوية الأمريكية، وكان بواس أول لغوي وصفي بالإضافة إلى كونه عالماً أنثروبولوجياً، وهذا أهّله لدراسة لغات الهنود الأمريكيين دون النظر إلى النحو اللاتيني التقليدي، وكان الارتباط اللغوي بين علم اللغة والأنثروبولوجيا في النصف الأول من القرن العشرين العلامة البارزة في الدراسات اللغوية في أمريكا، مما أدى إلى اهتمام علماء اللغة الأمريكيين بلغات الهنود الأمريكيين، إذ توصل إلى وضع شجرة النسب لهذه اللغات في المناطق الأمريكية الواقعة شمال المكسيك التي ما زالت تستعمل حتى الآن مع قليل من التغيرات.

وقد كانت هناك مجموعة من العوامل التي أثرت في التفكير اللغوي الأمريكي بعامة، من هذه العوامل انشغال الأمريكان بدراسة اللغات الهندية الأمريكية غير المكتوبة في الأغلب، وانصرافهم إلى فهمها من مستوييها الفنولوجي والصرفي خاصة، وفي الأربعينيات من القرن المنصرم اتجه اللغويون الأمريكان إلى كتابة قواعد جديدة لبعض اللغات المهمة بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية كاللغة اليابانية والصينية والروسية

وبعض أشكال اللغة العربية، وحاولوا وضع هذه القواعد لأنها تناسب حاجاتهم وهي تقديم أسس صالحة للسيطرة على طريق استكمال هذه اللغات ونطقها، والتعرف على الصيغ والتعبيرات اللغوية الضرورية للكلام الفعلي وفهم الجمل البسيطة .

وهذه العوامل دفعت اللغويين في أمريكا إلى اتباع منهج عملي موضوعي مبني على الملاحظة والتجربة بعيداً عن التأويلات والافتراضات أو البحث عن البنية العميقة للغة، وهذا نابع من تأثرهم بعلم النفس السلوكي، ويتضح ذلك من خلال تحليلهم للكلام وحسبانه عنصراً من عناصر سلسلة من المثيرات أو الدوافع وردود الفعل، ومن هنا جاء اختلاف الأمريكيين مع اللغويين الأوروبيين ومن ضمنهم سوسير في بعض النقاط التي ميزت منهجهم ورشحته لنوع من الاستقلالية.

كما أن آراء بلومفيلد اللغوية، تأثرت بموقف الفلاسفة الوضعيين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

قال بلوك: (ليس هناك أدنى شك في أن أعظم ما أسداه "بلومفيلد" لدراسة اللغة هو جعل هذه الدراسة علماً).

فمنذ بداية نشاط الدراسات اللسانية في أمريكا خال القرن العشرين، تمثلت هذه الدراسات بجهود كل من "فرانس بواس" و "ليونارد بلومفيلد".

وكان بلومفيلد وإدوارد سابير هما أهم علماء اللسانيات بعد" بواس"، وبدورهما تأثرا ببواس وأخذا عنه، فرغم تأثرهما ببواس إلا أنهما اختلفا في طبيعة الأثر الذي تركه كلاهما، فسابير اهتم بدراسة اللغات الجرمانية، أما بلومفيلد فظلّ اهتمامه في إطار الاتجاه التوزيعي باحثاً في النظام اللغوي والكلام من حيث هو سلوك إنساني.

ليونارد بلومفيلد

ولد ليونارد بلومفيلد في شيكاغو عام ١٨٨٧، كان عمّه موريس بلومفيلد أستاذاً للسنسكريتية في جامعة جونس هو بكنز، تابع ليونارد دراسته بشكل عادي، وأمضى في أوروبا مع أسرته (١٨٩٨-١٩٠١) ودخل هارفارد عام ١٩٠٣، حيث حصل على شهادة الماجستير عام ١٩٠٦، وبدأ في العام نفسه مهنة التعليم، إذ عمل معيداً للغة الألمانية في

جامعة ويسكونسن،ثم انتقل عام(١٩٠٨)إلى جامعة شيكاغو حيث حصل على شهادة الدكتوراه عام (١٩٠٩)، وفي السنة التالية أصبح أستاذاً للألمانية أيضاً في جامعة سينسيناتي التي غادرها إلى جامعة إيلنوي من عام (١٩١٠) إلى عام (١٩١٣) وقضى للدراسات المقارنة: بروغمان، وليسكن، وصار بين عامي ١٩١٤و١٩٢١م أستاذاً مساعداً، وبين عامي (١٩٢١و١٩٢٧) أستاذاً للقواعد المقارنة وعلم اللغة، وأسهم في (١٩٢٥) مثل الكثير من علماء اللغة الأمريكيين في حلقة بحث ميدانية، بصفته معيداً في علم خصائص الشعوب، وذلك لحساب القسم الكندي للمناجم.

وبين عامي (١٩٢٧و١٩٤٠) نال منصبه أستاذاً للغة الألمانية في جامعة شيكاغو، وفي عام (١٩٤٠) خلف سابير في تدريس علم اللغة في ييل، غير أن شللاً نصفياً أبعده عام ١٩٤٦عن كل نشاط وذلك حتى وفاته عام ١٩٤٩م.

لم يملك بلومفيلد شخصية الكاتب المبهرة ولا شخصية الأستاذ أو المتحدث مثل سابير: فلم يشتهر كما لم يفتش عن الشهرة وكان عدد طلابه قليلاً بشكل عام، فهو لم يكن يشجعهم في البداية إلا قليلاً، بل كان يبين لهم أن لا مجال لإيجاد عمل مريح، وعلى مستوى النجاحات الأكاديميّة كان بلومفيلد ينسحب مختاراً ولا يحب الإدارة، ولا مراكز القيادة، فقد كان استقلالي النزعة مناهضاً للكنيسة وللجندية أيضاً ؛ مما سبب له الكثير من المشكلات الجامعية الخطيرة عام (١٩١٨)، غير أن انسحابه لم يكن خجلاً، فقد كان ذا ذهن صلب مقاتلاً لا يلين.

وكانت إحدى تسلياته المفضلة مع من حوله جمع الأخطاء التي يرتكبها غير اللغويين في حديثهم عن اللغة(ومن دواعي الأسف أنه لم ينشر أي شيء من سفر الحماقات المفيد هذا)،وكان بين عامي(١٩٢٤-١٩٢٥)أحد الموقعين على النداء الذي كتبه بخط يده، من أجل تأسيس الجمعية الأمريكية لعلم اللغة وأساتذة اللغات الحية،وأصبح في العام نفسه مؤسس مجلة (Language) لسان حال الجمعية الجديدة،وحين وجدت الولايات المتحدة نفسها أمام صعوبات الحرب في المحيط الهادي عام (١٩٤١) أعاد مناهج الإعداد اللغوي للمقاتلين الذي كان على درجة كبيرة من الأهمية والتعقيد.

بلومفيلد عَلَم المدرسة الأمريكية

يعد بلومفيلد علماً من أعلام الدراسات اللغوية في أمريكا وكتابه (اللغة Language) يحسبونه هناك إنجيل علم اللغة، حيث تدين له بالفضل البحوث اللغوية الأمريكية الحديثة.

ولا تقل أهمية ما قدمه بلومفيلد في أمريكا عما قدمه سوسير في أوروبا، لكن الثاني كان أسبق زمناً مما أعطاه شهرة أكبر، وقد أفاد بلومفيلد من العالم دي سوسير، فقد تأثر به أو أخذ عنه فكرتين مهمتين هما النظرة السنكرونية في التعامل مع اللغة، والفكرة البنيوية للغة في عموم معناها، وهاتان الفكرتان متلازمتان في المنهج البنيوي.

والبنيوية عند بلومفيلد وأتباعه بنيوية من نوع خاص، وهي في الوقت نفسه مبدأ من منظومة من المبادىء التي تكون إطاراً عاماً، فبلومفيلد بنيوي من زاويتين اثنتين فقط هما:

١. النظر إلى اللغة على أنها نظام من وحدات منتظمة في تركيب بشكل أفقي ولكل وحدة مكان تشغله في هذا التركيب أو هذه السلسلة الأفقية.
٢. تؤخذ اللغة بهذا الوصف منعزلة عن الظروف الخارجية والملابسات الأخرى، كالعوامل الثقافية أو الاجتماعية، فالمقام ليس معنياً بتحليل المقال.

آراء بلومفيلد اللغوية

بالرغم من هذا الاتفاق في بعض مبادىء البنيوية بعامة، إلا أننا نلاحظ أن بلومفيلد وأتباعه نحَوا بهذه البنيوية منحىً يبعدها عن البنيوية الأوروبية بشكل ملحوظ، من ذلك:

١. أن بلومفيلد ينظر إلى الوحدات في التركيب الأفقي لا على أساس أنها قطع من المكونات أو الوحدات لكل منها موقع أو نقطة محددة ولها اسم مميز لها، فمثلاً في جملة: الورد الجميل يفتح أوراقه ، ترى أن كلمة (الورد) شغلت موقع المبتدأ وسميت اسماً، و(الجميل) شغلت موقع الصفة وسميت صفة، و(يفتح أوراقه) شغلت موقع الخبر وسميت فعلاً وهكذا ...

ومعنى هذا أن السلسلة الكلامية يمكن أن تجزَّأ إلى وحدات مستقلة على نحو ما يجري في القواعد التقليدية، وبذلك يكون المنهج البلومفيلدي مُتَّسماً بشيء من العمق والشمولية؛ لأنه بالإضافة إلى هذا التقطيع يعمد إلى بيان الأجناس الكلامية التي يصح أن تقع في هذه المواقع المحددة، ووفقاً لهذا يمكن تحديد أصناف العناصر اللغوية التي تدخل في هذه الفئة أو تلك ، وهي أسماء وأفعال وصفات وأدوات، بمعنى آخر يمكن التعرف على أصناف أو أجناس الكلم عن طريق توزيعها في السلسلة الكلامية، ومن هنا سمي هذا بالمنهج التوزيعي (Distributional).

٢. نظر بلومفيلد إلى اللغة على أنها مادة كأي أحداث فعلية ، وليست هيكلاً أو مجموعة من النظم التجريدية، وركز في دراسة العلاقات بين هذه الوحدات المادية على الفنولوجيا أولاً ثم الصرف والنحو، وقد عني بلومفيلد بالكلام على النقيض من سوسير الذي عني باللغة، حيث انحصر عمله في اللغة من ناحيتها المادية أي الأحداث الفعلية الواقعة أو الكلام لذلك عرفت نظريته أحياناً بالنظرية المادية.

٣. اكتفى التحليل عند بلومفيلد بالنظر في العينات أي المادة المتاحة التي أمكن جمعها على أساس أن فيها من النماذج أو القواعد العامة مالا يغطي جملة اللغة أو الكلام الواقع تحت الدراسة، فهذه العينات تمثل اللغة في عمومها وما جاء فيها أو استخلص منها من قواعد تأتي اللغة كلها على منواله.

وقد أهمل بلومفيلد وأتباعه النظر في البنية العميقة التي تعنى بها لبّ المعنى العام للتركيب، واهتموا بتحليل المكونات المباشرة الموجودة بالفعل في التراكيب لأنهم يهتمون بالملاحظ ملاحظة مباشرة، لذا سميت مدرسة بلومفيلد بالمدرسة البنيوية الشكلية، بنيوية لأنها تنظر إلى الأحداث اللغوية في تراكيب، وشكلية لاعتمادها في الوصف على الشكل والصورة أكثر من الوظيفة أو المعنى.

٤. يرى بلومفيلد وأنصاره من بعده إخراج المعنى من الحسبان أو التحليل اللغوي على أي مستوى من المستويات؛ وذلك يرجع في رأيه إلى صعوبة التعرف على المعنى بدقة، إذ إن ذلك يقتضي المعرفة الدقيقة لكل ما يجري في المجتمع المعين من خبرات وحِرَف

وصنائع وهذا أشبه بالمستحيل، وبناء على هذا النهج فهو ينظر إلى الأحداث اللغوية على أنها جزء من موقف أو إطار جزؤه الأول الدافع والمثير، والثاني المنطوق نفسه، والثالث رد الفعل أو الاستجابة العملية.

٥. يرى بلومفيلد أن الوصف العلمي الصحيح والملائم هو ذلك الذي يمكن أن يستفيد من الاصطلاحات المجردة Abstract Terms، بشرط أن تكون كل حالة في استخدام تلك الاصطلاحات مشتقة من مجموعة من الاصطلاحات المتداولة في حياتنا اليومية وله علاقة بالأحداث المادية.

وهذا المنهج مكنّ بلومفيلد من استبدال النزعة الذاتية Subjectivity التي كانت بداية السبب المباشر في إفساد علم اللغة في أوروبا، فقد واجه بلومفيلد بدلاً منها درجة عالية من الموضوعية Objectivity في الوصف اللغوي، ورأى بلومفيلد أن الاصطلاحات التي تم إدخالها إلى الوصف اللغوي دون أن تكون قد اشتقت بشكل مباشر من المعطيات اللغوية (Linguistic Data) الحقيقية.

٦. أصر بلومفيلد على رفض الاصطلاحات العقلية، وموقفه في الأساس كان رفضاً لما عدّه محاولات تبسيطية Simplistic Attempts مفرطة لتوضيح الاستخدام اللغويّ، فقد رأى أن علماء اللغة، وفي أوروبا خاصة أنهم عقليون Mentalistic يبحثون في أعمالهم اللغوية عن توضيح للاستخدام اللغوي الذي يحتكم إلى أغراض مستخدمي اللغة واعتقاداتهم وتوقعاتهم.

ويقترح بدلاً من هذا التوجه العقلي، والذي يراه منهجاً غير علمي لتوضيح اللغة ما سمّاه بالرؤية الآلية Mentalistic View في توضيح اللغة فيقول (يعدّ عالم اللغة ذو التوجه العقلي اللغة تعبيراً عن الأفكار، أمّا عالم اللغة ذو التوجه الآلي، فإنه لا يقبل بهذا الحل، حيث إنه يعتقد أن الانطباعات العقلية Mental Images والمشاعر وما شابهها لا تعدو أن تكون اصطلاحات سائغة لحركات جسمية متنوعة).

ولكن رأيه لم يكن هكذا دائماً بين اللغة والعقل، فقبل ذلك قال : "ربما أنّ الطالب المتخصص في علم عقلي Mental Science يستطيع، بل ينبغي له أن يحجم عن إعطاء

أي تفسير نفسي Psychological Interpretation متسرع، لكن مع ذلك، إنّ تفسيراً كهذا لا يمكن تجنبه... إنّ علم اللغة هو أحد أكثر العلوم العقلية، احتياجاً لتوجيه النظرات النفسية المعمقة المتاحة في كل خطوة يخطوها".

وهذا يجعلنا ندرك تأثره بعلم النفس، لأنه تتلمذ على أستاذ علم النفس (A.P.Weiss) عام ١٩٢١. فكان هذا ما جعله يميل إلى النظرية السلوكية في علم النفس.

ولكن رأيه هذا تراجع عنه منذ ١٩٤٢، إذ بدأ يعتقد أن علم اللغة علم مستقل Autonomous Science فيقول: " إن علم النفس Psychology وعلم الأصوات غير الوظيفي Phonetes هما علمان لا صلة لهما بدراسة اللغة".

٧. فضلاً عن اهتمامه بالسّمة الموضوعية، التي أدخلها بلومفيلد في البحث اللغوي، تبنى الوصفيّون رأيه بضرورة دراسة اللغة بوصفها علماً مستقلاً عن علم النفس، علماً له طرائقه الخاصة وموضوعه الذي لا يشاركه فيه أي علم آخر.

وهذا كان له أثره على الوصفيين منهم بلوك وتراغير، وهما اللذان وصفاه في كتابهما (مختصر التحليل اللغوي) بـ (عالم موضوع بحثه اللغة ومهمته أن يحلل ويصنف حقائق الكلام، كما يسمعها عندما ينطقها متكلمو اللغة الأم أو كما يجدها مدونة كتابة) ، فهم يرون أن عالم اللغة يتعامل فقط مع أحداث حقائق الكلام.

٨. يعد بلومفيلد كل الدراسات التي ترتكز على الأصوات الكلامية من دون اعتبار لحالات المعنى، دراسات يمكن تصنيفها في الميدان التجريبي، لذا لا يمكن الاعتماد عليها في بيان جوانب التماثل والتغاير في الأشكال اللغوية، إلاّ إذا كانت مصحوبة في المعنى.

وهكذا نستخلص أن بلومفيلد كان ينظر إلى اللغة على أنها علم مستقل بموضوعاته وبحثه، ولا صلة له بأي علم آخر، فبلومفيلد كان حريصاً في أبحاثه على أن المعنى هو الذي يفسح الطريق أمامنا لدراسة الأشكال اللغوية، والنص المنطوق لا يحمل أهمية في ذاته إلا إذا كان حاملاً للمعنى.

كما اعتنى بلومفيلد بما يسمى بالمؤلفات المباشرة، أو المكونات المباشرة، وهذا منهج يقوم على اعتبار أن التركيب التام ليس خطاً مسطحاً مستقيماً دائماً، وإنما وحدات متناسقة ضمن منظومة مدركة، ويعتبر بلومفيلد الرائد في هذا الشكل.

وترتكز رؤية بلومفيلد على نظام الطبقات، حيث يتكون التركيب من طبقات من المكونات، وليس من العناصر المتناسقة، لكن المكون الطبقي عند بلومفيلد يبدأ من القمة وينزل إلى القاعدة.

فضلاً على أن بلومفيلد كان ينظر إلى أن أصعب خطوة لدراسة اللغة هي الخطوة الأولى، لأنها خطوة غير مضبوطة، تقود الدارس إلى الطريق الخاطئ.

٩. تفسيره لعلم اللغة: كان تفسيره هو الطاغي على مواقف وجهات نظر معظم الجهود في علم اللغة الأمريكي في الثلاثينيات والأربعينيات، وذلك لمكانة كتابه (اللغة) بوصفه كتاباً دراسياً للطلبة، وأصبحت الأعمال التي أنجزت في تلك الفترة مجرد توضيح أو تطوير لبعض الأفكار والمقترحات التي عبر عنها بلومفيلد.

وأصبحت هذه الفترة تعرف بالفترة البلومفيلدية، وعلم اللغة عند بلومفيلد يمكن تناوله باعتباره وحدة، ولأن علم اللغة في تلك الفترة (١٩٣٣ – ١٩٥٧) كان فرعاً معرفياً مستقلاً بذاته، وتأثيرات بلومفيلد كانت تلمس عند المجتمع العلمي في الدراسات اللغوية.

ألح بلومفيلد على التركيز على التحليل الشكلي عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعي، والوحدتان الأساسيتان للوصف هما الفونيم الذي توسع فيما بعد ليشمل كل الظواهر الصوتية المميزة، والمورفيم وهو الوحدة الصغرى للتركيب القواعدي، أما التحليل القواعدي فحذا حذو المنهج الفونولوجي، والفونولوجيا أصبحت هي القدوة في عهد بلومفيلد، فيما يتعلق بالنظرية الوصفية والمنهجية .

وقد كرّس بلومفيلد غايته للتعريف الشكلي للكلمة، بوصفهما وحدة قواعدية، وأقام بلومفيلد تمييزاً أساسياً بين التراكيب المركزية والتراكيب اللامركزية، فيما كان التركيب نفسه بشكل عام مشابهاً أو غير مشابه نحوياً لأي من مكوناته المباشرة.

١٠. اعتناقه المذهب السلوكي، وتبنّيه له، والملامح المميزة لهذا المذهب.

ازدهرت دراسة اللغة على أساس المذهب السلوكي في علم النفس في أمريكا، وخير ممثل لهذا الاتجاه هو بلومفيلد، فقد تأثر بلومفيلد ومن تبعه بالاتجاه السلوكي، وخاصة سلوكية ألبرت فايس في كتابه (الأساس النظري للسلوك الإنساني).

ويرى السلوكيون أن السلوك الإنساني يوصف وصفاً دقيقاً عن طريق اعتبار الظواهر الفسيولوجية وغيرها من الظواهر المادية التي تصحب سلوك الأفراد، ولا يمكن دراسة الظواهر الإنسانية عندهم دراسة علمية إلاّ بهذه الطريقة.

وظهر لدى السلوكيين مصطلحات مثل (الإرادة) و(الشعور) و(الفكرة) و(الانفعال) وتترجم إلى لغة تتضمن حالة فسيولوجية أو فيزيقية أو كلتيهما معاً.

ولهذا نجد في دراسات بلومفيلد اللغوية مصطلحات كهذه: (Response) الاستجابة، و(Substitute Response) الاستجابة البدلية و(Substitute Stimulus) المثير البدلي.

وعندما تحدث بلومفيلد عن معنى الكلمة ومعنى النطق قال: "ينبغي تعريفه عن طريق أحداث عملية أو فسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها". ويضرب بلومفيلد مثلاً كقوله:

"معنى (الجوع) في قولي: "أنا (جائع)، يعرف بالتقلص العضلي، وما يحدث في المعدة من إفرازات وما قد يصحب ذلك من عطش وغيره".

كما يرى بلومفيلد أن (الأفكار والتصورات) ينبغي أن يعاد وصفها بألفاظ فيزيقية، وقال: "حتى الحُب والكُره ينبغي وصفهما بمثل هذه الطريق، فبلومفيلد يرى أنك تستطيع تعريف أي كلمة عن طريق مكوناتها).

وخير مثال يمثل مذهبه السلوكي، هي القصة الشهيرة التي أوردها بلومفيلد، والمعروفة بـ (جاك) و(جيل) و(التفاحة) فيسرد القصة التي أوردها في الفصل الثاني من كتابه.

خرج الفتى جاك يتنزّه في الرياض مع الفتاة جيل، وجيل تلمح تفاحة على شجرة فتشتهيها، ولو كانت جيل بمفردها لوجب عليها تسلق الشجرة لقطف الثمرة، ويمثل على ذلك، أن تنتقل من الحافز (الرغبة) إلى الاستجابة (رد الفعل) ولما كان جاك بصحبتها، أصدرت بعض الأصوات بحنجرتها ولسانها وشفتيها. وهذا دفع "جاك" إلى قطع التفاحة، وإعطائها "لجيل"، وهذا حدث كالتالي:

حدثت استجابة عند الفتاة ←حفزت الشاب حفزاً غريباً (أي أنه أدرك الأصوات التي فاهت بها "جيل") ←استجاب "جاك".

حافز ← استجابة لسانية ← حافز←استجابة.

وهذه السلسلة من الحوافز والاستجابات تتفق مع ما ذهب إليه بلومفيلد في تفريق التخاطب بقوله "لقد ملأت الأمواج الصوتية الفجوة الفاصلة بين جسم المتكلم، وجسم المستمع، فكانت همزة الوصل بين جملتين عصبيتين "ويمكن أيضاً أن ننظر إلى هذه القصة على أنها تتكون من ثلاثة أقسام:

- الأحداث العملية السابقة على الحدث الكلامي.
- الكلام.
- الأحداث العملية التي تلي الحدث الكلامي.

"فجيل" كانت جائعة، وعلى المذهب السلوكي نجد أن تفسير بلومفيلد له يكون على النحو التالي:

جيل جائعة، أي أن بعض عضلاتها متقلصة؛ ثم أثرت في عينيها الموجات اضوئية التي انعكست من التفاحة، رأت "جاك" إلى جوارها، وعلاقتهما السابقة تصبح في هذا الموقف ذات أثر، وكل الأحداث السابقة لكلام "جيل" تدعى مثيراً أو منبهاً.

وأخيراً ما يتعلق "بجاك" هو السامع، وذلك بإحضاره التفاحة، وإعطائها "لجيل"، وهذا ما ندعوه بالاستجابة، أي استجابة السامع ثم ما يحدث بعد الاستجابة، يختص بجيل التي تأخذ التفاحة وتأكلها، فما قامت به "جيل" من حركات وضجة قليلة هي (كلام)،

فاستجاب "جاك" بقيامه بردود أفعال، أدى أعمالاً فوق طاقة "جيل"، وهكذا تحصل على التفاحة.

ونستنتج من لك أن اللغة تمكن الشخص من إحداث رد فعل عندما يتوفر طريق اللغة، وبلومفيلد طبق السلوكية على اللغة تطبيقاً آلياً، ويدخل في اعتباره العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام، ويعدّها عنصراً لازماً لإدراك معنى الكلام، فالسلوكية لا تتجاهل العناصر الاجتماعية ولكنها تعبر عنه بمصطلحات خاصة بهان فهي تهتم بشخصية المتكلم، وشخصية لاسامع، وبعض الظروف المحيطة بالكلام،م وهكذا فإن السلوكية اعتنت بتحليل المظاهره الفسيولوجية والفيزيقية.

ونهاية الحديث نضع الملامح العامة للسلوكية:

- الشك وعدم الثقة، والتنكر لكل المصطلحات الذهنية كالعقل، ورفض الاستبطان بوصفه وسيلة للحصول على معطيات صحيحة في السيكولوجية.
- إلغاء العقل واطراحه، وبذلك ساوت السلوكية بين سلوك الإنسان والحيوان.
- الميل لتقليل دور الغريزة والقدرات والدوافع الفطرية، والتركيز على الجانب المؤدى من قبل التعليم في تفسير اكتساب الحيوان والإنسان لأنماط سلوكها، وبهذا تعد السلوكية نصيراً للتجريبية، والتي تدعي أن التجربة هي المصدر الرئيسي للمعرفة.
- آلية السلوكية وحتميتها التي تقضي بأن كل شيء يحدث في الكون مقرر سببياً وفقاً للقوانين الطبيعية ذاتها.

١١. المعايير التي تطبق على علم اللغة بوصفه علما بالنسبة لبلومفيلد العلم المعتبر لدى بلومفيلد هو الامبريقية المفهومة والمطبقة بدقة شديدة، ومنهجه الإمبريقي منهج اختزالي يركز بشكل مدروس على تلك الجوانب من اللغة الي يمكن أن تعالج على نحو تام بناء على الأسس الإمبريقية كما فهمها هو.

فالعلم عنده يتعامل فقط مع الواقع التي يمكن الوصول إليها بسهولة زمانها ومكانها، وهذا ما دفعه إلى اعتناق المذهب السلوكي، وهذا ما منحه لمريديه، واذين بدورهم حاولوا أن يتقيدوا به ويشرحوه.

وهكذا فإن مفهوم بلومفيلد عن العلم مفهوم إمبريقي بشكل قوي.

بلومفيلد والدلالة

الدلالة تعرف بأنها دراسة المعنى اللغوي، وهي أقل جوانب العلم خضوعاً للمعالجة العلمية، وتفسر على أسس إمبريقية والتحليل الكامل لما تعنيه الكلمة أو صيغة الجملة لابن اللغة، ويجب أن يشمل على قدر كبير، غير محدود من المعرفة فوق اللغوية، ومعرفة الكثير من المدركات والمشاعر والأفكار والعواطف وغيرها، والتي يمكن استنتاجها عند الآخرين من خلال سلوكهم العام، وهذا هو تفسير ملاحظة بلومفيلد المتشائمة في كتابه اللغة (تعيين المعاني هو النقطة الضعيفة في الدراسة اللغوية).

وهو تفسير لشرحه المتكلف لكلمات المعاني العامة المعروفة على نحو تام، مثال: الجوع "تقلص عضلات المعدة وإفراز بعض السوائل فيها".

فبلومفيلد رافض لإمكانيات التحليل الدلالي بالدرجة نفسها التي يطلبها في الجانب الشكلي من اللغة، وهذا ما شجّع كثيراً من اللغويين على تجاهل مواصلة الدراسات الدلالية على أي مستوى، وحتى دفعهم على استبعادها من الاهتمام الرئيسي اللغوي،ولكن لم تكن تلك غاية بلومفيلد، وإنما كان ما طرحه هو أنّ التحليل الدلالي لا يمكن أن يطمع للوصول بأي حالة للدقة العلمية المتاحة للتحليل الشكلي للمادة اللغوية كما تلاحظ وتسجل، وأن أي تحليل للمعاني يتطلب معرفة واسعة من خارج علم اللغة.

النحو عند بلومفيلد

يعد النحو الجزء الرئيسي في اللسانيات، كما هو اليوم عصب اللسانيات وقلبها النابض، ووصفه كثيرون بأنه اللسانيات نفسها.

كان النحو سابقاً يتسم بالجمود، ولكنه اليوم من أكثر ملامح اللغة حياة، وأحد أهم الوسائل التي استطاع البشر من خلاله التفاهم، فأصبح النحو ينظر إليه بوصفه آلية فعالة تتمكن من خلالها فهم عدد غير محدود من الجمل لم يسبق أن سمعناها، ولم يعد وسيلة لإعراب الكلمات فحسب.

وأفرد بلومفيلد فصلاً للنحو عرض فيه بعض المفاهيم والمصطلحات الجديدة التي جاء بها.

والنحو عند بلومفيلد ينطلق من المورفيم، وليس من الكلمة التي منها ينطلق النحو التقليدي، وموضوع النحو ومجاله هو التراكيب النحوية، والتي عرفها بلومفيلد (بأنها التراكيب التي لا أحد من مكوناتها المباشرة شكل مقيد) والتركيب النحوي أعم من الجملة، فالجملة عنده ليس مضمنا من قبل أي تركيب نحوي في أي شكل لغوي أكبر، بمعنى أن الجملة هي الوحدة الكبرى للوصف القاعدي، وعليه فكل جملة تركيب نحوي والعكس غير صحيح .

وجاء بلومفيلد ببعض المفاهيم والمصطلحات الجديدة، ومن المفاهيم الأساسية للنحو مفهومان:-

صنف الصيغة Form class

بنية المكون Constituent Structure

صنف الصيغة

يعرف بلومفيلد صنف الصيغة، بأنه كل الأشكال التي يمكن أن تشغل موقعاً نحويا معيناً، مثال: (محمد، الكتاب) كل منها تنتمي إلى صنف كبير هو التعبيرات الاسمية، التي لا يمكن لكلمات أخرى أن تستعمل بالطريقة نفسها، مثل: بيت، وكتب.

والمعيار الذي وضعه بلومفيلد بالنسبة لعضوية صنف الطبيعة والتكافؤ النحوي هو الاستبدالية Substntability ، والأشكال التي يمكن أن يحل أحدها مكان الآخر نقول عنها صنف صيغة واحدة.

بنية المكون

المكونات: الأشكال الصغرى التي يمكن أن يحلل إليها شكل أكبر، فالمكون: مورفيم أو كلمة أو تركيب يدخل في تركيب ما أكبر منه، والشكل الأكبر تركيب، فمثلاً: (الطالب المجتهد) تركيب يحلل إلى (الطالب) و(المجتهد)، وكل واحد منها يسمى مكوناً، وبما أنه ليس هنا وحدة متوسطة يكون كل من الطالب والمجتهد مكونين مباشرين، فالطالب مكون مباشر والمجتهد مكون مباشر.

والمكوّن المباشر هو أحد المكونين أو المكونات القليلة التي يشكل منها أي تركيب معين.

وتأتي أهمية مفهوم المكوّن المباشر في التحليل النحوي من خلال مساعدته لنا في تبديد الغموض واللَّبْس الذي يكتنف بعض التراكيب، والمثال المشهور على ذلك هو العبارة المشهورة بالإنجليزية "Old man and women " فهذه العبارة لها قراءتان مختلفتان:

يمكن أن يعد الوصف (Old) مكوناً مباشراً للعبارة ككل أولاً، فعلى التقدير الأول تكون المكونات المباشرة للعبارة هي: (Old) و(Old man and women).

التقدير الثاني تكون المكونات المباشرة لها هي:

(Old man) و(Women) ويعرف هذا النوع من الغموض بأنه غموض نحوي.

بنية المكون يقصد بها لعبارة ما أو جملة: التنظيم الهرمي للأشكال الصغرى (مكوناتها النهائية) التي هي مركبة منها في طبقات من وحدات تأخذ في الاتساع أكثر فأكثر على نحو متتابع.

أنواع التّراكيب النَّحوية

التركيب النحوي يتكون من شكلين حريّن كحد أدنى مرتبطين في عبارة، وهذه العبارة الناتجة يمكن أن تنتمي إلى صنف صيغة أحد مكوناته أولاً.

والتراكيب نوعان:

١. تراكيب لا مركزية: هي التي لها وظيفة مختلفة عن وظيفة أي من مكوناتها مثل شبه الجملة كقولنا: (بين الأطلال)، فشبه الجملة ليست ظرفاً ولا حرف جر ولا اسماً.
٢. التراكيب المركزية: وهي تلك التي تنتمي إلى نفس صنف الصيغة التي لأحد مكوناتها مثل التركيب النعتي (محمد الأمين) وتسمى مركزية نظراً إلى أن التركيب يقوم بالوظيفة نفسها اليت يقوم بها أحد مكوناته. فكما نقول جاء محمد الأمين، نقول جاء محمد، فالمركب النعتي قام بالوظيفة نفسها التي قام بها أحد مكوناته وهو محمد.

وتقسم التراكيب المركزية إلى قسمين:

- تركيب عطفي أو مسلسل Co- ordinative (or serial)
- تركيب نعتي أو تفريعي Subordinative (attributive)

وتتميز التراكيب النعتية أو التفريعية بأنه تنتمي إلى صنف الصيغة نفسه الذي لأحد مكوناتها، وهذا المكون المماثل للتركيب النعتي في وظيفته وتوزيعه يسمى راس المركب، مثال: (الكتاب الكبير)، فالكتاب هو رأس المركب وما بعده النعت.

نظرية المكونات المباشرة

توج بلومفيلد جهوده النحوية بوضع نظرية للتحليل النحوي عرفت بنظرية تحليل المكونات المباشرة Immediate Constituents analysis التي تختصر بـ (IC) وذلك في كتابه اللغة، واهتمت كتب اللسانيات بهذه النظرية لدرجة أنها تعد من وجهة نظر بعضهم أساس النحو الأمريكي.

وظلت هذه النظرية مسيطرة حتى ظهر كتاب " تشو مسكي" (البنى النحوية) (١٩٥٧) الذي وضع حداً لها وآذن بأفولها .

وقد وضح بلومفيلد نظريته بقوله: (إن أي شخص ناطق باللغة الإنجليزية يشغل نفسه بهذه المسألة من المؤكد أنه سيخبرنا أن المكونات المباشرة لـ Poor John ran a way هي Poor John و ran a way ، وأن كل واحد من هذين المكونين المباشرين بدوره شكل مركب، ذلك أن المكونات المباشرة لـ Poor John هي المورفيمان Poor وJohn والمكونات المباشرة ran a way هي المورفيم ran وa way ، وهذا الأخير شكل مركب أيضاً مكوناته هي المورفيمان a و way .

وهذا التقسيم بني على تقسيم كل جملة إلى قسمين، ومن ثم يقسم كل منها إلى قسمين حتى نصل إلى الوحدات الصغرى غير القابلة للتقسيم وهي المورفيمان، والذي دفع اللغويين الأمريكين إلى هذا النوع من التحليل هو أنهم لم يقدموا سوى القليل جداً بالنسبة لتحليل الجملة، فنجحوا في حل مشاكل الصرف، واكتشفوا المورفيم وحدوده.

المآخذ على نظرية المكونات المباشرة:

- إخفاق تقنية الاستبدال التي اعتمدها لتحديد المكونات المباشرة للجملة.
- أثبتت النظرية فشلها بالنسبة للجمل المُلْبِسة.
- فشل المكون المباشر في الربط بين الجمل المختلفة في السطح والمتفقة في العمق وبالعكس.

المنهج التوزيعي

يُعد زيليج هاريس Z.Harriss مؤسس المدرسة التوزيعية، ولكن بلومفيلد هو المسؤول عن تبني المنهج السلوكي الآلي المادي وإدخاله في اللسانيات، ويعد الأدب الحقيقي له.

ويستند هذا الاتجاه على اختلاف مدارسه إلى أن اللغة مؤلفة من وحدات تمييزية يظهرها التقطيع أو التقسيم، وتوزيع وحدة ما هو مجموع السياقات التي تستعمل فيها خلال جمل لغة ما، وعليه فتحديد الوحدة اللغوية يتم عن طريق الرجوع إلى هذه السياقات التي تظهر فيها.

ويعتمد منهج التوزيعية على الطريقة الشكلية للوصول إلى المكونات المباشرة والمكونات النهائية،والتوزيع هو مفهوم صحة التركيب، ولذلك قلل السلوكيون من شأن القواعد النحوية، وشككوا في صحتها، ونادوا بمبدأ الشيوع أو الاستعمال في اللغة، وكان شعارهم (اترك لغتك وحدها).

المؤلفات حول علم اللغة البلومفيدي

ظهرت بعض المؤلفات التي تعرض علم اللغة البلومفيدي بشكله النهائي المتطور:

١- س . ف هوكيت C.F.Hocket محاضرات في علم اللغة الحديث Course in modern linguistics.

٢- هـ. أ. جليسون H. A. Gleason مقدمة في علم اللغة الوصفي Introduction to descriptive linguistics

٣- هل A. A. Hill مقدمة في التراكيب اللغويةIntroduction to linguistics structure.

ومن الكتب التي ألفت حول علم اللغة البلومفيلدي من الناحية التاريخية لهذه الفترة:

- م . جوس M.Joos قراءات في علم اللغة.
- اتجاهات في علم اللغة الأوروبي و الأمريكي٣٠ – ١٩٦٠.

Trends in European and American Linguistics ١٩٣٠ - ٦٠

مراجع الدراسة في موضوع جهود بلومفيلد اللغوية

١. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٢. أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٩٥.

٣. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الرباط.

٤. تيرنيس موور، كرستين كارلنج، فهم اللغة: نحو علم اللغة لما بعد مرحلة تشومسكي، ترجمة حامد حسين الحجاج،دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٩٨.

٥. ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، ١٩٩٧.

٦. رونالد أيلوار مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق،١٩٨٠.

٧. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

٨. فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة- عمّان/ الأردن، الطبعة الأولى١٩٩٩.

٩. محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١٠. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دون تاريخ.

تشومسكي

ولد نحوم تشومسكي مؤسس النظرية التوليدية التحويلية في مدينة فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٨م، والتحق بجامعة بنسلفانيا حيث تابع دروسه في مجالات الألسنية والرياضيات والفلسفة، حيث تابع دروس أستاذه الألسني زيلغ هاريس.

وحاز على الدكتوراه من هذه الجامعة بالرغم من أنه قام في الواقع بمعظم أبحاثه الأساسية عقب انتسابه إلى عضوية (جمعية الرفاق) في جامعة هارفارد في الفترة ما بين ١٩٥١-١٩٥٥.

التقى تشومسكي بالألسني موريس هال سنة ١٩٥١ الذي ساعده هو وورومان جاكبسون على الحصول على مركز باحث في المختبر الإلكتروني في معهد ماسشيوست التكنولوجي، حيث درّس اللغة الفرنسية واللغة الألمانية إلى الطلاب الذين يتخصصون في مجال العلوم. عُين سنة ١٩٥٥ أستاذاً في معهد ماسشيوست التكنولوجي.

(ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية)

وليس من السهل التحدث عن تشومسكي،ولا يعود السبب في ذلك إلى أنه أكثر اللغويين شهرة وقريب عهد بنا، كما لا يعود إلى أن مذهبه هو أحدث المذاهب إذ لا يفصلنا عن نشأته سوى بضعة عقود، وإلى أنه في حالة تطور سريع، ولا يعود ذلك إلى أن التغيرات السريعة لبعض المفاهيم النظرية للقواعد التحويلية تجعل تقديم تحليل نهائي لوضعه الراهن غير مناسب، وربما تكون الصعوبة هي أكثر عمقاً، وهي تنتج بشكل رئيسي عن كون المذهب التشومسكي قد تطور بسرعة هائلة لأسباب عدة، وتزداد الصعوبة عندما نحاول تحديد مكانة الفكر التشومسكي؛ لأن أبعاد طموحه، وتجديده النظري، والصدمة التي أراد أن يحدثها يضع الباحث أمام مشكلة لا ينبغي تجنبها.

أصبح تشومسكي منذ عام ١٩٥٧ ومن خلال نشره كتاب (البنى النحوية) حامل لواء علم اللغة الأمريكية الثائر على الاضطهاد البلومفيلدي للأجيال السابقة، وقد ثبتت

مكانته باعتباره منظّراً على مستوى عالمي منذ عام ١٩٦٢، من خلال التقرير الذي قدمه إلى المؤتمر الدولي لعلماء اللغة في كامبردج (ماسشيوست).

ومنذ ذلك الحين نال علم اللغة التشومسكي مواقع جامعية مرموقة غالباً في العالم الجديد، كما أخذ مواقع قوية في بلدان أخرى.

وبدأ تشومسكي ذهنيا عقليا وانتهى سلوكياً مادياً،فقد ثار تشومسكي على السلوكية التي تقوم على أسس أربعة:

١. الشك وعدم الثقة، والتنكر لكل المصطلحات الذهنية كالعقل، ورفض الاستبطان بوصفه وسيلة للحصول على معطيات صحيحة في السيكولوجية.
٢. إلغاء العقل واطراحه، وبذلك ساوت السلوكية بين سلوك الإنسان والحيوان.
٣. الميل لتقليل دور الغريزة والقدرات والدوافع الفطرية، والتركيز على الجانب المؤدى من قبل التعليم في تفسير اكتساب الحيوان والإنسان لأنماط سلوكها، وبهذا تعد السلوكية نصيراً للتجريبية، والتي تدعي أن التجربة هي المصدر الرئيسي للمعرفة.
٤. آلية السلوكية وحتميتها التي تقضي بأن كل شيء يحدث في الكون مقرر سببياً وفقاً للقوانين الطبيعية ذاتها.

وبالرغم من أن السلوكية ضمت الكثير من الحسنات، إذ كان لها وقع حسن وتأثير جيد في الأوساط العلمية، إلا أنها كغيرها من النظريات،لها مساوئ وسلبيات، وهذا ما جعل تشومسكي يثور عليها، فكان كتابه (البنى النحوية) الشرارة التي فجرّت ثورة لسانية عارمة،وتمثّلت ثورة تشومسكي على السلوكية في تبنيه مذهباً ذهنياً في دراسة اللغة، إذ قال بهذا الخصوص "النظرية اللغوية بالمعنى التقني ذهنية،إذ هي معنية باكتشاف الحقيقة الذهنية المبطنة للسلوك الفعلي" وهاجم السلوكية بعنف قائلاً: "لقد برهن التفكير التجريبي وعلم السلوك الذي تطور ضمنه أنهما عقيمان".

وقد تبنى تشومسكي المذهب الذهني، وبذلك يكون قد أعاد الاعتبار إلى اللسانيات الأوروبية التي كان بلومفيلد قد رفضها وتنكر لها.

إن ما فعله تشومسكي حقيقة هو أنه ربط القواعد المعاصرة بالقواعد التقليدية الإغريقية الرومانية للقرون الماضية،وبذلك يكون قد توصّل إلى إقامة توازن دقيق بين المقاربة الذهنية التقليدية وبين المقارنة التجريبية الضيقة، في الوقت الذي قد أفضت فيه كلتاهما إلى طريق مسدود. (فوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات)

مهاجمة السلوكية

١. مقاومة إجراءات الاستكشاف: نظر البلومفيلديون إلى اللسانيات باعتبارها تقنيات للوصف اللغوي أكثر منها نظرية للغة، وهذه عكست رغبة من جانب اللسانيين في أن يحرروا أنفسهم من الأحكام المعدّة سلفاً، وركّز معظم الوصفيين البلومفيلديين على الفنولوجيا والصرف.

٢. الانتقال من التصنيف إلى التفسير: ركز السلوكيون على الأداء للوصول إلى العناصر الأساسية (الفونيمات والمورفيمات)، وأما النحو فلم يمسّوه إلا مسّاً شفيفاً، فكانت غايتهم تصنيفية قوامها ضبط الصيغ الأساسية في اللغة حسب درجة التواتر، قال تشارلز هوكيت: "علم اللغة هو علم تصنيفي".

٣. وجوب التركيز على الكفاية لا الأداء: شبّه تشومسكي الأداء، بأنه قمة جبل كبير من الكفاية اللغوية التي يتحكم في تشكيلها عوامل كثيرة لا تتعلق بعلم اللغة، فلدراسة الأداء لا بد من المرور أولاً على الكفاية، فالكفاية اللغوية تعني معرفة المتكلم بلغته.

وهي مشهورة بين الدارسين بنظرية القواعد التحويلية التوليدية، على أساس أنها تعنى بالقواعد في الأساس على مستوى التركيب، وجاءت هذه النظرية بوصفها رد فعل مباشر للفكرة البنيوية عند الأمريكان بوجه خاص واعتراضاً عليها أو نقضاً لها، إذ هي في نظر التحويليين التوليديين عاجزة عن بيان الحقيقة اللغوية وعاجزة عن الكشف عن أسرارها والعلاقة بينها وبين الفكر، فعلم اللغة عندهم وظيفته الأساسية الكشف عن عقل الإنسان، ورائد هذه المدرسة اللغوي الأمريكي تشومسكي.

تشومسكي رائد التحويلية

كان تشومسكي على معرفة جيدة بالسلبيات والإيجابيات للحبوث اللغوية في الثلاثينيات والأربعينيات، وكان وثيق الصلة بأعمال بلومفيلد وأتباعه، وقد أفاد من هذه الصلة بالتخلص من مبادئ بلومفيلد في عمومها لعجزها عن الوفاء في حاجة البحث اللغوي الدقيق الذي يصل بنا إلى تأسيس علم دقيق له سمات الاستقلال والعمومية.

بدأ المسار الحقيقي لعمل تشومسكي بظهور كتابه (التراكيب) أو (البنى النحوية) سنة (١٩٥٧م) ثم تبعه بمجموعة من الكتب أهمها (جوانب من نظرية النحو) و (دراسات في نظرية القواعد التحويلية)، ومن أهم أفكار تشومسكي التي حوتها كتبه:

١. موضوع النظرية اللغوية الأساس هو (إنسان متكلم – مستمع مثالي– تابع لبنية لغوية متجانسة تماماً ويعرف لغته جيداً) فكل إنسان يتكلم لغة معينة يستطيع بسرعة عفوية صياغة عدد لا نهائي من الجمل، كما يستطيع فهمها ،فهو يرمي إلى وضع قواعد نموذجية للغة الإنسانية.
٢. لالتزامه بالمنهج العقلي الذي يعد اللغة تنظيماً عقلياً فريداً من نوعه.
٣. يفرق تشومسكي بين ما أسماه البنية العميقة والبنية السطحية، ومعناه أن للغة عنده جانبين أحدهما أسماه (الكفاية) وثانيهما أطلق عليه (الأداء)، وهو بذلك يقترب مما عناه سوسير في تفريقه بين اللغة والكلام.
٤. علوم اللغة عند تشومسكي مجموعة من الأنظمة المترابطة ونظام النحو فيها بمثابة المركز أو الأساس الذي تدور حوله وتخدمه بقية الأنظمة.
٥. اهتمامه الأساس بالجمل لا بوحداتها أو أجزائها، ووظيفته قواعد اللغة عندما تكون قادرة على توليد ما لا حصر له من جمل، ويقصد بالتوليد أن هناك بنية عميقة داخلية لكل جملة وهي التي تحمل المعنى.

وهكذا نرى أن تشومسكي قد ابتعد تماماً عن البنيوية بالمفهوم الذي سار عليه الأمريكان ،ولاسيما بلومفيلد على الرغم من وجود شبه ظاهري بينه وبين دي سوسير في فكرة الثنائية في اللغة والكلام .

التوليدية والتحويلية

يستخدم مصطلح التوليدي للدلالة على معنيين هما المظهر الإبداعي لاستعمال اللغة الذي يعد صدى لعبارة ديكارت "إن الاستعمال السوي للغة استعمال مبدع على الدوام وغير متناه"، ويشير المعنى الثاني إلى الوضوح والدقة الرياضية للقواعد، أي قواعد آلية سهلة تولد الجمل آلياً دون أي استعمال للحدس من قبل الشخص مستعمل القواعد.

وبحسب المعنى الأول كانت القواعد التقليدية السابقة لبلومفيلد توليدية، لأنها كانت تحاول ابتكار قواعد لإنتاج الجمل، ولكنها فشلت في تحقيق الدقة الرياضية أي الآلية، أما اللسانيات البلومفيلدية فقد ناضلت من أجل تحقيق الآلية والدقة الرياضية ولكنها لم تقرّ مبدأ الإبداعية، فجاء تشو مسكي وقلّص الفجوة بين الاتجاهين، التقليدي والبلومفيلدي.

لكن هذا لا يعني أن تشومسكي امتداد للغويين التقليديين، بل إنه أفاد ممن سبقه، ولكنه حرص على أن يختطّ لنفسه طريقا خاصاً به، فلم يكن تقليلداً بالقدر نفسه الذي لم يكن فيه سلوكياً.

وليس من السهل الحديث عن التوليدية لاختلاطها بمفهوم آخر، وهذا الاختلاط يبرز عند المبتدئين في دراسة النحو التوليدي؛ لذا لا بدّ من التفريق بين التوليدية (Generative) والتحويلية (Transformational) فأما القواعد التوليدية فيقصد بها:

١. نموذج قواعد الحالة المحدودة.

٢. نموذج قواعد بنية العبارة.

أما القواعد التحويلية فتفترض مقدماً وجود قواعد توليدية فهي إذاً تطور للقواعد التوليدية وامتداد لها، وعليه فكل القواعد التحويلية هي قواعد توليدية والعكس غير صحيح.

والقواعد التحويلية ارتبطت باسم تشومسكي لكنها ليست شيئاً من ابتكاراته، فمفهوم التحويل معروف في القواعد التقليدية شرقاً وغرباً.

أما لِمَ ارتبط النحو التحويلي باسم تشومسكي؟ فهذا يرجع إلى تركيزه هو وأتباعه على التحولات أكثر من غيرهم، وإلى توسعه في مجالات عملها، وفي فعاليتها،وإلى نجاحه هو وأتباعه في تفسير العلاقات التحويلية بين الجمل في إطار توليدي.

(فوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات)

إنّ تنظيم القواعد الذي يقرن الأصوات اللغوية بالدلالات الفكرية والكامن ضمن الكفاية اللغوية هو إذاً ما ندعوه بالقواعد التوليدية والتحويلية، وتلتزم النظرية التوليدية التحويلية بوضع وصف بنائي يعطي جميع المعلومات عن الجمل عبر القواعد ذاتها التي تولدها، فيكون هذا الوصف البنائي بمثابة تحليل لهذه الجمل فيميّز في آن واحد الجمل الأصولية من الجمل غير الأصولية؛ أي أنه يتضمن لائحة غير متناهية من التراكيب الشكلية التي تكوّن جمل اللغة شرط ألا تحتوي هذه اللائحة على جمل ليست من جمل اللغة.

القاعدة التوليدية

تُعدّ القاعدة التوليدية جزءاً من جهاز توليد الجمل، وينحصر مفهوم التوليد بعملية ضبط كل الجمل التي يحتمل وجودها في اللغة وتثبيتها، وتتخذ القاعدة التوليدية شكل قاعدة إعادة كتابة، أي أنها تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام،برمز آخر أو عدة رموز، ومن ذلك أننا نصوغ عبارة رمزية دالة على جملة فعلية بطريقة المعادلة والناتج مثل:

ركن فعلي ⟵ فعل + ركن اسمي + ركن اسمي

(الفعل) (مفعول به)

ومن الجدير بالذكر هنا أن القواعد تقدم المعلومات اللازمة والضرورية لتوليد كل الجمل الصحيحة والمحتملة الصياغة في اللغة دون سواها، أي أنها تمنع في الوقت نفسه توليد جمل غير صحيحة.

وتقوم التوليدية بعملية استبدالية في مواقع المفردات بشكل دوري حتى يتم تكوين أعلى حد ممكن من الجمل الصحيحة دون السماح بتكوين جمل غير صحيحة ناتجة عن الاستبدال غير الجائز، ولإيضاح هذه الفكرة نورد الأمثلة التالية:

١. أكل الولدُ التفاحةَ.
٢. الولدُ أكل التفاحةَ.
٣. التفاحةَ أكل الولدُ.

نلاحظ من الجمل السابقة أن الكلمات تم استبدال مواضعها، مما أدى إلى اشتقاق أكبر عدد ممكن من الجمل الصحيحة، ومن الملاحظ أنها تغيرت من الركن الفعلي إلى الركن الاسمي بشكل دوري، وهذا يدل على ارتباط هذين الركنين.

ولصياغة الجمل السابقة وفقاً للنظرية التوليدية نضع الصيغة الرمزية لكل منها على التوالي:

١. ركن فعلي ← فعل + ركن اسمي + ركن اسمي
(فاعل) (مفعول به)

٢. ركن اسمي ← اسم + فعل + ركن اسمي
(فاعل/ مبتدأ) (مفعول به)

٣. ركن اسمي ← ركن اسمي +ركن فعلي+ركن اسمي +ركن اسمي
(مفعول به) (الضمير) (الفاعل)

أما ما لا يجوز صياغته فهو جعل الركن الفعلي آخر الجملة كقولنا:

(الولد التفاحة أكلها)، بصيغتها الرمزية.

ركن اسمي ← ركن اسمي + ركن اسمي + ركن فعلي
(الفاعل) (مفعول به) (فعل)

لكن من الجدير بالذكر أن الترتيب الأصولي للجمل لا يخضع لضوابط، والترتيب الأصولي هو الذي يتصدر فيه الفعل المفرد مع فاعله المفرد رأس الجملة ثم المفعول به.

لكن هذا لا يعني ضرورة الالتزام به بوصفه ترتيباً من ملاءمته المعطيات اللغوية بصورة عامة.

ومعلوم أنّ في إطار النظرية الألسنية لا تتوافق القضايا الظاهرة في البنية السطحية، بصورة إلزامية مع بنيتها العميقة، لذلك يجب تقديم البراهين الكافية والمقنعة لاعتماد ترتيب محدد لعناصر الجملة، في البنية العميقة، مثال ذلك تحويل الاسم إلى موقع الابتداء والجملة التالية توضح ذلك.

البنية العميقة :		البنية السطحية:
أكل الرجلان التفاحة	⟵	الرجلان أكلا التفاحة
الرجلان أكل الرجلان التفاحة		+ ضمير

النظرية التوليدية التحويلية

اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧ بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة، فكانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة قد نالت نصيبا كبيرا من الاهتمام على مدى مائة عام، ولوحظت الثغرات في دراسة بناء الجملة وارتبط هذا بالنزوع إلى الإفادة من الأجهزة الإلكترونية في البحث اللغوي لتحقيق مزيد من الدقة والموضوعية وهنا ظهر النحو التوليدي التحويلي.

وترجع بدايات فكرة تحليل الجملة عند اللغويين في العصر الحديث إلى جهود نحوية كثيرة في القرن التاسع عشر، حاول أصحابها عمل دراسات وصفية للغات ولهجات شتى، وكانت هذه الدراسات روافد مهمة مهمة لعلم اللغة المقارن وبقدر الدقة في المادة التي تضمنتها هذه الدراسات كان العمل المقارن وبقدر القصور فيها استمر القصور في الدراسة المقارنة، ولكن التفكير المنهجي في إيجاد أدوات ومفاهيم للوصف النحوي كان وراء مدارس كثيرة في الدرس النحوي الحديث، إن التفكير في صقل مناهج البحث النحوي كان عملا تشترك فيه مدارس علم اللغة في القرن العشرين وفي مقدمتها المدارس الوصفية والمدرسة التوليدية التحويلية، وقدّم علم اللغة في هذا الصدد عددا من المفاهيم

الأساسية منها مفهوم المكونات المباشرة ويرجع هذا المفهوم إلى اللغوي الأمريكي بلومفيلد (١٩٣٣).

رائد المدرسة وأتباعه

يعد تشومسكي رائد المدرسة التوليدية التحويلية، فهو صاحب النظرية التوليدية التحويلية وقد عرّف ببعض ملامح هذه النظرية في أول كتاب صدر له عام ١٩٥٧ ((البنى التركيبية))، وقد استطاع تشومسكي وزملاؤه في معهد ماسشيوست التكنولوجي إنشاء قسم اللسانيات، وممن شارك في إعداد هذا البرنامج وتنفيذه لسانيون كان لهم تأثيرهم الكبير في انتشار النظرية التوليدية التحويلية أمثال: موريس هال، كليما، ماتيوز، ليز، فودر، كاتز، بوستال.

أما كتاب شومسكي الثاني الذي تحدث عن هذه النظرية هو ((جوانب النظرية النحوية _ Aspects of the Theory of Syntax)) الذي ألفه عام ١٩٦٥، وفي بحوثه ودراساته العديدة التي نشرها بعد ذلك وأهمها:

١. Topics in the Theory of Generative Grammar .(١٩٦٦)
٢. Cartesian Linguistics.(١٩٦٦)
٣. Language and Mind.(١٩٦٨)
٤. Some Empirical Issues in the Theory of Transformational Grammar .(١٩٧٢)
٥. Deep structure ،Surface Structure and Semantic Interpretation . (١٩٧٢)
٦. Studies on Semantics in Generative Grammar .(١٩٧٢)

(محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة)

تشومسكي ونظريته اللسانية

النظرية اللسانية: يمكن القول إن النظرية اللسانية لتشومسكي متكونة من نظريتين مختلفتين ولكنهما متلازمتان، الأولى: نظرية الكفاية اللغوية التي تتوسل اكتشاف تنظيم القواعد الضمنية الذي يمثل البنى اللغوية الكامنة ضمن الكلام العادي، والثانية: نظرية الأداء الكلامي التي تتوخى دراسة الأسس التي يسكلها المتكلم في إنتاج الكلام وتفهمه

والتي تتصدى لدراسة مختلف العوامل السيكولوجية المتداخلة من العوامل اللغوية في عملية إنتاج الكلام.

وتوصف الكفاية اللغوية بأنها ملكة لا شعورية وتعزى إلى منطقة اللوعي عند الإنسان (اللاشعور)، ويسجلها اللسانيون على أنها امتلاك الآلية اللغوية، ،أن الأداء الكلامي هو حصيلة عمل هذه الآلية.

أما الأداء الكلامي فهو عرضة للتغّير حسب مستويات الأفراد ودرجات إنتاجهم أو صحتهم وعلتهم أو اضطراباتهم النفسية التي تتداخل مع العوامل اللغوية في عملية إنتاج الكلام، ويقيد تشومسكي القول في ذلك ((يجب أن نعتبر أن الكفاية اللغوية – أي معرفة اللغ – هيه بمثابة تنظيم مجرد مكون من قواعد تحدد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير متناه من الجمل الممكنة)).

فالأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية، فالكفاية اللغوية بالتالي هي التي تقود عملية الأداء الكلامي.

إن الإنسان عندما يتكلم بصورة طبيعية لا يصوغ كلامه على نحو ينطبق تماما على الأصول اللغوية، إذ غالبا ما يطرأ تغير على جملة في نصفها بمراعاة السياق، فأداء المتكلم في الحالة هذه يبرز بعض الأغلاط التي تنم على توانٍ وتكاسل لدى المتكلم، وترتد هذه الأغلاط إلى عدة عوامل نذكر منها هنا: محدودية الذاكرة، وعدم الانتباه، والانفعال والغضب، والتعب، والسهر، ومن السهل علينا في الواقع اكتشاف هذا الانحراف عن القواعد انطلاقا من معرفتنا بقواعد اللغة، أي بوساطة كفايتنا اللغوية بالذات، لكان متكلم اللغة قد اكتسب طريقة في التمييز بين ما هو خطأ في لغته، وبين ما هو مطابق لأصولها في الوقت الذي اكتسب فيه اللغة.

لا بد للغوي أمام هذا الواقع من أن يلتزم في دراسته للسانيات بدراسة الكفاية اللغوية بالذات وليس بالمظاهر الكلامية التي لا تعدو كونها انعكاس هذه الكفاية، ولأن الأداء الكلامي الذي يجسد هذه المقدرة في كلام ملفوظ أو في نصوص كلامية لا يتطابق

في واقعه مع قواعد اللغة الضمنية، والاهتمام الأولي والأساسي بدراسة الكفاية اللغوية لا يعني أبداً في نظرنا أن النظرية اللسانية تعزف عن دراسة الأداء الكلامي.

يضع تشومسكي هدف النظرية اللسانية بصورة واضحة وجليّة في كتابه المنشور الأول (البنى التركيبية)، فالنظرية اللسانية يجب أن تحلل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل وعلى أن يتفهّمها، فيقوم عمل اللساني على صياغة القواعد التي بمقدورها إنتاج اللغة مادّة البحث، ويستمد اللساني مادة بحثه من خلال مُسائلة حَدْس متكلم اللغة ولا يلجأ بالتالي إلى المدونة كما يفعل اللسانيون البنيويون، وذلك لأن جمل اللغة لا متناهية، في حين أن الجمل التي تتكون منها المدوّنة متناهية، ومن هذا المنظار تعكس القواعد خبرة المتكلم الذي بإمكانه إنتاج عدد لا متناه من الجمل من خلال خبرة باللغة محدودة وطارئة، لذا يعتمد تشومسكي بصفة أساسية الحدس اللغوي العائد إلى متكلم اللغة والكامن ضمن كفايته اللغوية كمادة التحليل اللساني الأساسية.

ويبلغ توفير الجهد أوجه عندما يستعمل الإنسان حَدْسه الخاص حول لغته الأم، ويقل أثر الحَدْس إلى درجة كبيرة إذا كان المرء يبحث في لغات غريبة، لأن الجهد الذي يبذل في تدريب شخص ينتمي إلى ثقافة أخرى لكي يتعرف على حدسه النحوي ويصدر أحكاما متناسقة بشأنه، ويشبه الجهد الذي كان يبذل قديما في العمل الميداني حين كان من المفترض أن ((يقبل الإنسان كل ما يقوله المتكلم الأصلي في لغته وألا يقبل أي شيء يقوله عنها))، لذلك اتجهت المدرسة التشومسكية نحو التركيز على الإنجليزية وعدد قليل من اللغات الأوروبية اختصاراً للوقت ، وبذلك بذلوا من الوقت أقل مما بذله الوصفيون في دراسة اللغات الغريبة.

ومن المهم أن ندرك أن الحدس بالنسبة إلى تشومسكي ليس مجرد مصدر تكميلي للمعلومات اللغوية، بل إن له سلطة فعلية لا تتمتع بها الملاحظة، فعندما يصطدم الاثنان يصبح الحدس في رأي تشومسكي هو المرجع الذي يحدد طبيعة القواعد التي يصنعها اللساني، وحتى الوصفيون نراهم يستعملون الحدس باعتباره طريقا مختصرة من محاولة توثيق كل ملاحظة من ملاحظاتهم حول اللغات التي يعرفونها، ولكن إذا ما تعرضت أية

ملاحظة معينة للتحدي فإن الوصفيين عندئذ سيبحثون عن دليل موضوعي يدعمون به آراءهم بدلا من إضاعة الوقت في مناقشة قوة حدسهم.

إذن، المتكلم العادي لا يحتاج إلى فطنة وتبصُّر لكي يقول وهو يسمع التركيب: البصرة، خالد، ذهب إلى، يزور، لكي، أهله) هذا تركيب غير متناسق، وربما يتهم صاحبه بأنه مشوش الذهن أو في حالة صحية رديئة.

وذلك هو الإبداع عند تشومسكي، لقد ألح تشومسكي منذ البدء على القدرة الإبداعية للغة الإنسانية، ورأى أن النظرية النحوية لا بد من أن تعكس قدرة جميع المتكلمين بلغة ما على التحكم في إنتاج جمل وفهمها دون أن يسمعوا بها من قبل، كما رأى أن الجمل التي تولدها القواعد النحوية لا بد من أن تكون مقبولة من أبناء اللغة، وقد عدّ تشومسكي ذلك من مميزات القواعد النحوية التي طوّرها، كما اعتبرها أيضا من مميزات الحدس عند أبناء اللغة من حيث قدرتهم على الحكم على جمل معينة بأنها واضحة ومقبولة أو غامضة ومرفوضة، وقدم تشومسكي هنا حدس أبناء اللغة على أنه دليل مستقل وأصلي في الحكم على الجمل.

نسمّي الجملة الصحيحة المقبولة بالجملة الأصولية (أي الجملة الموافقة قواعد اللغة)، والجملة غير الصحيحة بالجملة غير الأصولية، ونقول بأن قواعد اللغة تولّد فقط الجمل الأصولية لا غير، كما تحدد القواعد كل الجمل المحتملة في اللغة وتمنع في الوقت نفسه الجمل غير الأصولية من أن تتكون، إن الجملة لكي نعدها أصولية يجب ألا تنحرف بالنسبة لأية قاعدة من القواعد التي تعين توافق العناصر اللغوية في مستويات اللغة الثلاثة: المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي.

ملامح من نظرية تشومسكي

عرض تشو مسكي في كتابه (البنى النحوية) ثلاثة نماذج من القواعد وهي:

١: نموذج قواعد الحالة المحدودة .

٢: نموذج قواعد بنية العبارة .

٣: نموذج القواعد التحويلية..... .

النموذج الأول: إن أبسط النماذج النحوية هي القواعد القادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل بواسطة عدد محدود من القواعد المتكررة التي تعمل من خلال عدد محدود من المفردات، وهذا النموذج البسيط من النحو التوليدي يسمي نموذج القواعد النحوية المحدودة، وهو يقوم على مبدأ يقول بأن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليسار إلى اليمن (في الإنجليزية مثلا) ومن اليمين إلى اليسار (في العربية مثلا) أي عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول فإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها مباشرة، وبناء على ذلك يجري التركيب النحوي للجملة.

مثال (This man has brought some bread) وهذه الجملة يتم تحويلها على النحو التالي:

لقدا اخترنا كلمة (This) لكي تقع في صدر الجملة، وتم اختيارها من بين مجموعة من الكلمات ومن بين قائمة من الكلمات في اللغة الإنجليزية هذه الكلمات تصلح للوقوع في صدر أي جملة في هذه اللغة، ثم تأتي بعد ذلك كلمة (Man) وقد تم اختيارها على أساس أنها من الكلمات التي يجوز أن تقع بعد كلمة (This) وكذا كلمة (Has) بناء على أنها من الكلمات التي يجوز أيضا أن تأتي بعد كلمة (That) أو كلمة (Man) وهكذا .

ولكن ما الذي يحدث لو أننا اخترنا كلمة (That) بدلاً من كلمة (This) لكي تحتل صدر الجملة؟

لا شيء ...، لأننا سنجد أن الاختيارات المترتبة على ذلك لم تتأثر بذلك الاختيار الأول لكلمة (That) لأن الجملة ستصبح على النحو التالي :

That man has brought some bread

وهي جملة مقبولة تماماً مثل الجملة الأولى، في حين إذا اخترنا كلمة مثل (Those) أو (These) لكي تحتل الصدراة في الجملة فسنجد أن الاختيارات التالية تختلف ، حيث لابد لنا من اختيار كلمة مثل men لكي تحتل المركز الثاني في الجملة، ثم كلمة مثل

have لكي تحتل المركز الثالث، ثم تبقى احتمالات الاختيار للمركز الرابع وما يتلوه كما هي في الجملة الأولى .

أما إذا اخترنا منذ البداية (The) لكي نستهل بها الجملة ، فسنجد أنه يمكن أن نستعمل إما كلمة Man مع كلمة Has أو مع Have يمكن تمثل ذلك بالرسم البياني التالي:

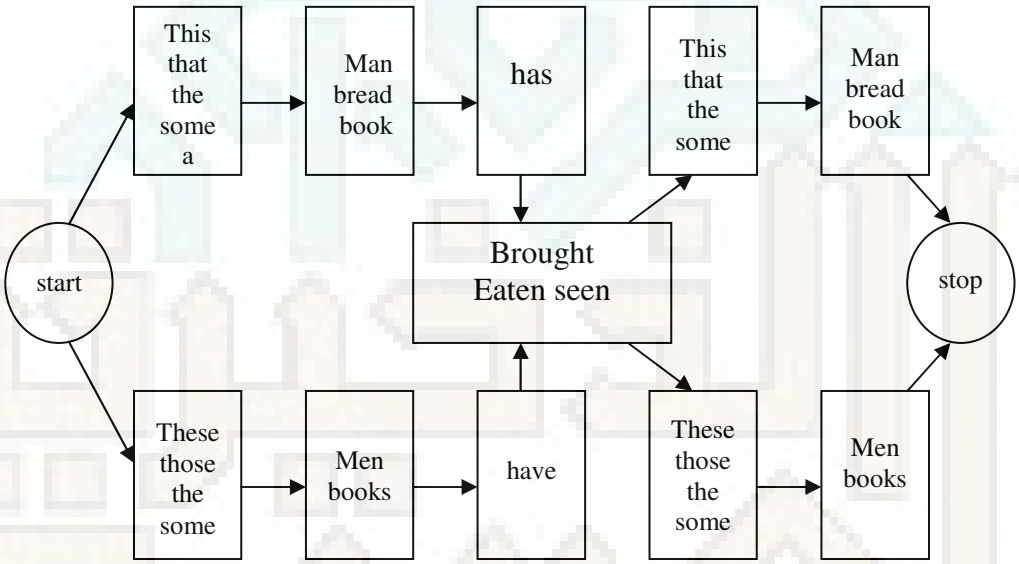

كتاب (جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية)

مثال من العربية:

فالعنصر الذي يمثل البداية (ألـ) يثير الكلمات التي يمكن أن تقع في سياق معها مثل: (طالب)، (مجلة) (حية)، وكل واحده من هذه تثير ما يناسبها وهكذا.

وهذا النموذج محدود الفعالية فهولا يصلح إلاّ لبعض الجمل البسيطة، ومن ثم كان قاصرا وغير مقبول لأنه يفشل في توليد جمل مثل (الرجل الذي يقود السيارة يعمل في الجامعة) حيث إنه إذا كان هناك ارتباط بين (الرجل) والاسم الموصول (الذي) وبين الاسم الموصول والفعل (يقود) وبين هذا الفعل والسيارة فإن السيارة لا تستدعي الفعل يعمل بعدها، لأن هذا الفعل هو على علاقة (بالرجل) في بداية الجملة المفصولة عنه بأربع كلمات.

النموذج الثاني: نموذج قواعد بنية العبارات:

ومع أن أسلاف تشومسكي من البلومفيلديين تناولوا نظرية تحليل المكونات المباشرة بإسهاب، إلا أن تشومسكي قد أضاف إلى ذلك إضافة هامة تتمثل في النماذج التي قدمها للتركيب النحوي بحيث يعد أول من كشف عن الكيفية التي يمكن أن يظهر بها التركيب النحوي إلى حيز الوجود بواسطة نظام من القواعد التقليدية.

وينطلق تشومسكي في هذه القواعد التي وضعها لأركان الجملة من فكرة أساسية وهي كيفية اشتقاق الجملة وذلك عن طريق إعادة كتابة أركان الجملة، وهو يرمز إلى عملية إعادة الكتابة بالسهم ← أي أن ما قبل السهم يعاد كتابته بما بعد السهم، وذلك لبيان العلاقة القائمة بين مكونات الجملة حيث يحصل على ما يسمى بأركان الجملة، مثال ذلك جملة مثل: (الولد أكل الطعام) نطبق عليها القواعد على النحو التالي:

١ : القاعدة الأولى: الجملة المركب الاسمي + المركب الفعلي

الولد (مركب اسمي) + أكل الطعام (مركب مطلي)

٢ : القاعدة الثانية: المركب الاسمي ← أداة التعريف + اسم

الولد – الـ ← = ولد ← الـ+ ولد .

٣ : القاعدة الثالثة: المركب الفعلي ← الفعل + مركب اسمي

أكل الطعام ← أكل + الطعام .

٤ : القاعدة الرابعة: أداة التعريف ← ألـ .

٥ : القاعدة الخامسة: الاسم (ولد، طعام، ....)

٦ : القاعدة السادسة : الفعل (أكل، ذهب،.....)

* السلسلة النهائية لهذه الجملة هي:

الـ+ ولد+ أكل+ الـ + طعام

ويمكن التعبير عن ذلك بواسطة التحليل الشجري أو راسم أركان الجملة على النحو التالي:

ويتضح للمرء أن هذا النموذج ونموذج تحليل المكونات المباشرة لبلومفيلد إنما يخرجان من مشكاة واحدة، وقد ذكر تشومسكي صراحة أن هذا النموذج مؤسسة على تحليل المكونات المباشرة، وأنه لا يزيد على كونه نسخة معدلة لها، ونظرا إلى أن هذا النموذج قائم في الأساس علىتحليل المكونات المباشرة، فإن ما يؤخذ على ذاك يؤخذ أيضا على هذا، وعليه فهو لا يصلح لتوليد الجمل التي حصل فيها تقديم أو تأخير، ولا تلك الجمل المكونة عن طريق العطف، وعلاوة على ذلك فإن المشكلة في هذا النموذج هي أنه كما يولد جملا نحوية (قواعدية) فإنه عرضة أيضا لتوليد جمل غير قواعدية مثل: The aunr walls the book ومثل: The book reads the auna.

حيث إن عدم النحوية يظهر في الجملة الأولى من حقيقة أن الفعل اللازم walks. قد أتبع بمفعول، وأن الفعل read في الجملة الثانية له فاعل غير حي ومفعول حي.

نموذج القواعد التحويلية

بسبب قصور نموذج قواعد بنية العبارة وعدم كفايته كان لابد من إجراء بعض التعديلات والتحسينات عليه، وكان الحل يتمثل باستخدام التحويلات، وباستخدام التحويلات أصبحت القواعد التوليدية تسمى القواعد التوليدية التحويلية وباختصار القواعد التحويلية، وقد أدى اهتمام علماء النفس بابتكار نماذج للسلوك اللغوي مبنية على نظرية تشومسكي اللغوية إلى ظهور حقل جديد هو علم النفس اللغوي، ونظرا لأن تشومسكي منذ بداية طرحه لنظريته يؤكد أن هدف النظرية اللغوية يجب أن يكون تفسير قدرة متحدث اللغة على إنتاج أو صنع عدد غير نهائي من الجمل الممكنة في اللغة.

وقد لا تبدو القواعد التحويلية – التي اشتق منها اسم النحو التحويلي– أكثر من أداة نحوية غامضة إلى حدّ ما، مهمّتها توليد جمل معقدة، لكن هذه القواعد تتمتع بتسويغ منطقي أكثر من ذلك بكثير نظرا لأن صيغة ١٩٦٥ لنظرية تشومسكي تبيّن نقطة مهمة، وهي أن لكل جملة بنية سطحية وبنة عميقة، وحجة تشومسكي في ذلك أنه من المستحيل الإتيان بقواعد تطابق أو تماثل كفاية المتحدث الأصلي للغة في علاقات المعنى عن طريق النظر فقط إلى البنية السطحية للجمل أي الترتيب الذي تظهر به الكلمات في الجملة .

هذا الشكل يوضح باختصار عمل القواعد التحويلية :

يمثل هذا الشكل صورة مختصرة للعمليات التحويلية لأي جملة، حتى تنتهي إلى الصورة الفونيمية المنطوقة حيث تمثل العناصر الأولية البينة العميقة لعدد من الجمل مثل:

١- أكل الولد الطعام.

٢- الولد أكل الطعام.

٣- الطعام أكل الولد.

فإن العناصر الأولية المكونة لهذه الجمل جميعا هي عبارة عن مجموعة قواعد مجرّدة، بالإضافة إلى وحدات معجمية وهي تمثل المادة الأولية أو المكون الأساسي لهذه الجمل الثلاث والتي تظهر بعد تطبيق قواعد التركيب أو التكوين التي يمثلها الصندوق الثاني، وهو ما يظهره النموذج الثاني من القواعد التي وضعها تشومسكي، ما يعرف باسم نموذج قواعد تركيب أركان الجملة وقد تمثلنا كيفية ذلك سابقا.

أي أن البنية العميقة لهذة الجمل الثلاث تصبح على النحو التالي:

الجملة ←تعريف+ اسم + زمن + فعل+ تعريف+ اسم

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة التي يمثلها الصندوق الثالث، وهي تطبيق القواعد التحويلية التي هي- كما رأينا من قبل- عبارة عن مجموعة من القواعد الإجبارية والاختيارية التي تتبدل بها أركان الجملة .

أما الصندوق الرابع فيمثل القواعد الفونولوجية والمورفولوجية التي تتألف منها الوحدات اللغوية، أي بعبارة أخرى فإن هذا الصندوق يمثل القواعد التي تحوّل كل جملة من الجمل التي أظهرتها القواعد التحويلية من صورتها التركيبية كسلسلة مكونة من مورفيمات حرة، أو مورفيمات مقيدة ، إلى الصورة الفونولوجية، وأخيرا يمثل الصندوق الخامس الصورة الصوتية للجملة، أي التركيب السطحي الذي تنطق به.

والتحويلات على أنواع أهمها:

أ - الحذف: بأن نحذف جزءا من أركان الجملة .

مثال: البنية العميقة: قتل الرجلُ المحتالَ.

البنية السطحية: قُتِل المحتال .

هنا مثلا حذفنا الفاعل .

ب- القلب: مثال: البنية العميقة: المسجد الأقصى في فلسطين.

البنية السطحية: في فلسطين المسجد الأقصى.

ج- الجمع: مثال: البنية العميقة: سبح الطفلُ.

البنية السطحية: سبح الطفلُ مع صديقه.

د - الإضافة: البنية العميقة: ركض الولدُ مسرعاً إلى الشرطة .

البينة السطحية: الشرطةَ ركض الولدُ مسرعاً إليها. هنا أضفنا ضميراً.

كتاب أوجه النظرية النحوية ١٩٦٥م

إذا ما استعرضنا النماذج التي عرضها تشومسكي في المرحلة السابقة نجد أنه كان معنياً بالنحو والصرف ولكنه لم يعرض لقضية المعنى من قريب أو بعيد، وهذا يعني أن نظرية النحو التحويلي في صيغتها المبكرة قد أحالت قضية الدلالة إلى المستقبل، وقد تسبب هذا في توجيه سهام النقد المؤثر إلى عمل تشومسكي في تلك الفترة، وذلك أنه كان دائما هناك إقرار بوجود ارتباطات نظامية معيّنة بين النحو والدلالة، وكانت المقترحات الأولى الداعية إلى اتحاد النحو والدلالة ضمن الإطار التشومسكي قد قُدِّمت من قبل كاتز وفورد.

ثم صقلت ووُسعت من قِبَل كاتز وبوستل، والاتجاه العام لمدخل كاتز وفودر بشأن اتحاد النحو والدلالة يوضحه شعارهما المشهور: (الوصف اللغوي ناقص النحو يساوي الدلالة) وكان كل مافعله كاتز وفودر هو إضافة المعجم إلى القواعد، مقدمين بذلك معلومات دلالية و نحوية لكل المفردات المعجمية التي يحتوي عليها المعجم ، وقدّما مجموعة من قواعد الإسقاط التي مهمّتها أن تربط بكل جملة صحيحة البنية دلاليا تمثيلا واحدا على الأقل.

واستجاب تشومسكي لهذه الطعون والانتقادات، وتبنّى مقدمات كاتز وفودر، وعدّل نموذجه وطوّره وخرج على الناس بنموذج جديد متكامل عرف بالنظرية

النموذجية (المعيارية)، التي ضمنها كتابه: (أوجه النظرية النحوية)، فقد قدم في هذا الكتاب نظرية لغوية أكثر شمولا، وفكرا أكثر نضجا، ولعل التعديل الأكثر أهمية كان الدمج ضمن النظام لمكون دلالي، بالإضافة إلى المكون النحوي و المكون الفونولوجي.

وكان التجديد الرئيسي في تفسير نظرية ١٩٦٥ م للمكون النظمي إدخالها تصوريّ البنية العمقية والبنية السطحية ،وثمة فارق مميز مماثل متضمن من قبْل في نظرية ١٩٥٧م، فهناك خرج قوانين بنية العبارة يتكون من سلاسل ضمنية تجري عليها التحويلات لإنتاج الصيغ النهائية للجمل فيما يتعلق بالتحليل الصرفي الصوتي، وتولد قوانين بنية العبارة المتضمنة في أساس المكون النظمي الأبنية التحتيه على نحو يماثل ما في نظرية ١٩٦٥م، ومن ثم تتكافأ مع السلاسل التحتية في نظرية ١٩٥٧م، وتجرى التحويلات كما في النظرية الأولى عمليات على هذه الأبنية العميقة من أجل صياغتها في أشكالها النهائية أو أبنيتها السطحية، والاختلاف الرئيسي أنه في تفسير ١٩٥٧م أُقيم فاصل حادّ بين الجمل النواة التي لا تتطلب سوى تحويلات إجبارية والجمل المعقّدة التي هي نتيجة تحويلات اختيارية، وكان المعنى المتضمّن على الأقل كما تبناه علماء النفس، أنّ هناك طائفتين من الجمل: جمل نواة بسيطة مبنية للمعلوم مثبتة خبرية ولّدتها بشكل مباشر قوانين بنية العبارة، وكل الجمل الأخرى التي أُنتجت بتحويل الجمل النواة وتركيبها معا.

والتركيز في نظرية ١٩٦٥ على حقيقة أن كل جملة لها بنية عميقة وبنية سطحية، وفضلا عن ذلك عندما تكون بصدد التحولات التي تعيد الأبنية العميقة إلى أبنية سطحية يختفي الفاصل المميز بين التحويلات الإجبارية والتحويلات الاختيارية والأبنية السطحية النهائية لكل من الجمل البسيطة والجمل العميقة لها وظيفة توضيح أي التحويلات هي التي ستنفذه، فعلى سبيل المثال: بدلا من الجمل المبنية للمجهول، والمنفية والاستفهامية التي هي نتيجة تحولات اختيارية ستحتوي أبنيتها العميقة الضمنية على علامات تحويلية مميزة للبناء للمجهول أو النفي أو الاستفهام.

وتلك النظرية المعيارية يوضحها المخطط التالي.

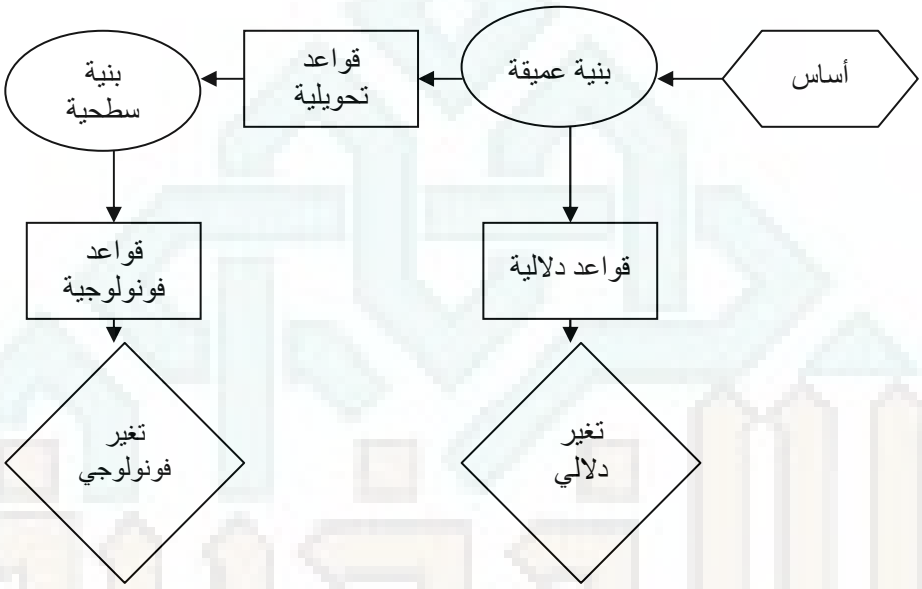

البنية العميقة هي المسؤولة عن تقديم المعنى، وواضح تماما أن القوانين التحويلية لا تؤثر في المعنى، فالتحويلات بذلك أصبحت كلها إجبارية.

مثال : ١- اشتعلت النار في المنزل.

٢- اشتعل الثلج في الماء.

الجملة الأولى جملة نحوية صحيحة التركيب (مبنى ومعنى)، في حين أن الجملة الثانية صحيحة التركيب ولكنها غير مقبولة، برغم أن البنية العمقية لكل منهما واحدة، إذ تتكون كل منهما من :

الجملة ← المركب الفعلي + مركب أسمي +حرف +مركب اسمي .

ويرجع السبب في انحراف الجملة الثانية إلى أن المكونات الدلالية للفعل "اشتعل" (المركب الفعلي) لا تترتب مع المكونات الدلالية للفاعل (المركب الاسمي) الثلج، وهكذا نجد أن الصندوق المضاف في الشكل السابق يعطي للمكون الدلالي دورا أساسيا يكاد يتساوى مع البنية العميقة.

البنية السطحية والبنية العميقة

تُعد الكفايةُ اللغويةُ البنيةَ العميقةَ، أما الأداء الكلامي فهو البنية السطحية، ويرتبط هذان المصطلحان عند تشومسكي بالقواعد التوليدية والتحويلية التي تؤكد أن المنظومة اللغوية تقوم على بنيتين تركيبيّتين (السطحية والعميقة).

إن بحث العلاقة بين البنية السطحية والبنية العميقة يعدّ محورا مهما لتحليل بناء الجملة، وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلاّ على أساس تعدد الأبنية العميقة لها، فإذا قلنا: قراءة الشاعر ممتعة، فهنا أحد أمرين أحدهما يتعلق بقراءة الشاعر بصوته، وثانيهما يتصل بقراءتنا لشعره، هذا التعدد في فهم التركيب في البنية السطحية هو انعكاس لتركيبه في البنية العميقة.

مكونات القواعد التوليدية والتحويلية

تنهض القواعد التوليدية والتحويلية على مجموعة من المكونات التي تتيح للبنى اللغوية تحليلا وصفيا يساعد على كشف المعطيات الدلالية المختلفة، وتربط هذه المكونات بين العناصر الصوتية وتوجّهاتها الدلالية، وهي:

- العنصر الفونولوجي .
- العنصر التركيبي .
- العنصر الدلالي .

أما العنصر الفونولوجي: فإنه يقوم على أساس عملية الفرز للمورفيمات، ثم يخص كل واحد منها بنطق معين، بعدها تبدأ علمية ضم هذه المورفيمات إلى بعض لتكوين قاعدة البنية التركيبية للنص، تخضع هذه العملية إلى إجراءات التحليل الصوتية ومكوناتها في عناصر الوحدات الصغرى.

أما العنصر التركيبي: فإنه يقوم بتوليد مجموعة من الجمل غير متناهية بواسطة المشيرات الركنية التي يتم بواسطتها تفكيك التراكيب.

وتتضمن العناصر التركيبية عنصرا أساسيا يتكون بدوره من ثلاثة أجزاء هي:

١- قواعد التفريع: وهي التي تقوم بتفريع الجملة إلى أجزائها المختلفة مثل التفريع الذي يبدو في الشكل التالي:

NP+V ⟶ S N+T ⟶NP

٢- قواعد التصنيف إلى الأدنى وتعمل مرتبطة بالسياق وغير مرتبطة به.

٣- التسجيل القاموسي: اختيار المورفيمات بناء على الإمكانيات الدلالية، ومن ثم لا تتولّد الجمل الخالية من المعنى.

يعتبر العنصر التركيبي المصدر الأساسي في القواعد التحويلية والتوليدية ، وتؤلف مخرجات هذا المكون أو العنصر المدخلات التي يتعامل معها العنصر الفونولوجي والعنصر الدلالي .

أما العنصر الدلالي: فإنه يتعامل مع مفردات التراكيب، كل بمعناه الشمولي، تأسيسا على محتويات المورفيمات من ادلالات المفردة التي تشكل مجتمعة مكوّنا دلاليا يتميز بالشمولية إلى جانب الذاتية المطلقة المدروسة بواسطة الذهن، ويسير مخططه على الوجه التالي:

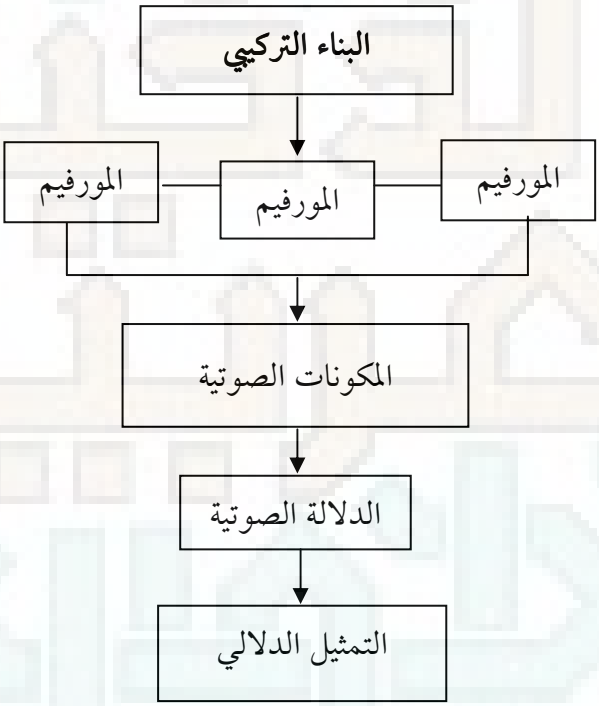

القواعد التوليدية والتحويلية

القواعد التوليدية: هي مجموعة قواعد تولّد من خلال تعاملها مع معجم مفردات محدود مجموعة متناهية أو غير متناهية من التتابعات الكلامية، وتحدد كل تتابع كلامي

على أنه تركيب جيد في اللغة التي تصفها هذه القواعد، وتقرن القواعد التوليدية كل تتابع كلامي جيد التركيب وكل جملة تولّده بوصف بنيوي ملائم.

يقول تشومسكي إن النحو التوليدي ينبغي أن يظهر المعرفة الضمنية للمتكلم أو عقل القارئ (تتخذ كلمة عقل Intelligence تحديدا خاصا).

القواعد التحويلية: وهي القواعد القادرة على وصف اللغة وتفسير معطياتها كما يقول تشومسكي، وتعتمد القواعد التحويلية في المقام الأول على تطبيق قواعد تركيب أركان الجملة ثم تجري عليها تحولات إجبارية أو اختيارية.

إن قواعد التحويل تبين الكيفية التي يتم الانتقال بها من المستوى المجرّد للبنية العميقة إلى مستوى آخر هو الشكل النهائي للجملة في البنية السطحية وهذا ما يفسّر تنوع البنى السطحية وتعددها قياسا إلى العدد المحدود للبنى العميقة.

إن خلاصة المنهج الذي تم لدى تشومسكي عام ١٩٦٥ لوصف العملية النحوية لإنتاج الجملة تتجلّى في المراحل التالية - وهي تقوم على الجمع بين المكون الأساسي والمكون التحويلي ضمن ما دعي بالمكون التركيبي:

١- يولّد المكون التركيبي البنية العميقة للجملة بدءا من المستوى التوليدي أو الأساسي آخذا في الاعتبار القواعد المعجمية.

٢- يحوّل هذا المكون عن طريق المستوى التحويلي هذه البنية العميقة إلى بنية سطحية من خلال قواعد الإضافة والحذف والنقل والقلب....

٣- يعطي المكون الدلالي التفسيرات الدلالية للبنى العميقة من خلال جمع معاني الأركان اللغوية بالبنية التركيبية عبر قواعد الإسقاط الجامعة بين التمثيل الركني للتركيب والتمثيل الدلالي للمفردات.

٤- يقدِّم المكون الصوت تمثيل الجملة في بنيتها السطحية من خلال القواعد الصوتية المتعارف عليها.

ومن هنا نجد أن التحليل النحوي في المدرسة التوليدية التحويلية يهدف إلى تعرف ما يأتي :

- الجمل الصحيحة نحويا، وهي الجمل التي يدرك ابن اللغة بالحدس اللغوي السليم أنها مفهومة ومقبولة.
- تركيب الكلمات والوحدات الصرفية طبقا لنظام اللغة.
- معرفة الغموض البنيوي وكشف جوانب التراكيب ذات الغموض بردها إلى ما يقابلها في البنية العميقة.
- معرفة العلاقات بين الجمل المتماثلة في المعنى.
- معرفة الوظيفة النحوية لكل جزء في الجملة.
- تعرف قواعد القدرة اللغوية لدى أبناء اللغة على إنتاج عدد لا نهائي من الجمل الممكنة طبقا لقواعد اللغة وفهمها لأنها صادرة عن منظومة القواعد المكونة للغة.
- يقوم تحليل بنية الجملة في النحو التوليدي التحويلي على عملية تقسيم وتشجير، وتقسم الجملة إلى أركان ثم إلى وحدات صرفية وتعرض بطريقة الشجرة المقلوبة:

الـ + طالب = مركب اسمي

قرأ + كتاب + النحو = مركب فعلي.

أمثلة من اللغة العربية:

قواعد إعادة كتابة الجملة :

١- ترتيب عناصر الجملة الأساسي في البنية العميقة:

فعل + فاعل + مفعول به

وذلك لا يخضع لأية ضوابط إلا أن هذا لا يعني ضرورة الالتزام به كترتيب أساسي في البنية العميقة، إذ إنه لا بد اعتماده بعد أن نتأكد من ملاءمته المعطيات اللغوية بصورة عامة، ومعلوم أن في إطار النظرية اللسانية لا تتوافق القضايا الظاهرة في البنية السطحية بصورة إلزامية من بنيتها العميقة. لذلك يجب تقديم البراهين الكافية والمقنعة لاعتماد ترتيب محدد لعناصر الجملة في البنية العميقة منها:

- تحويل الاسم إلى موقع الابتداء مثل :

اشتقاق جملة: الرجلان أكلا التفاحة

البنية العميقة: أكل الرجلان التفاحة

تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء: الرجلان أكل الرجلان التفاحة .

(+ ضمير)

البنية السطحية: الرجلان أكلا التفاحة .

تمكن الإشارة إلى عملية اشتقاق جملة (الرجلان أكلا التفاحة) بواسطة المشجر التالي:

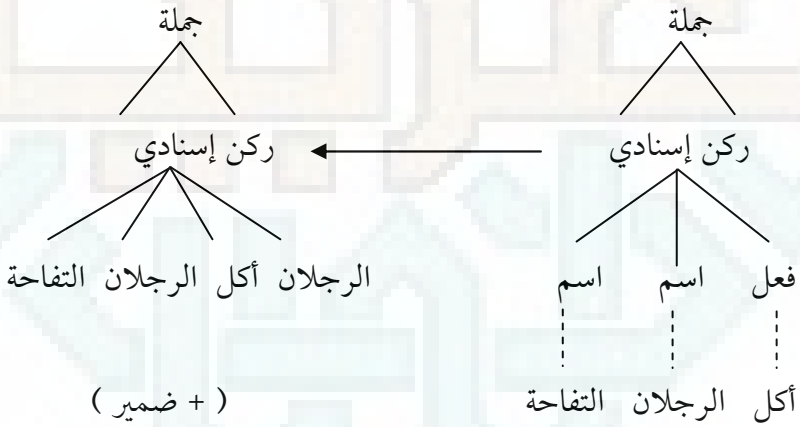

- الاسم في موقع الجر بحرف الجر:

١ - كتب يوسفُ الرسالةَ إلى الطبيب.

٢- الطبيبَ كتب يوسفُ الرسالةَ إليه.

نلاحظ أن الجملة ٢ مشتقة من الجملة ١ بواسطة إجراء تحويل نقل الاسم (وهنا الاسم المجرور بحرف الجر) الذي ينقل الاسم (الطبيب) إلى موقع الابتداء.

اشتقاق جملة ٢ :

البنية العميقة: كتب يوسف رسالة إلى الطبيب .

تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء : الطبيب كتب يوسف رسالة إلى الطبيب

(+ ضمير)

البنية السطحية: الطبيب كتب يوسف رسالة إليه.

- تحويل اتباع النعت للاسم:

قاعدة القياس: مثل:

اشتقاق جملة: الرجلان كريمان.

البنية العميقة: كريمٌ الرجلان.

تحويل التأشير: كريمُ الرجلان .

(ن)

- تحويل نقل الركن الاسمي إلى موقع الابتداء (إلزامي):

- الرجلان كريم الرجلان

(+ضمير)

- تحويل حذف الضمير الفاعل: الرجلان كريم.

(ن)

- تحويل اتباع النعت الاسم: الرجلان كريم (+مثنى)

البنية السطحية : الرجلان كريمان.

النظرية المعيارية الموسعة ١٩٧٢م

لم يكد يمضي على ظهور النظرية النموذجية ومفهوم البنية العميقة الذي جاءت به سوى سنتين حتى تفجر ما يشبه الثورة عليها وكان السبب في ذلك هو اختلاف وجهات النظر بشأن علاقة النحو بالدلالة، وقد كانت العلاقة بينهما من أكثر الموضوعات خلافية في تطور القواعد التحويلية، وتكمن المشكلة في التوافق بين النحو والدلالة: أهو توقّف الدلالة على النحو، أم توقف النحو على الدلالة.

فبحسب منظور النظرية المعيارية، الدلالة متوقفة على النحو، فهي تابعة له، إذ في النحو تتمركز كل القوة التوليدية.

لقد شكّكت هذه المدرسة التي تُعد إحدى بدائل النظرية المعيارية في صلاحية التمييز بين البنية العميقة والبنية الدلالية، وأصرّت في المقابل على أنه إذا كانت هناك بنية عميقة فهي حتما أعمق بكثير إلى الحد الذي يجعلها وافية بالمراد دلاليا ، أن تكون هناك بنية عمقية دلالية لا نحوية، وقد صرح بذلك أحد إعلام هذه المدرسة لا كوف قائلا: ((أن البنى العميقة يجب أن تكون دلالية))، وقد كان نموذجهم الذي قدموه للوصف اللغوي على النحو الآتي:

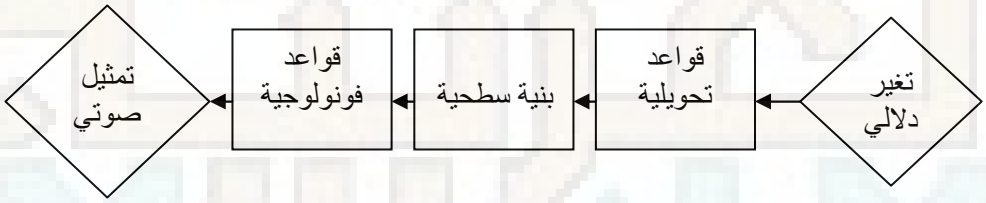

الفرق واضح، فليس في هذا النموذج مكان للبنية العمقية، إن النموذج التشومسكي قائم على أساس نحوي وأما الآخر فقائم على أساس دلالي.

قام علماء الدلالة التوليدية بنقد تشومسكي، وجاء فيلمور بقواعد الحالة وهذه القواعد تحاول تجنب الحاجة إلى تمييز نحو عميق مصطنع كمستوى متوسط بين البنية الدلالية و البنية السطحية.

إن مناقشات وانتقادات الدلاليين التوليديين وفيلمور معا، قد دفعت تشومسكي عام ١٩٧١م إلى أن يعدل المكون الدلالي التفسيري للنظرية عن طريق إدخال بعض التعديلات على النظرية النموذجية، مقدما بذلك نظرية جديدة عُرفت بالنظرية النموذجية الموسعة التي ضمّنها كتابه (دراسات في علم الدلالة) الذي صدر في عام ١٩٧٢م.

وفي هذه النظرية يقترح تشومسكي أن المكون التفسيري يخصص في المقام الأول للبنية العمقية، غير أنه يعمل أيضا على مستوى البنية السطحية، ونظامها اللغوي ما يزال نظرية قائمة على أسس نحوية غير أنها تسمح أن يكون التفسير الدلالي لجملة ما مقرراً عن طريق بنيتها العميقة وبنيتها السطحية معا، إذن أصبحت البنية السطحية تلعب دورا مميزا في التأويل الدلالي، وأصبح دور البنية العميقة مختصرا في كونها مبدأ الاشتقاق التحويلي، وفي تعيين العلاقات المدارية أو الدلالية وهي تلك التي تقوم بين الفعل والأسماء المحيطة به مثل:

كسا زيد الفقيرَ حلةً.

ففي هذه الجملة نجد فعلا واحدا: (كسا) وثلاثة أسماء (زيد، الفقير، الحلة)، وعلاقة الفعل بزيد هي علاقة فعل/ فاعل، و أما علاقته بالفقير فهي علاقة فعل/ هدف، إذ الهدف هو كسوة الفقير، وعلاقة الفعل بالحلّة هي علاقة فعل/ موضوع، فهذه العلاقات النحوية أو الوظيفية القائمة بين الفعل والأسماء التي تدور في فلكه هي ما يعرف بالمعاني المدارية.

ومع الأخذ بتعديلات تشو مسكي فإن النموذج التحويلي الجديد حسب هذه النظرية يمثّله المخطط التالي:

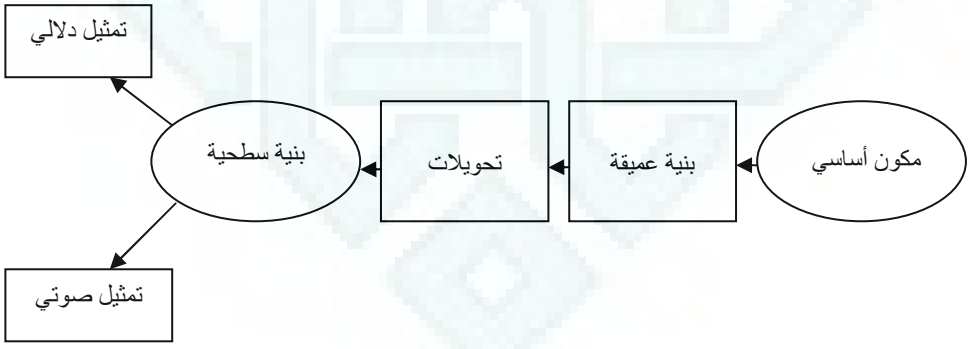

نظرية الأثر

جاءت امتداداً طبيعياً للنظرية المعيارية الموسعة لتُجرِّد البنية العميقة تماما من كل علاقة لها بالمعنى، وممهّده بذلك السبيل إلى التخلص من هذا المصطلح كله.

وركزت هذه النظرية في قاعدة تحويلية واحدة هي (حرك ألفا) (A-Move) والعنصر ألفا (A) عنصر مجهول فهو نظير الرمز س في الرياضيات ، قال تشومسكي، (عندما يحرك قانون تحويلي عبارة ما (ع) من موقع (س) إلى الموقع (ص) فإنها تترك في الموقع (س) أثرا مربوطا بـ (ع) .

وهذا الأثر صفر حافظ منزلة، فهو يشير في الموقع الأصلي الذي كان يحتله عنصر معين في البنية العميقة قد تم حذفة أو نقله بفعل قانون تحويلي معين .

ومع بداية الثمانينيات ظهرت نظرية العامل والربط الإحالي حتى جرّد تشومسكي البنية العميقة من أي إسهام في التأويل الدلالي، وأهمل مصطلح البنية العميقة الذي تخلى عنه اللساينون كافة بمن فيهم تشومسكي نفسه، و استخدام بدلا منه مصطلح (الأدلة النَّظْميَّة).

إنَّ عمل تشومسكي ومهما كانت محدداته وقيمته، يشكل دراسة تأسيسية في علم اللغة النظري، وكان أهم محصلات الدراسة تبني علم اللغة لرأي محدد حول ما يعد تعليلا.

إن مبدأ التعليل النظري الذي أدخله تشومسكي لأول مرة في حقل الدراسات اللغوية معروف لدى الفلاسفة والعلماء وبخاصة أولئك المهتمين بطبيعة النظريات التعليلية بوصفها تشكل رأيا علميا قياسيا يتوجب اتباعه . وعلى وفق هذا الرأي، ينبغي للتعليل النظري أن يصاغ على شكل سلسلة تفكيرية استنتاجية مؤلفة من البديهيات التي يتوصل إليها من خلال قوانين وقواعد من أنواع خاصة بموجبها إيضاح الظاهرة موضوع الدراسة.

إن دراسة تشومسكي وأبحاثه حول بناء نظرية نحوية هي التي تميزه من غيره وتعطيه أصالة، بل لعل ما قدمه في هذا الميدان من ميادين الدراسة العلمية للغة هو الإسهام

الغالب له الذي لا يتطرق إليه أدنى شك. فقد وسّع من آفاق علم اللغة الرياضي وفتح به ميدانا جديدا في الدرس اللغوي لا يهم علماء اللغة فحسب، بل المناطقة وعلماء الرياضيات أيضا، إذ كان بعض الناس يظنون أحيانا أن أعمال تشومسكي أو بعض أعماله في النحو التحويلي ليست لها صلة مباشرة بالدراسة الوصفية للغات الإنسانية إلا أن ذلك لم يحل دون أن تحظى بتقدير وتقريظ المناطقة وعلماء الرياضيات الذين يهتمون كثيرا ببناء ودراسة النظم المنطقية في ذاتها من أجل تجاربهم التطبيقية.

ولكن من الحق أن نقول أيضا إن النموذج الذي وضعه تشومسكي للنحو التحويلي قد وضع وصمم من أجل تحليل اللغات الإنسانية الطبيعية ودراستها، وأن هذا الأنموذج قد استخدم بقدر كبير من التوفيق والنجاح خلال السنوات الماضية، مما لفت أنظار علماء النفس والفلاسفة، وقد أشار تشومسكي نفسه إلى أن النتائج التي أسفرت عنها نظرية النحو التحويلي لها آثار واضحة على كل من علم النفس والفلسفة.

إن نظرية تشومسكي في النحو بالرغم مما أحدثته من ثورة، وبالرغم مما أفادت منه العلوم الأخرى، إلا أنها ظلت معقّدة وغامضة في معظم جهاتها، ولكن يظل الفضل يعود لتشومسكي في تبني الدقة والوضوح في العمليات الرياضية، ولعل أي نظرية أو دراسة في اللغة يكون لها جوانبها الإيجابية وقد يُلابسها بعض المغالطات، ولكن تظل محاولة في الدرس اللساني تُقدّر ويُحتضى بها، ويحسن أن نختم الموضوع بمقولة جون ليونز: لقد أصبحت كل مدرسة لغوية الآن تحدد موقفها وموقعها بالنظر إلى آراء تشومسكي.

مراجع الدراسة في موضوع نظرية تشومسكي اللغوية

أولاً: الكتب:

١- أحمد سليمان ياقوت: في علم اللغة التقابلي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، طبعة أولى ١٩٨٥م.

٢- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلمي خليل، ط ١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥.

٣- داود عبده: أبحاث في اللغة العربية، بيروت، مكتبة لبنان، طبعة أولى ١٩٧٣م.

٤- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م.

٥- زكريا إبراهيم: مشكلة البنية، القاهرة، مكتبة مصر، طبعة أولى ١٩٧٦م.

٦- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، الإسكندرية، طبعة أولى ١٩٧٧م.

٧- محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، الرياض، دار المريخ ط أولى ١٩٨١م.

٨- محمود غالي: أئمة النحاة في التاريخ، جدة، دار الشروق، ١٩٧٦م.

٩- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م.

١٠- محمود سليمان ياقوت: التراكيب غير الصحيحة نحويا في كتاب سيبويه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

١١- ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) بيروت، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر ط.أولى ١٩٧٣م.

١٢- ---------- الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والإعلام، بيروت، ١٩٨٣م.

١٣- ---------- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) بيروت ط أولى ١٩٨٣م.

١٤- ---------- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، بيروت، ط أولى ١٩٨٤م.

١٥- نايف خرما: أضواء على الدراست اللغوية المعاصرة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم ٩، ١٩٧٨م.
١٦- نهاد الموسى: نظرية النحو في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١أولى ١٩٨٠م.

ثانياً: الدوريات:

١- تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، سلسلة اللسانيات، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، العدد رقم ٤ عن اللسانيات واللغة العربية عام ١٩٨١م ص ١٤٥ – ١٨٤.
٢- جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، طرابلس، ليبيا، العددان ٩٨٤ عام ١٩٧٩م ص ١٢٣ – ١٤٣.
٣- داود عبده: التقدير وظاهر اللفظ، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، طرابلس، ليبيا، العددان ٨ ، ٩ عام ١٩٧٩ ص ٦ – ١٦.
٤- السعيد بدوي: التراكيب النحوية، مجلة ((المجلة))، المجلد العاشر، العدد ١١٩ عام ١٩٦٦م ص ١١٧ – ١٢٠.
٥- مازن الوعر: النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية التوليدية محاولة لتيسيرها وتطبيقها على النحو العربي، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد السادس، عام ١٩٨٢م ص ٢٣ – ٦٥.
٦- ---------- حول بعض القضايا الجدلية النظرية في القواعد التوليدية التحويلية مقابلة معنعوم تشومسكي، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد السادس، عام ١٩٨٢م ص ٦٦- ٨٢.
٧- محمد عبد المطلب: النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول المجلد الخامس، العدد الأول ١٩٨٤م ص ٢٥ – ٣٦.